نظرات حول
اضطرابات النفس وعلاجها
من منظور شرعي

تأليف:
محمد بن زيد الكثيري
المرشد الديني بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض

تقديم ومراجعة:
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
محمد بن عبد الله السمهري
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى
عام ١٤٤١هـ

ح دار طيبة الخضراء ، ١٤٤١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكثيري ، محمد بن زيد بن على

نظرات حول اظطرابات النفس و علاجهامن المنظور الشرعي . / محمد بن زيد بن على الكثيري

مكة المكرمة ، ١٤٤١ هـ

٣٠٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٦-٨٥-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

١- الأمراض النفسية أ. العنوان

ديوي ٦١٦,٨٩ ١٤٤١/٧٢٦٥

رقم الإيداع : ١٤٤١/٧٢٦٥

ردمك: ٦-٨٥-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

نظرات حول
اضطرابات النفس وعلاجها
من منظور شرعي

تأليف:

محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض

تقديم ومراجعة:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:

محمد بن عبد الله السمهري

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

عام ١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبدالله السمهري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى كافة إخوانه من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإني قرأت الكتاب الموسوم بـ/ نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي، تأليف الشيخ: محمد بن زيد بن علي الكثيري، المرشد الديني «بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض»، في طبعته الجديدة وفيها زيادات علمية وافرة وموضوعات نفسانية نفيسة ومفيدة وبعنوان جديد، فوجدت فيه جهداً مذكوراً مشكوراً، ظهر ذلك في جوانب إيجابية أحببت تدوين بعضها في هذه العجالة بإيجاز واختصار.

وتتلخص في النقاط التالية:

أولاً: أهمية موضوعات الكتاب، فهي مشاركة من المؤلف - وفقه الله - قدر الاستطاعة في عرض وعلاج بعض مشكلات العصر النفسية من منظور شرعي كريم، مع الإفادة من الطب النفسي الحديث.

ثانياً: استهلال المؤلف الكتاب بذكر مقدمة موجزة عن أصول الطب في الشريعة الإسلامية، وعناية الشرع المطهر بصحة الإنسان الظاهرة

والباطنة، وذلك على ضوء أدلة الشرع وكلام العلماء الربـانيين، والأطبـاء السابقين، وهذا استهلال موفق فإن الطب من ميراث النبوة، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يقـول نـاس: إن أصـل الطـب مـأخوذ عـن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»(١) ، وصدق رحمه الله، فـإن شرائـع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيها هدى ونور.

وأشار كـذلك إلى عنايـة الـشريعة بـصحة العقيـدة وصـحة العبـادة، وصحة الأخلاق والسلوك، وصـحة المعـاملات، فإنهـا أسـاس النفـوس المطمئنة.

ثالثاً: نقل المؤلف فائدة علمية شرعية طبية نفيسة جداً بشأن أوصـاف الطبيب الحاذق الماهر، وهـذه الفائـدة تتكـون مـن عـشرين فقـرة يحـسن الوقوف عليها والإفادة منها، وهي دليل على عناية علماء المسلمين بالطـب النبوي، وهذا من كمال الشريعة(٢).

رابعاً: من ميزة الكتاب أن نصوصه موثقة من أدلة الشرع المطهر ومـن استنباطات العلماء الربانيين، وأقوال الأطباء المختصِّين في دراسة ومعالجـة الأمراض النفسية، عرض المؤلف ذلك بأسلوب سهل وميـسر، ولهـذا إذا قرأه صاحب الحالة النفسية المرضية يجد فيه تشخيصاً لحالته المماثلة، وهـذا بداية الشفاء بإذن الله تعالى.

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٨١).

(٢) ستأتي (ص ٢٣).

خامساً: الميزة الأخرى للكتاب أن المؤلف - وفقه الله - كتبه عن معايشة ومن تجربة لحالات المرضى النفسيين الذين يراجعونه أثناء العمل، فهو تطبيق عملي على أرض الواقع، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «ليس الخبر كالمعاينة»[١]، وأيضاً هو من خبرات السنين مع الإفادة من الكتابات السابقة في مجال الطب النفسي.

سادساً: من الأمراض الشائعة اليوم عند بعض الناس وعند بعض من يرقي الناس المبالغة الكثيرة في نسبة تلك الحالات النفسية إلى العين والسحر والحسد وما ينتج عن تلك المبالغات لدى المراجعين من القلق والهموم والاكتئاب والشكوك، والمؤلف راعى علاج هذه المشكلة من المنظور الشرعي، ولذا نقل عشرة أسباب مفيدة ومهمة من كلام الإمام العالم الرباني وشيخ الإسلام الثاني ابن القيم رحمه الله، إذا قام بها العبد وطبقها بيقين زال عنه بتوفيق الله وفضله شر الحاسد والعاين والساحر وغيرهم فضلاً من الله ونعمة[٢].

هذا ولا تعارض بين الرقية بشروطها المعتبرة شرعاً وبين العلاج بالطب النفسي، فكلاهما مأمور به شرعاً، قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَّ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[٣].

سابعاً: المؤلف في هذه الطبعة طرق موضوعات جديدة، منها: أصول

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٤١، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) سيأتي ذكره (ص ١٧٦).

(٣) رواه أبو داود في سننه، باب في الأدوية المكروهة، حديث رقم ٣٨٧٤، ٦/ ٢٣.

الطب في الشريعة، ومنها: الكلام عن عظمة النفس وأحوالها بأسلوب مختصر وموثَّق، ومنها: الكلام عن العلاج بالتخييل من منظور شرعي، ومنها: أنواع الخوف، وكذلك أثر الصدقة وغيرها مما يتعلق بصحة الإنسان في أحد عشر أثراً[1].

ثامناً: تناول المؤلف في هذا الكتاب فتاوى شرعية تتعلق بأمور علاجية وفوائد طبية، وتعليقات مفيدة، وشواهد شعرية، وذكر عشرة آثار شرعية وتربوية وصحية، وهذا كله ضرب من العلاج الشرعي والترويح عن النفس، وفي الجملة، فهذا الكتاب فيه منهج إيماني دعوي صحي، وهذه خصلة حسنة جميلة، ولاسيما أن المؤلف مرشد ديني في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

تاسعاً: من ميزات أصل هذا الكتاب كونه نال شهادة تكريم وتقدير في حفل تكريمي بهيج أقيم يوم الأحد صباحاً ٢٣/ ٨/ ١٤٤٠هـ في قاعة مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، وهذه الشهادة التي نالها المؤلف - وفقه الله - تُعَد تزكية للكتاب لكونها صادرة من المختصين في المجال الطبي على حد قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[2]. ثم أعقبها شهادة أخرى فيها شكر وتقدير صادرة من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، ممثلة بإدارة التوعية الدينية فيها شكر وتقدير وثناء.

(١) سيأتي ذكره (ص ٢٣٥).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

ثم أعقب ذلك حصوله على درع تكريمي من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية، بمناسبة إقامة لقاء المحور الخاص بعنوان (الخلط في التشخيص بين الأعراض الروحية والنفسية + الرقية الشرعية في مجمع إرادة للصحة النفسية، جهود وثمرات)، ومع هذا كله فله – وفقه الله – سجل حافل بالمشاركات والأنشطة في مسيرة عمله الوظيفي، فقد حصل على شهادات وتزكيات وتوصيات تقارب الثلاثين وهي مرصودة في آخر الكتاب.

عاشراً: وفي الختام، هذا المنهج الذي سلكه المؤلف – وفقه الله – جيد ومفيد، فيا حبذا لو أن كل شخص في عمله أو وظيفته بحسب تخصصه وقدرته ومهما كان عمله استطاع أن يدون آراءه وأفكاره وتجاربه من خلال عمله ويقوم بترتيبها ونشرها حتى يستفاد من تلك الإيجابيات وتتلافى السلبيات، وأيضاً يستفيد المتأخر من تجربة المتقدم، وهذا إنجاز عظيم يساعد في المشاركة وفي الابتكار والتطوير بتقديم كل ما من شأنه رفع مستوى الأداء الوظيفي وتقديم أفضل الخدمات للمستفيدين، يستحق فاعله الشكر والتقدير، لكن الموضوع يحتاج إلى همَّة عالية وعزيمة صادقة، وقبل ذلك يستمد من الله العون والسداد، وصدق أبو الطيب المتنبي:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومهما يكن فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

هذا ما لم تكن طبيعة العمل أو الوظيفة تستدعي من الموظف السرِّيَّة والكتمان، وعدم البوح بشيء من عمله مهما كان، فإذا كان كذلك فعليه الالتزام بذلك أداءً للأمانة[١]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٢].

ووفاء بالعقد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[٣].

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

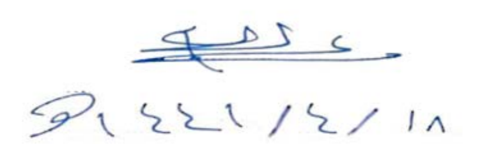
وصلى الله وسلم على نبينا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتب أ.د. محمد بن عبدالله السمهري

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



(١) وللمزيد: انظر كتاب: مصلحة الكتمان، للشيخ يوسف المطلق رحمه الله، ص ٢٠، وكتاب: حث الأخيار على حفظ الأسرار، تأليف: عبدالإله بن إبراهيم بن داود.

(٢) سورة المؤمنون: ٨.

(٣) سورة المائدة: ١.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تمهيد

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد:

فإن نور الشريعة وهدايات الوحي الإلهي لم تترك شيئاً من شأنه صلاح أحوال البشر إلا بينته ودلّت عليه وأمرت به كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣] ، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ**

«شِفَاءٌ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[١].

فهذا مما عنيت به الشريعة الإسلامية في مجال الطب وما يتعلق به، وموضوعه هو الإنسان، حياته، وموته، وصحته، ومرضه، سواء أكان ذلك عضوياً أو نفسياً، فلله الحمد والمنَّة على كمال الشريعة.

ولا شك أن الله عز وجل هو خالقنا وهو أعلم بما يُصلح أحوالنا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

والله سبحانه وتعالى شرع لنا منهجاً من سار عليه أفلح، ومن حاد عنه ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال سبحانه ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

ويسُرّني أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعضاً من النظرات والوقفات حول العين والسحر والمس من الجن والاضطرابات النفسية، وما يلحق بها من أعراض وأمراض وعلاجها من منظور شرعي، وذلك من خلال تجربة ومشاهدة من الواقع أثناء عملي بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

وكم كنت متردداً في تأليف هذا الكتاب على أثر خواطر كانت تعتريني ما بين فينة وأخرى، خاطرة إحباط، لسان حالها يقول: (التزم الصمت)

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٢٠٣).

الفيصل ما بين الاضطرابات النفسية وإصابة المرضى بالمس من الجن أو السحر أو العين من الصعوبة بمكان.

وأخرى طموحة، لسان حالها يقول: (إلى متى الصمت؟) ولم يدلِ أحد بدلوه على حد علمي حول هذا العنوان.

وأخرى توّاقة، لسان حالها يقول: (اكتب ما استطعت) مهما كثر النقد؛ لاسيما من بعض الأطباء النفسيين أو من بعض الرقاة مادام أن الفائدة تصب في مصلحة المريض، فلو أن كل شخص خَشيَ من النقد ما كتب كاتب.

وللنقد أهداف ودوافع كل بحسب نيته ومآربه، وكل يعمل على شاكلته، وعند الله تجتمع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[1].

فالنقد المنصف منهج شرعي لما فيه من التعاون على البر والتقوى، وهو مبني على العدل والإنصاف وحب الخير، والبعد عن الهوى، ولا يؤتي ثمرته إلا بالآداب الشرعية.

يقول الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفياض - رحمه الله - : «إذا كان المديح المجازف بلاء على الأمة فإن النقد الهادم مصيبة عليها، فبعض الناس لا يعجبهم العجب فهم ينظرون للأشياء بمنظار أسود، وكل شيء

(١) سورة محمد: ٣٠.

جميل فهو في رأيهم قبيح، فهم يتخيَّلون النور ظُلْمة، والبياض سواداً، والجميل دميماً، فلا يهنأ لهم بال حتى يقدحوا ويشتموا ويعيبوا، فتراهم ساخطين على كل شيء ناقمين على الدنيا وما فيها.

وإذا كانت الأمة لا تستغني عن النقد فهي تحتاج إلى النقد الهادف الذي ينشد الحقيقة ويبتعد عن البذاءة والمهازل»[١].

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٢].

وحينما أتطرق في كتابتي حول موضوع الكتاب لا يعني أنني أتجاهل ما كتبه الفضلاء من أهل العلم في مجال الرقية الشرعية ، ولا أتجاهل ما كتبه المختصّون في مجال علم النفس، أثاب الله الجميع.

لكنني أسعى جاهداً في نظرات تبدأ من حيث ما انتهوا إليه في هذا الموضوع، وانتقاء المختصر المفيد في ضوء الكتاب والسنة وشيء من التفسير وما جاء عن السلف رحمهم الله وربطها بالطب النفسي المعاصر.

هي نظرات تهدف إلى الحدِّ من ازدواجية المريض ما بين الراقي والطبيب النفسي، فطالما أرّق المعالجين إصرار بعض أهالي المرضى على أن سبب إصابة مرضاهم ناجم عن تلبس الجن أو السحر أو العين.

فربما دفع هذا الإصرار بعض المرضى إلى ترك العلاج نتيجة كثرة الجدل بين بعض الرقاة وبعض الأطباء النفسيين حول علاقة العين والمس

---

(١) في سبيل الإسلام، زيد بن عبدالعزيز بن فياض، ص ١٧٠.

(٢) سورة الأحقاف: ١٩.

من الجن والسحر بالاضطرابات النفسية، الذي أسهم في زعزعة الثقة بين الطرفين وأوقع بعض المرضى في حيرة، وحمل آخرين مع الأسف إلى اللجوء للسحرة والمشعوذين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن جهة أخرى، المبادرة إلى خطوة علاجية تقتصر على بعض القصص والتجارب حول كل موضوع تحكي واقعنا المعاصر من خلال عملي في هذا المجال، تتراوح فترتها الزمنية ما بين عام ١٤١٩هـ تقريباً إلى عام ١٤٤١هـ.

ومن أجل إدخال السرور وبثّ الطمأنينة على نفوس المرضى وأُسرهم وإشراقة أمل ، بعيداً عن الإرجاف والوهن الذي أصاب الكثير من الناس فضلاً عن المرضى من جراء التوسع في أنواع السحر والمبالغة في قصص الجن المخيفة وكذا المبالغة في الإصابة بالعين، سواءً كانت في بعض القنوات الفضائية أو مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد سلكت في إعداد هذا الكتاب أسلوباً سهلاً يستهدف العامّة، ويتناول طابعاً خاصاً في مفهوم علم النفس لأهل الاختصاص من منظور شرعي، ونظرة ميدانية نقدية في جزء من واقع الرقاة، وليست دراسة أكاديمية تستدعي تخصص الطب النفسي خصوصاً في استحداث بعض العناوين الجديدة.

ولا شك أن للعلاج المعرفي السلوكي دوراً فاعلاً في حياة المريض.

وسيلاحظ القارئ الكريم إيراد النصوص الشرعية في سياق مضامين هذا الكتاب، متى ما تدبرها المريض معتقداً تأثيرها – بإذن الله– فتح له ذلك بارقة

أمل بالشفاء والخروج من الأزمات النفسية؛ لأن حياة المؤمن وتصرفاته منوطة بأحكام الشرع، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢].

هذا، ولا يفوتني في مطلع هذا الكتاب أن أرفع أسمى كلمات الشكر والتقدير والامتنان إلى ولاة أمرنا أثابهم الله حيال تلك الجهود المباركة التي يبذلونها للمرضى في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

كما أنني أتقدم بالشكر والعرفان لفضيلة الشيخ أ.د. محمد بن عبدالله السمهري وفقه الله، الذي أسهم بكتابة المقدمة ومراجعة كتابي، مع ما أبداه من ملحوظات مفيدة وتوجيهات سديدة، فجزاه الله خيراً.

هذا وفي الوقت نفسه أُقدِّم رسالة شكر وعرفان لإدارة مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، نظير ترشيح كتابي الموسوم بـ(نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية) وتكريمي ضمن فعاليات اليوم العالمي للكتاب عام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، والحصول على شهادة الشكر والتقدير.

والشكر موصول للمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية بصحة الرياض على ما غمروني به من شهادة الشكر والتقدير، وكذلك الدرع التكريمي، وكلتا الشهادتين والدرع أعتزُّ بها، وأعتبر ذلك وسام فَخْر، وكان لها بالغ الأثر على نفسي، وهذا مما دفعني للمزيد من الاجتهاد والبذل لزيادة موضوعات الكتاب، مما جعله يفوق الضعف وبعنوان

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

جديد (**نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي**).

كما أنني أكرر شكري ودعائي لكل من ساندني تحريرياً أو شفهياً برأي أو مشورة، أو بنقد هادف وبنَّاء.

هذا مع إيماني الجازم أن كل كلام ليس بكلام الله – عز وجل – ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يخلو من النقص والتقصير، والكمالُ عزيز.

ويأبى الله سبحانه العصمة إلا لكتابه العزيز الذي قال عنه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[(١)].

وقال تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[(٢)].

هذا ومن كان عنده زيادة علم فليجُد به علينا مذكوراً مشكوراً، ومن الله وحده أستمد العون والسداد والتوفيق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد بن زيد الكثيري
المرشد الديني بمجمع إرادة
للصحة النفسية بالرياض
١٤٤١/٤/٣هـ
M.alkathiri@gmail.com
واتس: ٠٥٣٤٠٢٠٠٠٣٠

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة النجم: ٣، ٤.

نظرة حول أصول الطب في الشريعة الإسلامية

- قال العلامة عبدالرحمن السعدي(رحمه الله) [(١)] أصول الطب ثلاثة:

١. حفظ الصحة باستعمال الأمور النافعة.

٢. الحمية من الأمور الضارة.

٣. دفع ما يعرض للبدن من المؤذيات.

ووسائل الطب كلها تدور حول هذه القواعد، وقد أشار القرآن الكريم على حفظ الصحة ودفع المؤذي في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[(٢)]. وأشار القرآن الكريم كذلك إلى التداوي والعلاج بالعسل، فقال سبحانه وتعالى في وصف النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكيَّة نار، وأنهى أمتي عن الكيِّ) [(٤)].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله[(٥)]: «قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ١٠٩).

(٢) سورة الأعراف: (٣١).

(٣) سورة النحل: (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الشفاء في ثلاث برقم (٥٦٨٠) (٧/ ١٢٢).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

الغذاء، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بيانًا شافيًا يغني عن كلام الأطباء فقال:: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[١]، خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب.

قال علماؤنا: لو سمع أبقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، ويذكر أن هارون الرشيد كان له طبيبٌ نصراني حاذقٌ فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شي، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آيةٍ من كتابنا، فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل:« وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا». فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: وَلَا يُؤْثَرُ عن رسولكم شي مِنَ الطِّبِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: جَمَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطِّبَّ فِي أَلْفَاظٍ يَسِيرَةٍ ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: (المعدة بيت الأدواء والحمْية رأس كل دواءٍ وأعط كل جسدٍ ما عودته)، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طِبًّا».

قلت: أما قوله: «المعدة بيت الأدواء....» ، فهي حكمة طبية سائرة ومشهورة، ومعناها صحيح، وهي تنسب إلى «طبيب العرب بل أطبُّهم الحارث بن كلدة، وكان فيهم كأبقراط في قومه»[٢]، وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة ما يدل على ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**مَا**

---

(١) جامع الترمذي رقم (٢٥٣٩ و ٢٥٤٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) زاد المعاد (ص ٧٦٤).

مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ) (١).

فهذا النص النبوي الكريم، وأمثاله كثيرٌ جداً يدل على عناية الشرع بصحة الإنسان، سواء كانت الصحة البدنية أو النفسية.

فعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبوالدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبوالدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبوالدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»(٢).

كما أن الشريعة الإسلامية لها عناية بصحة الإنسان فإن لها كذلك عناية بما هو أعظم من ذلك، ومنها:

١ - العناية بصحة العقيدة على ضوء الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي، برقم ١٧١٨٦ (٢٨/ ٤٢٢).

(٢) رواه البخاري، باب صنع الطعام والتكلف للضيف برقم ٦١٣٩ (٨/ ٣٢).

٢ - العناية بصحة العبادة بتحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له.

٣ - العناية بصحة الأخلاق والسلوك.

٤ - العناية بصحة المعاملات بأنواعها في جميع مجالات الحياة.

٥ - العناية بأداء الحقوق العشرة التي دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، كما ذكرها الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله، وهي على النحو التالي:

«١ - حقوق الله تعالى.

٢ - حقوق النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ - حقوق الوالدين.

٤ - حقوق الأولاد.

٥ - حقوق الأقارب.

٦ - حقوق الزوجين.

٧ - حقوق الولاة والرعيَّة.

٨ - حقوق الجيران.

٩ - حقوق المسلمين عموماً.

١٠ - حقوق غير المسلمين[١]».

والعناية بهذه الأمور والقيام بها وتطبيقها على الوجه المشروع هي الحياة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

---

(١) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، لفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين، (ص ٥).

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

أما الاهتمام والعناية بصحة البدن والمظهر بدون هذه الأشياء فليس بشيء، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾[(٢)]. وهذه الآية الكريمة في مقام الذمّ.

وصدق القائل:

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كم تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيه خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفَسِ واسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالجِسْمِ إِنْسِانُ ... ؟[(٣)]

هذا ونظراً لأهمية النفس ومكانتها وعظمتها فقد أفردت لها بحثاً موجزاً في هذا الكتاب[(٤)].

وبعد هذا أذكر فائدة طبية شرعية علمية نفيسة ومهمة جداً ذكرها العلامة ابن القيم – رحمه الله – مكونة من عشرين وصفاً تتعلق بالطبيب الماهر، كما سيأتي:

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة المنافقون: ٤.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي، ص (٤١).

(٤) ينظر: ص (٤٠).

نظرة حول الطَّبِيبُ الْحَاذِقُ

إن من حكمة الله البالغة أنه سبحانه وتعالى جعل بين الخلائق وأعمالهم في هذه الحياة تفاوتاً كبيراً، وكلٌّ ميسر لما خُلق له، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[٢]. فالتفاضل والتفاوت بين الخلق كلٌّ في مجاله واختصاصه، من سنن الله الكونية وربك حكيم عليم، وبراعة الإنسان في عمله مهما كان بسيطاً، وإتقانه وتفوقه فيه على زملائه وأقرانه حينما يترك أثراً سامياً، يعود في نظري لأسباب عديدة، منها:

أولاً: إخلاص النيَّة لله سبحانه وتعالى في هذا العمل، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثانياً: الجد والاجتهاد فيه بالصبر والمثابرة، وابتغاء الأجر من الله عز وجل مع ما يجنيه من أجرة العمل.

ثالثاً: أن يعلم الغاية والهدف من هذا العمل والرسالة التي يؤديها خدمةً لدينه وأمته، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**)[٣].

---

(١) سورة الليل: ٤.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب آداب الصانع والعامل (١١/ ٤٧٨).

والطب مهنة شريفة وخطيرة؛ لأنها تتعلق بحياة الإنسان وصحته، فهي ليست كسائر المهن، ولذا فإن الخطأ فيها جسيم، وفيه مسؤولية.

لهذا الإمام ابن القيم - رحمه الله - حينما تكلم عن الطب ومكانته وأنواعه والأمور التي يجب أن يراعيها الطبيب في مهنته، ذكر - رحمه الله - **أوصاف الطبيب الحاذق وأوصلها إلى عشرين وصفاً**، وهي على النحو التالي:

يقول رحمه الله: «الطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه عشرين أمراً.

أحدها: النظر في نوع المرض من أي الأمراض هو؟

الثاني: النظر في سببه من أي شيءٍ حدث؟ والعلة الفاعلة التي كانت سبب حدوثه ما هي؟

الثالث: قوة المريض، وهل هي مقاومةٌ للمرض، أو أضعف منه؟ فإذا كانت مقاومةً للمرض، مستظهرةً عليه، تركها والمرض، ولم يحرك بالدواء ساكنًا.

الرابع: مزاج البدن الطبيعي ما هو؟

الخامس: المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي.

السادس: سن المريض.

السابع: عادته.

الثامن: الوقت الحاضر من فصول السنة وما يليق به.

التاسع: بلد المريض وتربته.

العاشر: حال الهواء في وقت المرض .

الحادي عشر: النظر في الدواء المضاد لتلك العلة.

الثاني عشر: النظر في قوة الدواء ودرجته، والموازنة بينها وبين قوة المريض.

الثالث عشر: ألا يكون كل قصده إزالة تلك العلة فقط، بل إزالتها على وجهٍ يأمن معه حدوث أصعب منها، فمتى كان إزالتها لا يأمن معها حدوث عِلَّةٍ أخرى أصعب منها، أبقاها على حالها، وتلطيفها هو الواجب، وهذا كمرض أفواه العروق، فإنه متى عولج بقطعه وحبسه خيف حدوث ما هو أصعب منه.

الرابع عشر: أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذر الدواء البسيط فمن حذق الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية، وبالأدوية البسيطة بدل المركبة

الخامس عشر: أن ينظر في العِلَّة، هل هي مما يمكن علاجها أولا؟ فإن لم يمكن علاجها، حفظ صناعته وحرمته، ولا يحمله الطمع على علاجٍ لا يفيد شيئًا[1].

وإن أمكن علاجها، نظر هل يمكن زوالها أم لا؟ فإن علم أنه لا يمكن زوالها، نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها أم لا؟ فإن لم يمكن تقليلها، ورأى

(١) قلت: ما أعظمها من نصيحة صادقة، فهل من أذن واعية؟

أن غاية الإمكان إيقافها وقطع زيادتها، قصد بالعلاج ذلك، وأعان القوة، وأضعف المادة.

السادس عشر: ألا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغٍ، بل يقصد إنضاجه، فإذا تم نضجه، بادر إلى استفراغه.

السابع عشر: أن يكون له خبرةٌ باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وذلك أصلٌ عظيمٌ في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهودٌ، والطبيب إذا كان عارفًا بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقًا في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيبٍ. وكل طبيبٍ لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ، بل متطببٌ قاصرٌ، ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرع والابتهال إلى الله، والتوبة[1]، ولهذه الأمور تأثيرٌ في دفع العِلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه.

الثامن عشر: التلطف بالمريض، والرفق به، كالتلطف بالصبي.

التاسع عشر: أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج

---

(١) قد ذكرت شيئاً من هذا تحت عنوان: أثر الدعاء والأذكار سيأتي ص ٢٤٤.

بالتخييل[١]، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبةً لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معينٍ.

العشرون: (وهو ملاك أمر الطبيب)، أن يجعل علاجه وتدبيره دائرًا على ستة أركانٍ: ١ - حفظ الصحة الموجودة، ٢ - رد الصحة المفقودة بحسب الإمكان، ٣ - إزالة العلَّة، ٤ - تقليلها بحسب الإمكان،٥ - احتمال أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما. ٦ - تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما، فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج، وكل طبيبٍ لا تكون هذه أخيته[٢] التي يرجع إليها، فليس بطبيبٍ، والله أعلم»[٣].

ويقول الدكتور/ بسام سلامة: «هذا وكما أن المسلم يأخذ علاجه من الطب النبوي المستمد من الوحي، وفي الوقت نفسه يحذر ويبتعد عن الطب الخرافي المبني على الدجل والكذب والجهل والشعوذة والكهانة، والتخييل الكاذب، وأكل أموال الناس بالباطل»[٤].

---

(١) سيأتي الكلام عن العلاج بالتخييل ص ١٠١.

(٢) أخيته: المراد بها طبيعته وعادته وسجيته في العلاج.

(٣) الطب النبوي لابن القيم، الناشر: دار الهلال - بيروت، (ص: ١٠٦) بتصرف.

(٤) الإيمان بالغيب، بسام سلامة، ص ٢٦٢.

نظرة حول الثقة بالمُعالِج

إنّ ثقة المريض بالطبيب المعالج من الضّرورة بمكان، ولا تقل أهميتها عن غيرها من الخطوات العلاجية، وتعتمد هذه الثقة على عِدَّة محاور:

منها العلاقة العلاجية المهنية (الفهم الجيد، التقبّل، الاحترام).

كما قال الشاعر:

إن المعلّم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما[1]

ومنها: كفاءة المعالج وخبرته وكذلك الشهرة والاستفاضة عند المجتمع.

ومما يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ**»[2].

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : «فالطِب بكسر الطاء في لغة العرب، يقال على معانٍ، منها: الإصلاح، يقال: طببته: إذا أصلحته، ويقال: له طِب بالأمور، أي: لطفٌ وسياسة. قال الشاعر:

وإذا تغيرَ من تميمٍ أمرُها ... كُنْتَ الطبيب لها برأي ثاقبِ

ومنها: الحِذق. قال الجوهري: كل حاذق طبيب عند العرب، قال

---

(١) لم أقف على القائل ونسبه بعضهم لأبي العلاء المعرِّي.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٥٧٨)، والنسائي برقم (٤٧٤٨) واللفظ له.

أبو عبيد: أصل الطِّب: الحِذق بالأشياء والمهارة بها، يقال للرجل: طب وطبيب: إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المريض، وقال غيره: رجل طبيب: أي حاذق، سُمِّي طبيباً لِحذقه وفطنته. قال علقمة:

فإنْ تَسْألوني بالنِّساءِ فإنَّني خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

إذا شَابَ رَأْس المرءُ أو قلَّ مَالَه فليسَ لَهُ مِنْ وُدهِنَّ نَصِيبُ»[١]

وقال – رحمه الله – في قوله صلى الله عليه وسلم: (من تطبَّب) ولم يقل: من طبَّ؛ لأن لفظ التفعُّل يدل على تكلف الشيء والدخول فيه بعُسر وكُلفة، وأنه ليس من أهله، كتحلّم وتشجَّع وتصبَّر ونظائرها[٢].

وجه الاستدلال: قوله صلى الله عليه وسلم: «ولم يُعلم منه طب».

فإذا عُلِم منه طب واشتهر بذلك فليس بضامن إلا إذا تعدَّى وحصل منه تقصير وأدى ذلك إلى ضرر يلحق بالمريض، فعلى الطبيب في مثل هذه الحالة أن يضمن حقه كما هو معروف في كتب الفقه.

هذا، ونظراً لأهمية الشهرة والاستفاضة فإننا نشاهد بعض المعالجين عموماً يهرعون إلى وسائل الإعلام لإعداد برامج خاصة، ويحرصون كل الحرص على تعليق لوحات في عياداتهم تحتوي على مؤهلاتهم العلمية وشهادات الشكر ونحوها.

وكذلك السيرة الذاتية وتوثيقها على الغلاف الخارجي لمؤلفاتهم لينالوا

---

(١) الطب النبوي (ص ٩٧).

(٢) الطب النبوي (ص ٩٨).

ثقة المريض.

وتعليق التزكيات والدروع أسلوب متَّبع اليوم في معظم العيادات الطبية وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن، كلٌّ فيما يخصُّه ومهنته.

كما علَّق الإمام ابن القيم - رحمه الله - على قوله صلى الله عليه وسلم: (**من تطبَّب ولم يُعلم منه طب فهو ضامن**) [١]. (والطبيب في هذا الحديث يتناول مَن يطب بوصفه وقوله، وهو الذي يخص باسم الطبائعي، وبمرودِه، وهو الكحَّال، وبمبضَعه ومراهمه وهو الجرائحي، وبمُوساه وهو الخاتِن، وبريشته وهو الفاصد، وبمحاجمه ومشرطه وهو الحجَّام، وبخلعه ووصله ورباطه وهو المجبِّر، وبمكواته وناره وهو الكوَّاء، وبقربته وهو الحاقن، وسواء كان طِبّه لحيوان بهيم، أو إنسان، فاسم الطبيب يطلق لغة على هؤلاء كلهم، كما تقدم، وتخصيص الناس له ببعض أنواع الأطباء عُرْفٌ حادث، كتخصيص لفظ الدابة[٢] بما يخصُّها به كل قوم.

وروى أبو داود في سننه من حديث مجاهد عن سعد، قال: مرضت مرضاً، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعودني، فوضع يده بين ثديي، حتى وجدت بردها على فؤادي، وقال لي: «**إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ، فائْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ من ثقيف، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ فَلْيَأْخُذْ سبعَ تَمَرَاتٍ مِنْ**

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٨.

(٢) الدابة وصف عام لكل من دبَّ ومشى على الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦].

عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ»[١].

المفؤود: الذي أصيب فؤاده، فهو يشتكيه، كالمبطون الذي يشتكي بطنه.

واللدود: ما يُسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم.

وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء، ولا سيما تمر المدينة، ولا سيما العجوة منه، وفي كونها سبعاً خاصية أخرى، تُدرك بالوحي، وفي الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصبَّح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[٢].

وفي لفظ: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها[٣] حين يصبح، لم يضره سم حتى يمسي»[٤])[٥]. اهـ. ويرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنه لا يمنع من وجود تلك الفائدة في أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام[٦].

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو داود برقم (٣٨٧٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٧٩).

(٣) المراد بذلك المدينة المنورة.

(٤) رواه مسلم برقم (٢٠٤٧).

(٥) الطب النبوي لابن القيم ص٦٩ – ٧١.

(٦) مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٩).

نظرة حول التَّشخيص

لاشك أن الاكتشاف المبكر لعلَّة المريض في غاية الأهمية لما يترتب عليه من نتائج إيجابية لتحديد اتجاه المريض في المسار المناسب، للوقاية من الأمراض النفسية المزمنة.

لكن واقع الطب النفسي اليوم يعتمد في التشخيص على الدليل التشخيصي والإحصائي دون احتوائه على الفحص المخبري الذي يعتمده الطبيب النفسي فقط لكشف سلامة المريض النفسي من أي خلل طبي عضوي.

فعلى سبيل المثال يعتمد طبيب الباطنة على أجهزة التصّوير في الكشف عن إصابة المريض بحصوة في المرارة، بينما الطبيب النفسي لا يوجد لديه جهاز أو أي وسيلة ماديَّة كسماعة طبيب يستطيع أن يعتمد عليها في الفحص على الأمراض النفسية وتحديد إصابة المريض ما بين الاضطرابات العقلية منها الذهان كالفصام[١].

وما بين الاضطرابات العصابية كالقلق أو الرهاب أو الوسواس القهري.

وما بين الاضطرابات الوجدانية كالهوس أو الاكتئاب أو ثنائي القطب.

وما بين الاضطرابات النفسجسدية.

فالطبيب النفسي في وقتنا الحاضر يعتمد في التشخيص على الأدلة

(١) للمزيد، انظر: ص ١٢٣.

التشخصية للاضطرابات العقلية محددة التـصنيف للاضـطرابات النفـسية ضمن مرجعية معيارية للممارسة السريرية في مجـال الـصحة العقليـة عـلى مستوى العالم.

فهو يقوم على تقييم ودراسة للحالة وطرح الأسئلة لاكتـشاف الحالـة عن طريق المقابلـة وجمـع المعلومـات للوصـول إلى معـايير التـشخيص أو إحالته إلى الأخصائي النفسي لتقييم حالته وتطبيق مجموعة من الاختبارات والمقاييس النفسية حسب الحاجة وتقييم قدراته والتعـرف عـلى شخـصيته وربطها بحالة المريض ومعلوماته وجلسات التقييم والملاحظـة والخـروج بأدلة إكلينيكية علاجية.

تصنيف الاضطرابات العقلية:

(والمعروف أيضاً باسم علم تصنيف الأمـراض النفـسية، وهـو أحـد الجوانب الرئيسية في الطب النفـسي وغيرهـا مـن المهـن الـصحية العقليـة ونقطة محورية لمن تم تشخيصهم، يوجد حالياً اثنان من التصنيف الطبي تم انشاؤهما على نطاق واسع لتصنيف الأمراض العقلية.

الفصل الخامس من التصنيف الدولي للأمراض ICD الذي وضعته منظمة الصحة العالمية WHO والدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية DSM الذي وضعته الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين APA .

ويُعتقد أن قائمة تصنيف الاضطرابات العقلية تضم أنواعاً مختلفة عن

بعضها، وعلى الرغم من أنها تقاربت إلى حد كبير في التنقيحات الأخيرة، بحيث تكون في كثير من الأحيان قابلة للمقارنة، لا تزال هناك اختلافات كثيرة، وقد تستخدم مخططات تصنيف أخرى بصورة أكثر على الصعيد المحلي، على سبيل المثال التصنيف الصيني للاضطرابات العقلية، وهناك كتيبات أخرى يستخدمها أصحاب الانتماءات النظرية البديلة استخداماً محدوداً، مثل الدليل التشخيصي للتحليل النفسي .

ويتم استخدام تصنيفات الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية والتصنيف الدولي للأمراض في توظيف التعريفات التشغيلية، وهناك جدل علمي كبير حول صحة نظام التصنيف (التصنيفي) في مقابل (البُعدي)، وأيضاً جدل حول دور العلم والقيم في مخططات التصنيف والاستخدامات المهنية والقانونية والاجتماعية التي وضعت من أجلها.

يفيد تقرير استقصاءات منظمة الصحة العالمية أنه لا يوجد إجماع على تعريف الاضطراب/ المرض العقلي) [1].

العلاج النفسي :

(إن تفسير كلمة العلاج النفسي يختلف تبعا للمدرسة التي يتبعها المعالج النفسي، ولكن يتفق الجميع على معنى عام هو أن الغرض الأساسي هو مناقشة أفكار وانفعالات المريض واكتشاف مصادر الصراع والإجهاد

---

(١) الاضطربات العصابية، د. سعدي موسى الحانوتي، (ص٤٧)، الطبعة الأولى ١٤٣٨ الناشر العبيكان.

ومحاولة تكيف المريض مع المجتمع في حدود قدراته الشخصية، ذلـك مـع إقامة تجاوب انفعال بين المعالج والمريض واستخدامه في شفائه.

ويختلف الأطباء في أساليبهم للوصول لهذا الغرض، فكل يتبـع مدرسـته الخاصة ويؤمن بأنها الطريقة المثلى لاستئصال أسباب الصراع، ولتغيير الشخصية، بل ويعطي الأدلة والبراهين على أن نظريته هي السائدة في العلاج النفسي، ويحتمل أن يكون كل معالج صادقا في كلامه عـن نظريتـه، إذ أن اعتقـاده بطريقته يحمل التأثير و الإيحاء إلى المريض، ولذا فأعتقد أن نجـاح العـلاج النفسي يعتمد على شخصية المعالج ومدى ايمانه بطريقته في العـلاج، أكثـر مـن الاعتماد على محتوى النظرية ذاتها واختلافها عن النظريات الأخرى)[1].

وكذلك الراقي أيضاً: لا يستطيع أن يُشخِّص إصـابة المـريض بتلـبس الجن أو السحر أو العـين بعـين اليقـين، لكنـه يعتمـد في التَّـشخيص عـلى اجتهادات و تجارب قائمة على قرائن مبنية على آراء شخصية وخـبرات فرديـة تظهر على المريض أثناء تأثره بالرقية الشرعية، فيصدر منه تـشخيص مبنـي على غلبة الظن.

فالتشخيص يختلف من راقٍ إلى آخر على حسب الخبرة والقـدرة عـلى ربطها مع القرائن مع توفيق الله وتسديده.

---

(١) الطب النفسي المعاصر د. أحمد عكاشة، صفحة (٢٢٢) الناشر مكتبة الأنجلـو المـصرية عـام ١٩٩٨.

وتتفاوت مصداقية القرائن من راقٍ إلى آخر على قدر تفوّق شهرة أحدهما على الآخر.

فالشهرة بتوفيق الله لها أوفر الحظ والنصيب بمكانة الراقي ومنزلته لدى غالبية المرضى النفسيين؛ فقد يصعد أحد الرقاة تلقائياً إلى الشهرة بنجاح حينما يلاحظ بعض الناس إسهامه في شفاء بعض المرضى بإذن الله من بعض الأمراض العضوية على أثر رقيته، فسرعان ما تنتشر هذه الأخبار بين المرضى.

حينها يأخذ الكثير من المرضى النفسيين برأيه ويتركون ما سواه.

فربما يكون غير مدرك للاضطرابات النفسية؟

كما أن الشهرة أيضاً تلعب دوراً هاماً في مدى قناعة المريض النفسي من طبيب نفسي لآخر على قدر تفاوت الشهرة بينهما.

فعدم وجود تشخيص يقيني عند كلٍ منهما، من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدواجية المريض بينهما.

فعلى سبيل المثال:

لن ينحرف المريض العضوي عن المسار الصحيح؛ ساعة إصابته بكسر في أحد أعضائه، بالاتجاه فوراً إلى طبيب العظام، ولن يلتفت إلى غيره.

فعندما يقرر طبيب العظام ضرورة إجراء عملية جراحية أو جبيرة

استناداً على وسيلة ماديَّة كصورة الأشعة لتحديد مكان الإصابة ونوعيتها، فإن المريض يقتنع تماماً بهذا الإجراء، بينما لا تجد هذه القناعة عند المريض النفسي في اللحظة التي يخرج فيها من عند الطبيب النفسي، فقد تجده ملتفتاً إلى غيره.

ولعلي أستشهد بقول أحد الإخوة من الأطباء النفسيين تجاوز عمره العقد الخامس في مجال الطب النفسي.

قال لي ذات يوم بعد حوار طويل دار بيني وبينه حول هذا الموضوع وكأنما يهمس في أذني: ما نصه (المُخ هذا حاجة فظيعة جداً ومعقّدة، وكل الطب النفسي الذي تراه، إلى هذا الوقت لم نعرف ندخل فيه، وبصراحة كل اللي قدرنا نعمله إن احنا بقينا قريبين منه).

فالطب النفسي مهما بلغ فإنه يقف عند حدٍّ معين لا يمكن أن يتجاوزه في الكشف عن إصابة المريض بتلبس بالجن أو السحر أو العين ولا يعني أنني من خلال هذا الطرح أغفل عن الجانب الإيجابي المشاهد للطب النفسي، ويمكن القول أن بعض التشخيص النفسي ظنّي إلى حدٍّ ما.

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

وعلى العموم فإن التشخيص بالنسبة للأطباء النفسيين إنما يكون معتمداً على أعراض يتحدث بها المريض على حسب مصداقيته.

---

(١) سورة الإسراء: (آية ٨٥).

ويجتهد فيها الطبيب لمعرفة ما يعاني منه المريض من تقلّب في المزاج واضطراب في التفكير والذاكرة والسلوك(١) على ضوء دراسات وأبحاث أقيمت وتجارب علمية موثقة، وفي أحيان كثيرة يتطلب التشخيص ملاحظات الأسرة والمحيطين بالمريض لإعطاء تفاصيل أكثر ومعلومات تكون أكثر دقَّة ومصداقية من المريض.

وعلى كل حال فالطبيب النفسي الماهر حتماً سيصل إلى نتيجة إيجابية وكذلك الراقي الحاذق المجتهد، وكل ذلك بتوفيق الله.

فكم من مرضى شفاهم الله عز وجل على أيدي الأطباء النفسيين، وكم من المرضى شفاهم الله سبحانه وتعالى بسبب الرقاة، وعموماً هذه أسباب شرعها الله عز وجل وإلا فالشفاء من عند الله سبحانه وتعالى، وكم من مرضى شفاهم الله بدون أسباب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(٢)، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٣).

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: «إن كثيراً من المرضى، أو أكثر المرضى يُشفون بلا تداوٍ، لاسيما في أهل الوبر والقرى والساكنين في نواحي الأرض، يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة

---

(١) سلوك المريض ومظهره غير الطبيعي.

(٢) سورة الشعراء: (آية ٨٠).

(٣) سورة يس: (آية ٨٢).

للمرض، وفيما ييسّره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء»[١].

والذي أريد أن أصل إليه في موضوع التشخيص أنني سوف أضطر إلى استعمال المصطلحات الآتية لترجيح فحوى كلامي حتى تبرأ الذّمة باستعمال العبارات التالية:(أعتقد ، أتوقع، أظن، في الغالب، احتمال، ربما، قد يكون، الذي يظهر لي، وفي نظري)، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.



(١) مجموع الفتاوى (٢١/ ٥٦٣).

نظرة حول عظمة النفس

النفس الإنسانية هي المدبِّرة للبدن الذي تكون بها حياته، وهي سرٌّ من أسرار الله في خلقه لم يطَّلع على حقيقتها وكُنْهِهَا أحد، ونظراً لعظمتها فقد أقسم الله بها في القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بعظيم، حيث قرنها بمخلوقاته العظيمة، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، فكانت النفس سابع سبعة مخلوقاته العظيمة التي أقسم بها سبحانه في سورة (الشمس)، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[2] فهي مخلوق عظيم خفي محكم ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وإنما نرى آثارها الدالة على وجودها، ولم ولن يتوصل الطب بأكمله إلى الكشف عن حقيقتها مهما بلغت تلك الأجهزة والتقنية الحديثة، ولهذا نلاحظ عجز الطب النفسي في الفحص المخبري[3].

قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[4]، وهذه النفس لها صفات

---

(١) سورة غافر، ٥٧.

(٢) سورة الشمس، الآيات: ١ - ٧.

(٣) انظر: (ص ٣٢).

(٤) سورة النمل، الآية: ٨٨.

قائمة بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والمقصود أن الروح إذا كانت موجودة في أبداننا وهي حيَّة، وعالمة، وقادرة، وسميعة، وبصيرة، وتصعد، وتنزل، وتذهب، وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً»[1].

والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره، أو بالخبر الصادق عنه، وربما سأل سائل فيقول: كيف أُدرك صفات النفس وهي من الأمور الغائبة عنَّا؟

فالجواب: أن شيخ الإسلام أزال هذا الإشكال في موضع آخر، يقول - رحمه الله -: «وإذا عُرِف أن النائم يكون نائماً وتقعد روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالاً وأموراً بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضتان، وفمه مطبق، وأعضاءه ساكنة، وقد يتحرك بدنه لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد وتجلس وتُسأل وتنعَّم وتعذَّب وتصيح وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجع في قبره، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازماً لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر...»[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن الله سبحانه وتعالى جعل الدور

(١) الرسالة التدمرية، ص ٥٦، تحقيق د. محمد السعوي.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٢٥، ٥٢٦.

ثلاثاً، دار الـدنيا، ودار الـبرزخ، ودار القـرار، وجعـل لكـل دار أحكامـاً تختصّ بها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الـدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على مـا يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه.

وجعل أحكام الـبرزخ عـلى الأرواح والأبـدان تبعـاً لهـا، فكـما تبعـت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتـذَّت براحتهـا، وكانـت هي التي بـاشرت أسـباب النعـيم والعـذاب، تبعـت الأبـدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

فالأبدان هنا ظاهرة، والأرواح خفيَّة، والأبدان كالقبور لهـا، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ عـلى الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كـما جـرى أحكـام الـدنيا عـلى الأبـدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأحِطْ بهذا الموضـع علـماً وأعرفـه كـما ينبغي يزيل عنك كُلَّ إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم، فإن ما ينعم به أو يعذَّب في نومه يجري عـلى روحـه أصـلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فـيرى النـائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنـه قـد أكـل أو شرب فيستقيظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويـذهب عنـه الجـوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسَّ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعَّم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرّد الروح هنالك أكمل وأقوى، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه، تبين لك أن ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه، وضيقه وسعته، وضمه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مِرية فيه، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أُتي كما قيل:

وكَمْ مِنْ عَائِبٍ قولاً صَحِيْحاً وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمْر البرزخ أعجب من ذلك»[1].

وهذه النفس الإنسانية التي يقوم بها البدن مخلوق ضعيف

(١) الروح لابن القيم ص(٨١ – ٨٢).

كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[(١)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولذا لا تثبت على حال واحدة، فهي كثيرة التقلّب والتلوّن، وهذا من أعظم آيات الله فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً متلونة، فتذكر وتغفل، وتُقبل وتُعرض، وتلطف وتكشف، وتنيب، وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتتقي وتفجر إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالتها وتلوُّنها فهي تتلون في كل وقت ألواناً كثيرة[(٢)].

قلت: بسبب هذا يطرأ عليها من العِلل والأمراض والأسقام والاضطرابات النفسية مما تحتاج إليه من الدواء الذي يزيل عنها ما طرأ عليها بإذن الله، والله سبحانه ما أنزل داء إلا وله دواء.

وأعظم دواء وأنفعه لعلاج النفس هو كلام الله سبحانه وتعالى، فهو خالقها وموجدها من العدم، وهو مدبِّرها والعليم بها كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾[(٣)].

ومن أراد زيادة علم واطلاع على أحوال الروح وما يتعلق بها فعليه بكتاب الروح، للإمام ابن القيم فإنه كتاب نفيس جداً، قال عنه

---

(١) سورة النساء: ٢٨.

(٢) شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٠).

(٣) سورة النجم: ٣٢.

السَّفاريني – رحمه الله –: «وكتابه هذا من أجلّ ما رأينا في هذا الفن، بل هو أجلّها وأعظمها، ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهله ولا شيئاً منه، فعليك به فإنه مفيد جداً»[١].

هذا وأثناء القراءة والاطلاع على مراجع البحث وقفت على كتاب بعنوان: الأحكام الفقهية للأمراض النفسية، للدكتور: أنس بن عوف وهو كتاب نفيس ومفيد، لكن لما ذكر (النفس) توصل إلى نتيجة قال فيها:

«يمكننا أن نقول أن النفس التي هي موضوع الطب النفسي ليست هي الروح، وإن كانت مما سمَّته العرب نفساً، ذلك أن الروح لا سبيل لدراستها ولا إدراك كُنْهِهَا فضلاً عن ادعاء معالجتها، والله يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾»[٢][٣].

وهنا على هذا الكلام وقفات عدَّة:

الوقفة الأولى: أن النصوص من الكتاب والسنة النبويَّة (قد دلت على أن الروح والنفس شيء واحد فهما لفظان مترادفان يدلان على مسمَّى واحد وهو النفس التي تكون في البدن، لكن غالباً ما تسمَّى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وإذا كانت خارج البدن فتسمَّى روحاً غالباً)[٤].

(١) مقدمة كتاب البحور الزاخرة في علوم الآخرة للشيخ محمد السفاريني رحمه الله.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

(٣) الأحكام الفقهية للأمراض النفسيةوعلاجها، د. أنس بن عوف، ص ٤٩.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤.

قال ابن القيم رحمه الله: «أما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة، وهي النفس.

وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح؛ كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[(١)]، وكذلك الروح التي أيد بها روحه المسيح ابن مريم، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[(٢)]، وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن»[(٣)].

الوقفة الثانية: أن الروح والنفس من المخلوقات الغائبة عن مشاهدتنا، ولا يمكن لأحد رؤيتها والوقوف على حقيقتها؛ لأنها سرٌّ من أسرار الله في خلقه، لكن نعرفها من خلال صفاتها وآثارها على ضوء ما جاءت به النصوص، فالإيمان بالنفس وحقيقتها داخل في الإيمان بالغيب.

الوقفة الثالثة: قال الدكتور: (أن النفس التي هي موضوع الطب النفسي ليست هي الروح)، وهذا نفي ليس بصحيح، ويلزمه الدليل على هذا النفي، وفي الوقت نفسه يلزمه البديل، وأنَّى لأحدٍ ذلك.

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة المائدة: ١١٠.

(٣) الروح: ٢٦٩.

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم في إثبات الروح ووصفها: «وقد تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل على أنها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل، وتخرج، وتذهب وتجيء... وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة (الروح والنفس) وبيَّنا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وإن من قال غيره لم يعرف نفسه»[(١)].

الوقفة الرابعة: ذكر الدكتور أن الروح سمَّتها العرب نفساً، والجواب أن الذي سمَّى الروح نفساً هو خالقها وموجدها، وأقسم بها، قال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[(٢)]، وأقسم بها ووصفها بأنها لوَّامة. وقال سبحانه: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[(٣)]. قال الحسن البصري رحمه الله: «هي النفس المؤمنة، إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً، ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها»[(٤)].

وخاطبها في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾[(٥)].

ووصفها بأنها أمارة بالسوء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا

(١) الروح، المسألة الخامسة، ص ٤٩.

(٢) سورة الشمس: ٧.

(٣) سورة القيامة: ٢.

(٤) مدارج السالكين: ٣٣١.

(٥) سورة الفجر: ٢٧.

مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾[(١)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾[(٢)] وقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾[(٥)].

وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾[(٧)]، وقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[(٩)].

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[(١٠)].

---

(١) سورة يوسف: ٥٣

(٢) سورة النور: ٦١.

(٣) سورة النساء: ٢٩.

(٤) سورة النحل: ١١١.

(٥) سورة المدثر: ٣٨.

(٦) سورة الفجر: ٢٧.

(٧) سورة الأنعام: ٩٣.

(٨) سورة النازعات: ٤٠.

(٩) سورة يوسف: ٥٣.

(١٠) سورة الشورى: ٥٢.

وعلى الوحي الذي يوحيه إلى أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[(٢)]. وسمَّى ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها ألبتة، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة»[(٣)].

الوقفة الخامسة: يقول الدكتور: (إن الروح لا سبيل لدراستها)، والجواب أن هذا النفي غير صحيح بل هي مدروسة على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة، وهناك مؤلَّفات ودراسات عنها قديماً وحديثاً، وأشهرها وأجمعها كتاب الإمام ابن القيم «الروح» وهو مطبوع ومحقق وغيره كثير، ومنها (الروح في القرآن)، تأليف: محمد نبهان الخباز، ومنها: (النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن) للشيخ الدكتور: محمد خليل محمد.

الوقفة السادسة: يقول الدكتور عن الروح: «ولا سبيل لإدراك كُنْهِهَا»، وهذا قول حق، فإنا لا نعلم كُنْهِها ولا حقيقتها، لأن الشيء إنما يدرك كُنْهِه، بواحد من ثلاثة:

---

(١) سورة غافر: ١٥.

(٢) النحل: ٢.

(٣) الروح لابن القبيم ص ٢٦٦، ٢٦٧.

أ - إما برؤيته، ونحن لم نر الروح ولا ادعى ذلك أحد.

ب - إما برؤية المثيل والروح ليس لها مثيل في الخارج.

ج - وإما بالخبر، والله سبحانه أخبرنا بوجود الروح ولم يخبرنا بكيفيتها وحقيقتها، وأخبرنا بصفاتها ولم يخبرنا بكُنْه تلك الصفات، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[(١)].

الوقفة السابعة: يرى الدكتور أنه لا يمكن معالجة النفس والروح، وهذه دعوى غير صحيحة بل تعالج بأعظم علاج وأنفع دواء، وهو كلام ربها وخالقها وموجدها من العدم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(٢)].

وهكذا تعالج باستعمال الأدوية الحسيَّة المباحة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ**»[(٣)].

الوقفة الثامنة: ختم الدكتور كلامه على جميع ما نفاه من حال النفس والروح مستشهداً بقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[(٤)]، وكأنه - وفقه الله - لا يرى الخوض في الروح استدلالاً بهذه الآية.

---

(١) سورة البقرة: ٣٢.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢١٥، وصححه ابن حبان (٦٢١٣).

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

والجواب عن هذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نُهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها، أما الكلام بغير علم فذاك محرم في كل شيء»[1].

وأيضاً: أن الروح المذكورة في هذه الآية للعلماء في معناها أقوال كثيرة يذكرها المفسرون، وقد تتبَّع هذه المعاني مؤلف «الروح في القرآن» فأوصلها إلى أربعين معنى[2].

«وإذا كان الراجح في معنى الروح في الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[3] أنها التي بها الحياة، فليس في الآية نهي عن إجابة من سأل عنها، ومعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[4] أي أنها من جملة ما أمر الله به في الأمر الكوني القدري، وكل مخلوق فهو كائن بأمر الله الكوني القدري»[5].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6].

الوقفة التاسعة: إذا كان سعادة الدكتور يرى أن الروح لا سبيل إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٣١.

(٢) الروح في القرآن، للشيخ: محمد نبهان الخباز، ص ٤٦ - ٤٩.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

(٥) شرح العقيدة التدمرية، ص ٢١٢، للشيخ عبدالرحمن البراك.

(٦) سورة يس: ٨٢.

علاجها على حدِّ علمه، فإني أحيله على كلام نفيس للإمام ابن القيم – رحمه الله – والعلماء هم ورثة الأنبياء، فإنه ذكر عشرين أمراً تتعلق بالطبيب الحاذق الماهر، ويهمنا هنا الأمر السابع عشر، يقول ابن القيم رحمه الله في وصف الطبيب الحاذق: أن يكون له خبرةٌ باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وذلك أصلٌ عظيمٌ في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهودٌ، والطبيب إذا كان عارفًا بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقًا في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيبٍ، وكل طبيبٍ لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ، بل متطببٌ قاصرٌ، ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرُّع والابتهال إلى الله، والتوبة[(١)]، ولهذه الأمور تأثيرٌ في دفع العلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه، وقد تقدم ذكره[(٢)].



(١) قد ذكرت شيئاً من هذا تحت عنوان: «أثر الدعاء والأذكار» سيأتي ص ٢٤٤.

(٢) انظر: ص ٢٦.

نظرة حول الاضطرابات النفسية

جديرٌ بكل إنسان حزين أن يستعين بالله عز وجل في التصدّي لكل الأزمات، ولاسيما الأزمات النفسية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1]، فالدنيا جبلت على كدر، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى حال يعقوب عليه السلام حينما أشفق عليه أبناؤه من الحزن على فراق يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾[3]، قوله: (حتى تكون حرضًا)، يقول: حتى تكون دَنِفَ الجسم مخبولَ العقل[4]. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ، «سَمِعْتُ نَشِيجَ[5] عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَنَا فِي آخِرِ الصُّفُوفِ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[6]»[7].

(١) سورة ق: (آية ١٦).

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة يوسف: (آية ٨٥).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (١٦ / ٢٢١).

(٥) النشيج: بكاء أو تنهُّد بأنفاس سريعة.

(٦) سورة يوسف: (آية: ٨٦).

(٧) صحيح البخاري: (١ / ١٤٤)

وقد يؤثِّر الحزن على الجوارح كما حصل ليعقوب عليه الصلاة والسلام أسفاً على فقد يوسف عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ (١).

ومن أعظم أسباب الشفاء بعد فعل الأسباب المشروعة؛ التوكل على الله والإيمان بعقيدة القضاء والقدر والابتلاء والرجاء فيما عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ (٢).

في هذه الآية الكريمة تسلية لكل إنسان في هذه الحياة الدنيا فإنها جُبلت على كَدَر.

وللإمام القرطبي رحمه الله كلام مفيد وتعليق نفيس على هذه الآية الكريمة، يقول - رحمه الله -: قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطًا (٣)، وشد رباطًا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الإنسان الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد،

(١) سورة يوسف: آية ٨٤.

(٢) سورة البلد، آية ٢٤.

(٣) ويسمَّى أيضاً المقاط وهو حزام يربط به على الطفل في المهد حين ولادته قرابة العام.

ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد محنًا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يومٌ إلا يقاسي فيه شدةً، ولا يكابد إلا مشقةً، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[1]، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد، ودلَّ هذا على أن له خالقًا دبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فليمتثل أمره[2].

قلت: وأعظم مكابدة، مكابدة المسلم نفسه في هذه الحياة على الاستقامة على دين الله وشرعه بامتثال أوامره، فعن أبي عبد الرحمن السلمي، سمعت أبا علي السري، يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت: " **شيبتني هود** " قال: " نعم " فقلت: ما الذي شيبك منه قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: " لا، ولكن قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾[3][4].

---

(١) سورة البلد، الآية: ٤.

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٦٢).

(٣) سورة هود: ١١.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٢١٥٥)، باب ذكر سورة الأنعام (٤/ ٨٢).

وكذا يكابد نفسه بالحذر من الوقوع في المعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[(٢)].

وقد أطلت التعليق على هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[(٣)]، لأنها في الحقيقة منهج وسلوك في حياة كل إنسان، وفيها تسلية له في هذه الحياة الدنيا؛ ولكن المسلم يقابل حياته بالصبر والاحتساب وحسن الظن بالله، والرجاء فيما عند الله بالعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[(٤)]، وفي هذه الآية بشارة لكل مسلم صابر، فهنيئاً للصابرين والصابرات.

والإنسان إذا لم يكابد حياته بهذه الأمور الحميدة؛ حصل له من الهم والقلق واليأس والاضطراب، وغير ذلك مما مذكورٌ بعضها في ثنايا هذا الكتاب.

فلا بد أن نعلم أن الوقاية خير من العلاج والشريعة جعلت أسباباً تقي

---

(١) سورة النازعات: ٤٠، ٤١.

(٢) سورة الرحمن: آية ٤٦.

(٣) سورة البلد، آية ٢٤.

(٤) سورة البقرة، آية ١٥٣.

الإنسان بإذن الله من حِدَّة الأزمات النفسية.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[(١)].

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيسلِّم ذلك ويرضى»[(٢)].

وقرأ عكرمة وعمرو بن دينار: يَهْدأ قَلْبَهُ، مهموزاً.

قال أبو الفتح: أي: يطمئن قلبه، كما قال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[(٣)][(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٥)].

وقال تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ

(١) سورة التغابن، آية ١١.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٤٢١).

(٣) سورة النحل، آية: ١٠٦.

(٤) المحتسب في تبيين وجوه القراءات ٢/ ٣٢٣.

(٥) سورة التوبة، آية ١١٨.

لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[(٥)].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

"ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، فقال التوكل حسن الظن بالله"[(٦)].

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: «إن إقواماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أُحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٧)][(٨)].»

---

(١) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٩.

(٣) سورة الصافات، آية ٨٧.

(٤) سورة الطلاق، آية ٣.

(٥) سورة النساء، آية ٦.

(٦) مدارج السالكين (ص ٤٠٤).

(٧) سورة فصلت، آية: ٢٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٥٣).

قلت: وصدق - والله - الحسن البصري رحمه الله، فإن حسن الظن بالله يكون مع العمل الصالح، وفعل الأسباب المشروعة، فعن جعفر ابن عمرو بن أمية، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَبِي -صلى الله عليه وسلم-: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟. قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَلْ"(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢).

فانظر يارعاك الله كيف أن هؤلاء المؤمنين فعلوا الأسباب المشروعة العظيمة من الإيمان بالله ثم الهجرة والجهاد في سبيل الله ومع هذا يرجون رحمة الله، فنسأل الله أن يعاملنا برحمته وكرمه وإحسانه، إنه سميع مجيب، آمين.

كما أن الوصايا الإلهية والنبوية لا يعدلها شيء قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾(٤).

(١) رواه ابن حبان، حديث رقم ٢٥٤٩، (٨/ ٢٤٣).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٣) سورة الحجر: (الآيات ٩٧- ٩٩).

(٤) سورة الفرقان: (آية ٣٢).

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع، ورب الأرض رب العرش الكريم) [١]. وهذا الحديث العظيم من أذكار وأدعية الكرب، والغم والهم والحزن.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَلْبَسَهُ اللهُ نِعْمَةً فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْحَمْدِ للهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ رِزْقُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» [٣].

وذُكِر عن ابن عباس – رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، (مَن كثرت همومه وغمومه، فليُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله)[٤].

وهذه كلمة عظيمة فيها ذكر وثناء على الله – عز وجل –، وفيها دعاء والتجاء، وهي كنز من كنوز الجنة يُستحبّ للمسلم أن يكثر من قولها في كل حين، بخلاف ما يعتقده العامَّة حينما يقولونها عند المصائب فقط، والله المستعان.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٥١٨)، وابن ماجه برقم (٣١٨٩).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٦٥٥٥، (٦/ ٣٣٣).

(٤) رواه أحمد برقم (٢١٦٦٠، ٢١٦٢٤).

وقبل أن أشرع في الحديث عن إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين لابد من التعريج ولو قليلاً عن الاضطرابات النفسية لإدراك الفارق بينهما.

وكما أن للوعي والتثقيف الصحي دوراً فاعلاً في عدم ازدواجية المريض ما بين الراقي والطبيب النفسي؛ فعلينا أن نميّز ما بين الأمراض النفسية وإصابة المريض بالمس من الجن أو السحر أو العين حتى نستطيع التعامل الصحيح مع المريض؛ فمن خلال بحثي في كتب الطب النفسي لم أجد أشمل من تلك النشرة الموجزة الصادرة من مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض؛ فحينما تصدر مثل هذه النشرة التوعوية من صرح شامخ تابع لوزارة الصحة غالباً ما تكون أحرى للصواب من غيرها ، ولهذا أدرجتها من ضمن أهم موضوعات هذا الكتاب بغرض الإسهام في نشرها؛ لتعمّ الفائدة منها، وليطّلع عليها الكثير.

على الرغم من انتقاد أحد الأطباء النفسيين لهذه النشرة والقول بأنها ليست كافية، بينما أقرّها بعض الذين استشرتهم من الأطباء النفسيين ويقولون بأنها رسالة جيدة لتوعية المريض وأسرته «وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»[(١)]، وأعتقد أن عدم التوافق على مثل هذه النشرة يُعدّ أمراً طبيعياً ويعود إلى ما ذكر د.محمود مندوه في «**مفهوم الصحة النفسية باختلاف المدارس النفسية**»: بقوله: (من خلال استعراض التراث السيكولوجي ذي

---

(١) هذا مثل عربي مشهور يُضرب للاكتفاء والقناعة بالشيء الجيد ولو كان قليلاً، «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ١٩٦، المثل رقم (١٠٣٥).

الصلة بتعريف مفهوم الصحة النفسية تبين عدم وجود تعريف جامع مانع، مما أدى إلى ظهور تعريفات عديدة ومختلفة لهذا المفهوم، وتعزى إلى الاختلاف في الخلفيات النظرية لعلماء النفس، حيث أخذ كل باحث يُعرّفها من إطار النظرية التي يتبناها، والمدرسة التي ينتمي إليها. فمثلاً: يلاحظ أن مفهوم الصحة النفسية في المدرسة الفرويدية (مدرسة التحليل النفسي) يختلف عنه في كل من (المدرسة السلوكية) و (المدرسة المعرفية) و(المدرسة الإنسانية) [١].

قال تعالى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[٢].

وقبل أن أنتقل إلى الاضطرابات النفسية[٣] لا بد من الإشارة إلى العلاج الديني.

يقول الدكتور زهير أحمد السباعي: (فإن الدين الإسلامي أولى العلاج النفسي اهتماماً بالغاً، فهو يعالج النفس القلقة المضطربة ويجعل أهم مقومات علاجها والوقاية من أمراضها الإيمان بالله والتقوى، وذكر الله والصلاة، وهي جوانب لو قدرناها حق قدرها لكانت كفيلة بالقضاء على الغالبية العظمى من الأمراض النفسية) [٤].

---

(١) الصحة النفسية لـ د. محمود مندوه محمد (ص:١٥) الطبعة الأولى ١٤٣٢، مكتبة الرشد الرياض.

(٢) سورة يوسف، آية: ٧٦.

(٣) نشرة توعوية عن الاضطرابات النفسية، الصادرة: من مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض.

(٤) الطبيب، أدبه وفقهه، للدكتور: زهير أحمد السباعي، والدكتور: محمد علي البار ص ٨٠.

ويقول الشيخ بسام السلامة: «ولهذا يلجأ العلماء النفسانيون إلى الدين لعلاج الأمراض النفسية، يقول الدكتور: عبدالعزيز القوصي: لو استعرضنا الموضوعات التي تبحثها كتب الأمراض النفسية لوجدنا أن الإيمان بالله هو العلاج للمشكلات التي يعدَّها علماء النفس معضلات لا تُحلّ إلا بصعوبة»[(١)].

إن غير المسلم لا يشعر بالسعادة الحقيقية أبداً؛ لأنه يعيش في فراغ روحي.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «ففي القلب شعث لا يلمُّه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلواته.

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه فاقة لا يسدُّها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً»[(٢)].

هذا وبعد هذا العرض الموجز عن عظمة النفس الإنسانية أنتقل إلى ذكر موجز لبعض الاضطرابات النفسية التي تطرَّق إلى ذكرها أطباء

---

(١) الإيمان بالغيب، بسام السلامة، ص ١٥٥.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٦٤).

العلاج النفسي، وإليك أيها القارئ الكريم مضامين تلك النشرة الطبية النفسية[١]، وهي على النحو التالي:

- القلق.
- الرهاب.
- الاكتئاب.
- الهوس.
- الفصام.
- الاضطرابات النفسجسدية.

❁ ❁ ❁

(١) نشرة توعوية عن الاضطرابات النفسية، الصادرة: من مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض.

القلـق

أولاً: تعريفه :

هو حالة توتر شامل نتيجة الإحساس بتهديد خطر فعـلي أو رمـزي أو متخيل، ويصحبها دائما خوف غامض ، وأعراض نفسية وجسمية، ويعـد القلق من أكثر حالات العصاب شيوعا حيث يمثل مـا يـتـرواح بـين ٣٠٪ و٤٠٪ من الاضطرابات العصابية ويـشيع لـدى الإنـاث وعنـد الأطفـال والمراهقين وفي سن القعود والشيخوخة.

ثانياً : تصنيف القلق :

يصنف القلق حسب درجته ومصادره إلى :

* **القلق الموضوعي العادي**: ويكون مصدره خارجياً وموجوداً فعلا ويطلـق عليه أحيانا القلق الواقعي، ويحدث هذا في مواقف التوقع، أو الخوف مـن فقدان شيء مثل قلق النجاح في عمل أو امتحان، أو عنـد الإقـدام عـلى الزواج، أو وجود خطر ما، وهذا النوع يواجه الإنسان دائماً ويعد طبيعياً .
* **حالة القلق العصابي**: وهو داخلي المصدر وأسـبابه لا شـعورية مكبوتـة غير معروفة ولا مبرر له ولا يتفق مع الظروف الداعيـة إليـه ، ويعـوق التكيف مع المجتمع والقدرة على الإنتاج والتقدم .
* **القلق العام** : الذي لا يرتبط بأي موضوع محدد ، بل تجدهُ غامضاً وعاماً وعائماً .

❊ **القلق الثانوي**: وهو القلق كعرض من أعـراض الاضـطرابات النفـسية الأخرى ، مثل الاكتئاب .

ثالثاً: أسباب القلق :

❊ **العامل الوراثي**.

❊ **عوامل نفسية**: مثل الشعور بالتهديد الداخلي أو الخارجي الذي تفرضـه بعض الظروف البيئية لمكانة الفرد وأهدافـه والتـوتر النفـسي الـشديد. والأزمات، أو المتاعب، أو الخسائر المفاجئة والصدمات النفسية والمخـاوف الشديدة في مرحلة الطفولة المبكرة والشعور بالعجز والنقص.

❊ **عوامل أخرى**: مثل الضغوط الحـضارية ، والثقافيـة ، والبيئيـة الحديثـة ومطالب ومطامح المدنية المتغيرة واضطرابات الجو الأسري والتفكـك الاجتماعي بالإضـافة إلى مـشكلات الطفولـة والمراهقـة والـشيخوخة والطرق الخاطئة في تنـشئة الأطفـال مثـل القـسوة والتـسلط والحمايـة الزائدة والحرمان واضطرابات العلاقة الشخصية مع الآخرين(١) .

رابعاً : أعراض القلق :

❊ **أعراض جسمية**: كالضعف العام ونقص الطاقة الحيويـة والنـشاط والمثـابرة وتـوتر العـضلات والنـشاط الحركـي الزائـد والتعـب والـصرع المـستمر وتصبب العـرق وارتعـاش الأصـابع وشـحوب الوجـه وسرعـة النـبض والخفقان ، الآم الصدر والإحساس بضيق التنفس وارتفاع الضغط الـدوار

---

(١) قلت: وكل هذه العوامل من سنن الله في الحياة، فإنها جبلت على كدر، والله المستعان.

والغثيان وفقدان الشهية ونقص الوزن مع اضطرابات النوم والأرق والأحلام المزعجة[1] .

* **أعراض نفسية**: وتشمل القلق العام، والقلق على الصحة والعمل والمستقبل، والعصبية والتوتر العام وعدم الاستقرار والشعور بعدم الراحة والفزع أحيانا والشك والارتباك والتردد في اتخاذ القرارات والهم والاكتئاب العابر والتشاؤم والانشغال بأخطاء الماضي، وكوارث المستقبل وتوهم المرض والإحساس بقرب النهاية والخوف من الموت. وضعف التركيز. وشرود الذهن. وضعف القدرة على العمل والإنتاج والإنجاز وسوء التوافق الاجتماعي .

---

(١) ينبغي للمؤمن ألا يتلفت إلى الأحلام المزعجة فإنها من الشيطان كما جاء من حديث قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا الصالحة - وفي رواية - الرؤيا الحسنة - من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوَّذ من الشيطان فإنها لا تضره»، متفق عليه. رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله رقم (٦٩٨٤)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم (٢٢٦١).

قال الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله معلقاً على الحديث: «وبعض الناس إذا رأى شيئاً يكرهه ذهب يتلمس مَن يفسر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها ومن شرّ الشيطان، ولم يحدِّث بها أحداً، ثم لا تضره وكأنها ما صارت». شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٤/ ٣٧٦.

خامساً: علاج القلق :

* **العلاج النفسي** (العلاج السلوكي المعرفي): بهدف تطوير الشخصية وزيادة البصيرة وتحقيق التوافق .

* **الإرشاد العلاجي والاجتماعي**: حل مشكلات المريض وتعليمه كيف يواجه المشكلات ، وما طرق المواجهة.

* **العلاج البيئي**: بتعديل العوامل ذات الأثر الملحوظ مثل تغيير العمل. وتخفيف أعباء المريض والضغوط الواقعة عليه. ومثيرات التوتر والعلاج الاجتماعي والرياضي والرحلات والصداقات والعلاج بالعمل.

* **العلاج الطبي**: للأعراض الجسيمة المصاحبة وتطمين المريض باستخدام مضادات القلق أو الاكتئاب .

سادساً : مآل المرض :

إذا كانت الشخصية قبل المرض متوازنة . وعندما تكون ظروف حياة المريض أقل قسوة ودافعية للشفاء وتعاونه مع المعالج عالية فإن مآل المرض طيب وقابل للتحسن .



الرهــاب

الخوف[١] من حيوان مفترس يهدد حياة الإنسان، أو من وجه مرعب يظهر لك فجأة دون توقع في مكان مظلم، أمر عادي لا يتجاوز الخوف الطبيعي العادي وهو خوف غريزي وحقيقي، ويختلف عن الخوف المرضي الذي يكون حالة غير طبيعية وهو خوف دائم ومتكرر ومتضخم من أشياء لا تخيف في العادة. ولا يعرف المريض لها سبباً، وهذا ما سنفصل فيه كما يلي:

أولاً : تعريفه :

هو حالة الخوف التي تمتلك الفرد أمام موقف أو موضوع لا يتصف عادة بصفات الخطر. ويدرك الإنسان أن مخاوفه تلك لا تعود إلى سبب منطقي ولكنه مع ذلك لا يستطيع تجنبها. مما يؤدي إلى تجنب الفرد الالتقاء مع الموقف أو الموضوع الذي يخيفه ويحاول دائما أن يكون برفقة شخص آخر يشعره بالاطمئنان. ويظهر الرهاب عادة في سن الشباب وهو شائع عند النساء أكثر من الرجال . وقد دلت الدراسات على أن الرهاب يشكل حوالي ٢٠٪ من مجموع مرضى العصاب.

ثانياً : أسباب الرهاب :

* عوامل وراثية.

* زيادة في إفراز مواد كميائية في بعض مراكز المخ .

---

(١) سيأتي الكلام عن أنواع الخوف ص ٢٢٢.

* خبرات مخيفة وقعت في أيام الطفولة

* البيئة المضطربة في أسر يشوبها الشجار والتهديد بالانفصال أو عقاب الأطفال وتخويفهم بقصص وأخبار مؤلمة ومخيفة .

* الخوف الذي ينتقل عن طريق المشاركة الوجدانية والأبعاد والتقليد (انتقال عدوى الخوف من مريض مصاب بالرهاب إلى المحيطين والمخالطين).

ثالثاً : أعراض الرهاب :

يرافق الرهاب أعراض عدة منها :

* القلق. التوتر. الشعور بالتعب . الإغماء. خفقان في القلب. تصبب العرق. والشعور بالارتجاف .

* اضطراب الكلام . وكثرة التبول .

* عدم الشعور بالأمن وتوقع الشر .

* الانسحاب من المشاركة الاجتماعية إلى حد أن يصبح عائقا حقيقياً في حياة المريض .

رابعاً: أشكال الرهاب :

- **رهاب الساحة :**

(الساحات أو الأماكن المتسعة) وهي أكثر أنواع الرهاب انتشارا حيث يخاف المريض من الشوارع المزدحمة. أو الأماكن العامة. والواسعة. أو حتى الأماكن المغلقة (مصعد. غرفة مغلقة. طائرة. حافلة) ويصاب المريض في هذه الأماكن بحالة قلق لعدم تمكنه من الخروج بسهولة.

وعندما يوجد في هذه الأماكن يشعر بدوار وضيق. وقد يتتابه خوف من فقدان الوعي أو الموت .

- **الرهاب الاجتماعي :**

ويظهر عادة عند المراهقين من الجنسين ويكون أحيانا طبيعياً وعابراً، ولكن قد يستمر ويشتد ويصبح مرضا يؤدي إلى الإعاقة الاجتماعية لهؤلاء الأشخاص شديدي الحساسية للانتقاد ويمتلكهم خوف من الظهور أمام الناس بمظهر الغباء أو السذاجة وغيرها من الانطباعات السلبية . ويتجلى ذلك بشكليات عديدة. (تلعثم في الكلام. احمرار الوجه. رجفة في الأيدي. رغبة شديدة في التبول. تعرق وجفاف في الحلق. خفقان في القلب. الشعور بالدوار. السقوط. وعدم القدرة على الاستمرار واقفاً) وقد يؤدي ذلك الرهاب إلى اضطرابات نفسية أخرى مثل: الاكتئاب أو الإدمان على الكحول و المخدرات لتخفيف تلك المخاوف.

- **رهاب محدد (منفرد) :**

ويقتصر هذا النوع من الرهاب على مواقف منفردة مثل رهاب الاقتراب من حيوان ما. رهاب الأماكن المرتفعة. رهاب البرق. رهاب الرعد. رهاب الظلام. رهاب الطيران. رهاب تناول مأكولات معينة. رهاب التعرض لأمراض معينة (رهاب الإيدز) رهاب تلوث البيئة أو الاشعاع. رهاب منظر الدم أو الجروح. رهاب استخدام المراحيض العامة.

خامساً: علاج الرهاب :

هناك وسائل وطرق عديدة للعلاج تبدأ بالخطوة الأولى من تحضير المريض وإثارة رغبته في العلاج ومن الطرق المستخدمة :

* العلاج النفسي (ومنها العلاج التحليلي أو العلاج المعرفي السلوكي).
* العلاج الاجتماعي والبيئي .
* تنمية التفاعل الاجتماعي السليم وعلاج المناخ الأسري في حالة عدوى الرهاب .
* العلاج الطبي : باستخدام بعض الأدوية المساعدة حسب حالة المريض مثل مضادات الاكتئاب وحالات القلق .

سادساً : مآل الرهاب :

مآل الرهاب حسن ويدعو إلى التفاؤل عندما يتم التشخيص المبكر والدقيق وانتقاء العلاج الملائم إضافة إلى كسب تعاون المريض وهناك بعض المخاطر من حدوث إدمان نتيجة تعاطي المريض لبعض المخدرات لتخفيف حدة مخاوفه .

❁ ❁ ❁

الاكتئاب

أولاً : تعريفه :

هو اضطراب نفسي يصيب الإنسان بفقدان الإحساس بالمتعة إضافة الى نقص النشاط والإحساس بالخمول والتعب واضطراب النوم والشهية وزيادة أو نقصاناً مع الشعور بضآلة الذات، ولوم النفس، وفي درجاته الشديدة تفكير المصاب المفرط في الموت والإقدام أحياناً على الانتحار[١] كوسيلة للخلاص.

ثانياً : أنواع الاكتئاب :

- **الاكتئاب العصابي أو التفاعلي :**

وتتميز هذه الحالات بوجود عوامل مسببة واضحة مثل (فقد شخص عزيز . الخسارة المادية) وتكون أعراض هذا الاكتئاب خفيفة أو متوسطة وتستمر لفترة زمنية مؤقتة ، حيث تتحسن الحالة مع مرور الوقت .

- **الاكتئاب الذهاني الشديد :**

وهذا النوع لا تكون أسبابه واضحة في معظم الأحيان حيث غالبا ما يكون هناك عوامل وراثية في الأسرة .

- **الاكتئاب المقنّع أو المستتر :**

وهو نوع شائع من الاكتئاب يصعب التعرف عليه وتشخصيه لأن مظاهره لا تكون واضحة حيث يشكو المريض من أعراض بدنية مثل

(١) قلت: وهذا – والعياذ بالله – كالمستجير من الرمضاء بالنار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الصداع أو ضيق الصدر وتتحسن هذه الحالة عند اكتشافها وعلاجها بالأدوية المضادة للاكتئاب .

- **أسباب الاكتئاب :**

قد تكون خارجية كالظروف الاجتماعية (الخلافات الزوجية) أو المادية أو الأحداث المحزنة (موت إنسان عزيز) أو أسباباً داخلية تؤدي إلى خلل في وظيفة الدماغ والنواقل الكيميائية فيه .

ثالثاً / علاج الاكتئاب :

الاكتئاب كاضطراب مرضي يجب معالجته مثل الأمراض التي تصيب الأعضاء الاخرى، ومع تطور العلوم الطبية والصيدلانية في الآونة الأخيرة فإن علاج الاكتئاب يعطي نتائج جيدة تصل إلى ٨٥ – ٩٠ ٪ يمكن للشخص المصاب بعدها أن يعيش حياة أفضل ملؤها الأمل والنشاط.

وينبغي مراجعة الطبيب المختص فور ملاحظة الأعراض المذكورة سابقاً وذلك من قبل المريض أو أسرته أو أصدقائه المقربين الذين من واجبهم نصح المريض أو مرافقته في حال عدم رغبته في ذلك ، ومساعدة الطبيب من خلال إعطائه المعلومات الكافية عن حالة المريض والالتزام بالمواعيد واتباع التعليمات الطبية لإنجاح الخطة العلاجية بشكل أفضل وأسرع .

وتجدر الإشارة الى أن الأدوية المضادة للاكتئاب فعالة لكن نتائجها لا تظهر قبل أسبوعين أو ثلاثة من بدء العلاج حتى بعد التحسن قد يستمر

العلاج مدة زمنية يحددها الطبيب حسب طبيعة الحالة .

ما الآثار الجانبية للعلاج ؟

الأدوية المضادة للاكتئاب كغيرها من الأدوية قد تسبب آثاراً مزعجة عند تناولها تخف عادة بعد مدة من بدء العلاج ، وفي حال استمرارها يجب إبلاغ الطبيب واتباع إرشاداته .

هل يعتمد العلاج على الأدوية فقط؟

يضطر أحياناً الطبيب لاستبدال نوع الدواء، وفيما لم يحصل على النتائج المطلوبة يمكن إشراك الوسائل العلاجية الأخرى(١) كالعلاج النفسي مما يعطي نتائج إيجابية وفعالة في كثير من الحالات .



(١) قلت: أما الوسائل الأخرى فلا تقلّ أهميتها عن العلاج بالقرآن الكريم قال تعالى: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)، فقد يتوهَّم القارئ الكريم أو من لديه اضطرابات نفسية أن هناك تعارضاً بين العلاج بكلام الله – عز وجل – وبين العلاج بالأدوية الحسيَّة المباحة، وهذا خطأ فالكل من عند الله شرعاً وكوناً وقدراً، وعليك أيها القارئ الكريم بهذه الوصية النبوية الكريمة وستجد العلاج الناجع الذي يعقبه الراحة النفسية والسكينة والهمَّة العالية والعزيمة والنشاط بإذن الله، قال صلى الله عليه وسلم: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَّ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ»، أخرجه البخاري في صحيحه، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل برقم ١١٤٢ (٢/ ٥٢)، ومسلم، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٢٠٧ (١/ ٥٣٨).

الهـوس

أولاً : تعريفه:

يصنف الهوس ضمن اضطرابات الوجـدان ويعنـي حـدوث تغـير في المزاج أو الوجدان إما في اتجـاه الابتهـاج أو الاكتئـاب وعـادة مـا تحـدث اضطرابات الهوس في صورة نوبات متكررة، ونوبة الهوس أكثر نـدرة مـن الاكتئاب وأحياناً يتناوب مع نوبـات الاكتئـاب، فتـارة اكتئـاب وأخـرى مرح، وأحياناً تتكرر نوبات المرح دون نوبات الاكتئاب وتعد كلا النوبتين جزءاً من الاضطراب الوجداني ثنائي القطب. وتختلف أعراض ذهـان المـرح حسب شدة الحالة.

- **نسبة الانتشار :**

تنتشر الاضطرابات الوجدانية بنسبة تتراوح من ١ الى ٥ ٪ بين الأفراد وذلك بغض النظر عن الفروق الحـضارية والمواقـع الجغرافيـة ، وفي نوبـة الانبساط يبدو المريض في حالة فرح شديد مع الـشعور بتحـسن الحـال أو الشعور بالعظمة وكثرة النشاط وكثرة الكلام مع تسارع الأفكـار، والبـدء في عدة مشروعات دون استعداد لها ، والبذخ المسرف مع التبهـرج البعيـد عن اللباقة ، وعن طبيعة المرء ، ومن جراء هذه الزيادة فإن المريض يصاب بالأرق وفقدان الشهية للأكل وينتهي بحالة من الإرهاق والإعياء التام.

ويحدث أن تكون نوبة الهوس من الشدة بحيث تشكل عائقاً للمريض في الجانب الاجتماعي ، والوظيفي تستمر لمدة أسبوع على الأقـل ، ويكـون

تغير المزاج مصحوباً بزيادة في النشاط ، والطاقة ، وعدد من الأعراض المشار اليها..

ثانياً : أسباب الهوس:

تعددت النظريات في أسباب هذا المرض ومنها:

* **دور الوراثة في هذا المرض**: حيث تتراوح النسبة بين أبناء المصابين بهذا المرض ما بين ١٠٪ و ١٣٪.

* **الأسباب العضوية**: حيث يكون هناك خلل في حساسية المستقبلات العصبية ، ولذا فإن العلاج بالعقاقير يعدل من نسبة الموصلات.

ثالثاً : الأعراض:

* ارتفاع المزاج بدرجة لا تتناسب مع ظروف المرض: ويتراوح بين التفاؤل المفرط إلى النشوة والتفخيم ، وقد تصل إلى هيجان غير قابل للسيطرة عليه.

* الشعور بالثقة الزائدة أو العظمة التي تصل إلى ضلالات.

* قلة النوم.

* زيادة ضغط الكلام مع تسارع الأفكار.

* تشتت الانتباه.

* زيادة النشاط الحركي.

* تجاوز اللباقة الاجتماعية الطبيعية.

رابعاً: العلاج وأساليبه:

- **العلاج بالعقاقير:**

ومنها معدلات المزاج مثل: الليثيوم ، ومضادات الذهان ، وقد يتطلب الأمر إدخال المريض المستشفى.

- **العلاج النفسي، والاجتماعي:**

لإقامة علاقة بين المريض والمعالج وتفهم مشكلة المريض وصراعاته الداخلية.

- **توعية المريض وذوية بطبيعة المرض**[1].

ومآله وأهمية استمرار العلاج والمتابعة حتى في أوقات التحسن. ويشمل ذلك التعريف بمبادئ الانتكاسه مثل قلة النوم وغيرها من الأعراض.

خامساً : مآل المرض:

* يختلف سير المرض تبعاً لطبيعة المريض ونوع النوبة وشدتها ،ولكن عادة ما ينتهي الاضطراب الوجداني بالشفاء والتحسن الكامل.
* تختلف مدة المرض اختلافاً واضحاً وغالباً ما تتراوح بين ٦ أشهر وسنة كاملة إذا تُرك المريض دون علاج أو تدخل ، ولكن بالعلاجات الحديثة المتعددة تقل المدة من ٤ إلى ٨ أسابيع. .
* الاضطراب الوجداني يأخذ طابعاً دورياً متكرراً فتكرر النوبات على المريض أحياناً مرة واحدة أو مرتين، وفي بعض المرضى عدة مرات سنوياً أو في بعض فصول السنة.

---

(١) قلت: فقد يساعد تثقيف المريض وأسرته بطبيعة المرض على الشفاء -بإذن الله-.

الفصـام

أولاً: تعريفه:

هو أحد الاضطرابات العقلية التي تصيب الإنسان وتتضح في اضـطراب الأفكار والعواطف والتصرفات ولا تتجاوز نسبة انتـشاره ١٪مـن أفـراد المجتمع وعادة ما تبدأ أعراضه في الظهور من سن ١٥ إلى ٢٥ عاماً.

ثانياً: أعراض الفصام:

يشعر المريض بالفصام باضطرابات في:

- **التفكير:**

اضطراب التفكير قد يكون في المحتوى أو الشكل وبما أن الحديث هـو مرآة للتفكير يمكن قياس مدى الاضـطراب حـسب وجـود الـضلالات وشدتها وتمـسك المـريض بهـا وفـشل محـاولات إقناعـه بـضلالتها ومـن أشهرها: ضلالات الاضطهاد-العظمة-الإشارة-التحكم-التوهم.

- **العواطف:**

فقد يفقد المريض بالفصام وبخاصة مع طول مدة المرض القـدرة عـلى التعبير عن عواطفه، وقد تتميز بالسطحية وعدم العمق أو تناقض المشاعر. وفي الحالات الشديدة تبلد للمشاعر.

- **اضطراب الحواس:**

وهو ما يطلق عليه الهلاوس-ومن أشهرها الهلاوس السمعية التي تكـون موجودة في حالات الفـصام وتوجـد بعـض أنـواع الهـلاوس الأخـرى مثـل

الهلاوس البصرية- هلاوس الشم التي قد تكون أكثرها في الأمراض العضوية. وقد تجد المريض في بعض الأحيان يتحدث أو يضحك مع نفسه.

- **اضطراب السلوك:**

قد يظهر مريض الفصام سلوكاً شاذاً أو غريباً. نتيجة استجابته للضلالات و الهلاوس التي لديه،وقد يأتي بحركات غريبة أو شاذه، وقد تظهر عليه الانطوائية في بعض الحالات. التخشب في الجسم، وقد يظهر عليه سلوك عدواني وتهيج في حالات أخرى.

- **اضطراب في الإرادة والدوافع:**

ويعني عدم الرغبة في عمل أي شيء وعدم وجود الدافع لإنجاز الأشياء وهذا ما يجعله غير منتج وقد يترك عمله ويجلس خاملاً طوال ساعات اليوم.

ثالثاً: أسباب الفصام:

غير معروف بالتحديد أسباب الإصابة بهذا المرض ولكن هناك بعض النظريات تتحدث عن عدة عوامل قد يكون لها دور في حدوث الفصام منها :

- **عوامل بيولوجية :**

ويقصد بها خلل في موصلات المخ (الموصلات العصبية).

- **عوامل وراثية:**

حيث وجد أن هناك علاقة وثيقة بين العوامل الوراثية والإصابة بمرض الفصام وأثبتت الأبحاث العلمية أن الإصابة في الأبناء تكون بنسبة ٤٠٪ إلى ٥٠٪ عندما يكون كلا الأبوين مريضاً بالفصام ومن ١٠٪

إلى ١٥٪ عندما يكون أحدهما مصاباً.

- **عوامل الشخصية:**

هنالك علاقة بين الفصام وبين تكوين الشخصية حيث وجد أن الأشخاص الانطوائيين والخجولين منذ الطفولة أكثر إصابة بالفصام .

- **عوامل تتعلق بالأسرة:**

بعض أنواع التربية وأنماطها قد تساعد على إصابة الشخص بالفصام مثل العنف الزائد ، الحرمان العاطفي، إعطاء أوامر متناقضة للطفل من الأب والأم في الوقت نفسه، ويقابل ذلك الدلال الزائد والحنان المتناهي غير المحسوب.

- **عوامل أخرى:**

مثل الضغوط النفسية الشديدة التي تؤدي إلى ظهور أعراض نفسية ذهانية وتكون بداية لمرض الفصام، وكذلك مثل سوء استعمال العقاقير والمخدرات والكحوليات.

رابعاً: العلاج:

يفضل دائماً أن يكون العلاج في صورة خطة علاجية متكاملة دوائية- نفسية واجتماعية ومن مراحله:

- **علاج دوائي:**

في صورة مضادات الذهان التي تنقسم إلى أدوية تقليدية وأدوية حديثة قليلة الأعراض الجانبية مقارنة بالأدوية التقليدية وقد تكون أكثر فعالية في بعض الحالات.

ويجب أن يتعرف المريض أو المرافقون معه على كيفية استعمال العـلاج والجرعة والخطة العلاجية والتأثيرات الجانبية للدواء.

• **علاج نفسي:**

وأشهرهُ التدعيم وعمل الجلسات والاختبارات النفسية اللاّزمة التـي تساعد المريض في عملية التـشخيص وكـذلك العـلاج الأسري والعـائلي اللازم و تغيير أنماط سلوك العائلة. وكيفية معاملة المريض النفسي لـضمان علاجه واستمراره في أداء وظائفه وإشعاره بالاهتمام والحب والحنان بـدلاً من النقد الزائد أو الإهمال الزائد.

• **علاج اجتماعي:**

ويعتمد ذلك على حل مشكلات المريض الاجتماعيـة ، وتغيـير المنـاخ المعرض له المريض، وإذا لزم الأمر الذهاب للمـرضى في أمـاكن إقـامتهم للاطمئنان عليهم ومتابعة حـالتهم وحـل مـشكلاتهم وعمـل علاجـات مفيدة مثل تعلم المهارات الاجتماعية.

• **علاجات تأهيلية:**

مثل علاج منهج المنحة الاقتصادية والعـلاج بالرياضـة التـي تـساعد المريض على الاستبصار بطبيعة حالته وعودته للمجتمـع شـافياً كـشخص نافع ومنتج[١].



(١) سيأتي الكلام عن أثر ممارسة الرياضة على صحة البدن والنفس، ص ٢٦٢.

الاضطرابات النفسجسدية

المرض النفسي الجسدي:

◉ تعريفه:

هو مرض مزمن يظهر بأعراض جسدية متعددة لسنوات وتؤدي إلى تأثير سلبي على أداء الإنسان ويكون منشؤها بسبب عوامل نفسية ولا تكون هناك أسباب عضوية لحدوثها. السمة المميزة لهذا المرض هي الشكوى المتكررة من أعراض جسمية والطلب المستمر لإجراء الفحوصات الطبية بالرغم من النتائج السلبية المتكررة وطمأنة الأطباء للمريض بأن الأعراض التي يشكو منها ليس لها أساس بدني، وعادة ما يقاوم المريض مناقشة احتمال أن يكون سبب الحالة نفسياً وقد يصاحب ذلك وجود أعراض اكتئاب وقلق واضحة. ولا تخلو هذه الاضطرابات عادة من درجة السلوك الجاذب للانتباه خاصة في المرضى الذين يضايقهم فشلهم في إقناع أطباءهم بالطبيعة البدنية الأكيدة لمرضهم.

والمعروف أن تلك الشكوى تكون غالباً متغيرة ومتعددة ومستمرة لفترة طويلة وتشمل كافة أجهزة الجسم، ويتميز الاضطراب بأنه مزمن ومتذبذب، وكثيراً ما يصاحبه تأثير سلبي في السلوك الاجتماعي والشخصي والعائلي.

وقد تظهر الأعراض وكأنها نتيجة لاضطراب جسمي في جهاز أو عضو معين، وأكثر الأجهزة تأثراً هو الجهاز العصبي اللاإرادي، مما يؤدي

إلى أعراض في الجهاز الدوري والدموي أو الجهاز العصبي.

وتشمل الأعراض الدالة على ذلك: الخفقان -العرق- الاحتقان بالوجه- والرجفة باليدين أو الإحساس بالآلم وأوجاع عابرة مثل عسر الهضم، عسر البول، الانتفاخ،زيادة معدل التبول، تقلص المعدة والقولون.

الأمراض النفسية الجسدية:

الألم النفسي الجسدي:

وهو الشكوى من الألم مع عدم وجود أدلة جسدية تدل على سببه مع وجود دلائل نفسية ترجح تفسيره، وعادة ما يكون مكان وانتشار الألم لا يتماشى مع الآلام ذات المنشأ الجسدي ويستمر لفترات طويلة طوال اليوم. وقد يسبب عدم النوم، الاستجابة للأدوية النفسية أفضل من الأدوية العادية وغالباً ما يشمل الأعراض آلام في الرأس، العنق، البطن، وأسفل الظهر، ويكون أكثر انتشاراً وسط النساء. في كل الحالات يجب استبعاد احتمال الأسباب العضوية قبل تشخيص الحالة كألم نفسجسدي مع الأخذ في الاعتبار الظروف والضغوط النفسية والاجتماعية المختلفة ومن ثم إعطاء العلاجات المناسبة(مضادات الاكتئاب مثلا) بجانب العلاج النفسي السلوكي المعرفي.

الاضطرابات النفسية التحولية (الهيستيريا):

هي اضطراب نفسي في مستوى اللاشعور تجاه بعض الضغوط النفسية التي يصعب حلها أو مواجهتها فيتم التعبير عنها (لاشعورياً) بأعراض

جسدية. ويكون ذلك غالبا لتحقيق مكسب أولي لتخطي الموقـف النفـسي الضاغط (بعذر جسدي مقبول، فقدان الصوت، شلل أحد الأطـراف مـثلاً) وتحقيق مكسب ثانوي وهو جذب انتباه وتعاطف الآخرين مع المريض.

ومن أمثلة حالات الهستيريا:

* نسيان موقف أو أحداث بعينها، التوهان والسير دون هدى.
* الأعراض التحولية: فقدان الصوت، فقدان البصر، النوبـات الـصرعية النفسية، عدم الاتزان في السير، الشلل، القيء، الحمل الكاذب.
* متلازمة هستيرية أخرى: الشكوى من عدة أعراض(٩- ١٠ أعـراض) في وقت واحـد ولا يمكـن تفـسيرها كـالأمراض الجـسدية المعروفـة، المبالغة في أعراض وعلامات المرض الجسدي الحقيقي، عرض المـريض نفسه على الأطباء بصفة متكررة بأعراض مرضية خطيرة بغرض الرغبة في التنويم بالمستشفى(إدمان المستشفيات).
* اضطراب الهستيريا يكون أكثر انتشاراً وسط النساء من الرجـال ويمثـل ٣-٤ ٪ من الاضطرابات النفسية، وتكـون الاسـتجابة جيـدة للعـلاج النفسي اللادوائي في الحالات الحـادة مـع وضـوح الارتبـاط بـالموقف النفسي الضاغط.

توهم المرض:

يتمثل الاضطراب النفسي في هذه الحالة في أن المريض يفسر الأعراض

والعلامات الجسدية العادية كأعراض غير طبيعية تدل على وجـود مـرض خطير، ويظل هذا الاعتقاد مستمرا رغم إثبات الفحص الطبي والتحاليـل اللازمة عكس ذلك مما يؤثر على الأداء الاجتماعي والعلمي وسـير الحيـاة اليومية للمريض. لذلك في مثل هذه الحـالات لابـد مـن اسـتبعاد وجـود مرض عضوي بصورة قاطعة. معالجة أي اضطراب نفسي ثانوي (اكتئـاب مثلا) ، تقييم اجتماعي كامل لحالة المرض و من ثم التعامل بحزم ووضوح مع المريض وعدم اللجوء والرضوخ لرغبتـه في الاسـتمرار بعمـل تحاليـل جديدة ومعقدة.

متلازمة الإرهاق المزمن:

هو الشعور بالإرهاق الـشديد دون وجـود سـبب واضـح بمـصاحبة أعراض جسدية ونفسية متفرقة . غالبا ما يصيب المريض بـين عمـر ٢٠- ٥٠ سنة بنسبة ٤،٧ لكل مائة ألف نـسمة ، ويكـون أكثـر انتـشاراً وسـط النساء من مختلف طبقات المجتمع .هناك زعم أن هذه الحالة تعقب بعـض التهابات الجهاز العصبي ولكن لا يوجد دليل على ذلك، كما أن لها علاقـة ببعض الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب.

لا يوجـد عـلاج دوائـي محـدد لهـذه الحالـة ولكـن بعـض مـضادات الإكتئاب. مضادات الإلتهابات. والمهدئات، الفيتامينات قد تفيد في بعض الحالات . كما أن العلاج السلوكي المعرفي. العـلاج الحيـوي للاسـترجاع. علاج التوتر، مجموعات الدعم الذاتي قد تفيد في بعض الحالات .

إن الاضطرابات النفسية لها أكثر من تصنيف يساعد الطبيب النفسي على سرعة التشخيص وبالتالي المعالجة ، فالطبيب النفسي يقوم بتشخيص ومعالجة الاضطرابات التالية:

* الاضطرابات النفسية لدى الأطفال. كالتخلف الدراسي أو الاضطرابات السلوكية أو العاطفية.
* الاضطرابات النفسية عضوية المنشأ. كالهذيان الحاد، وعن الشيخوخة المزمنة.
* إدمان العقاقير والكحوليات والاضطرابات الناتجة عنها.
* الاضطرابات الذهنية مثل الفصام والاضطرابات الضلالية.
* اضطرابات المزاج . كالاكتئاب والزهو(الهوس).
* اضطرابات القلق. كالقلق العام والخوف بأنواعه أو نوبات الرهاب أو الوسواس القهري .
* الاضطرابات النفسية ذات الطابع الجسماني .كتوهم المرض والهستيريا التحولية.
* الاضطرابات الجنسية سواء كان قصوراً في الوظائف الجنسية أو انجرافات في الوظائف الجنسية.
* الاضطرابات النفسية المتعلقة بطبيعة الأكل . كداء النحافة العصابي.

* اضطرابات النوم عموماً[١] .

* انعدام القدرة على التحكم في الغرائز.

* الاضطرابات النفسية الناتجة عن صعوبة التأقلم .

* اضطرابات الشخصية عموماً.

من الملاحظ أن كثير من الاضطرابات المذكورة ليس لها علاقة بالجنون، بل قد يكون الإنسان طبيعياً جداً إلا أن القلق أو الخوف أو الاكتئاب على سبيل المثال قد أثر على حياة الشخص وعلى وظيفته.

أسباب الاضطرابات النفسية:

لا يعرف حتى الآن الأسباب الرئيسية والمباشرة للاضطرابات النفسية إلا أن هناك عدة عوامل قد تلعب دوراً كبيراً في ظهورها مثل :

* عوامل الوراثة .

* عامل اضطراب اتزان بعض المركبات الكيميائية أو بعض الهرمونات في الجسم .

---

(١) قلت: وهذا وقع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد شكا خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأراضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً، أن يفرط عليّ أحد منهم أو يبغي علي، عزَّ جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت)، أخرجه النسائي في سننه (١/ ٤٢٤) برقم (٣٥٢٣).

* تقلبات في حياة الفرد الاجتماعية والوظيفية وضغوط الحياة كما أن هناك بعض الأمراض العضويه والعقاقير الطبية قد تسبب ظهور الاضطرابات و الأعراض النفسية.

طرق التشخيص:

الطرق التي يلجأ الطبيب النفسي في عملية التشخيص تعتمد على :

* جمع المعلومات من المريض أو أقاربه .

* ملاحظة طبيعة ما يعاني منه المريض سواء في المزاج أو التفكير أو الذاكرة.

* الاختبارات والمقاييس النفسية.

* التحاليل الطبية المخبرية أو الإشعاعية إذا استدعى الأمر ذلك.

طرق العلاج:

أما طريقة العلاج فالطبيب هو المسؤول عن وضع الخطة العلاجية المناسبة ومتابعتها ومعرفة مدى تحسن الحالة بالإضافة إلى تقدير ذلك التحسن مستقبلاً ومن المفترض أن يستخدم الطبيب النفسي خطة شاملة لعلاج المريض يتم تنفيذها عن طريق الفريق الطبي... انتهى النقل عن النشرة التوعوية بنصه[1].



(١) وهي نشرة صادرة من مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض.

أعراض الاضطرابات النفسية
وأعراض العين والسحر والمس من الجن

سوف نلاحظ بإذن الله وجه الشبه ما بين أعراض العين والسحر والمس من الجن وبين أعراض الاضطرابات النفسية، التي أشكلت على فئام من الناس، وليست أعراض الاضطرابات العقلية هي السائدة على المرضى النفسيين كما يتصوّره كثير من المراجعين؛ فحينما نتأمل جيداً أعراض الاضطرابات العقلية كالفصام – على سبيل المثال- نجد أنها تختلف إلى حدٍّ كبير عن أعراض الاضطرابات العصابية، كالقلق، والوسواس القهري، والرهاب.

يقول د. محمد مندوه: (توجد مجموعة من الفروق بين الاضطرابات العصابية والاضطرابات الذهانية نعرضها على النحو التالي:

ومن أهم الفروق بين الاضطرابات العصابية (الأمراض النفسية) والاضطرابات الذهانية (الأمراض العقلية) هي:

١- **الشخصية**: في الاضطرابات العصابية يكون هناك تغيير بسيط -إن وجد- في الشخصية التي تظل متماسكة بينما هناك في الاضطرابات الذهانية اكتساب عادات وتقاليد وسلوك مختلفة يؤدي إلى تغيير جذري في الشخصية التي قد تدهور في معظم الحالات المزمنة.

٢- **الصلة بالواقع**: في الاضطرابات العصابية تكون الصلة بالواقع سليمة بينما في الاضطرابات الذهانية تضطرب الصلة بالواقع اضطرابا بالغاً

فيكون المريض بعيداً عن الواقع ويفشل في التكيف مع المجتمع والبيئة الواقعية.

٣- **السلوك العام**: يظل السلوك ضمن الحدود الطبيعية أو المقبولة اجتماعيا في الاضطرابات العصابية بينما في الاضطرابات الذهانية يكون هناك اضطراب واضح في السلوك من انطواء وعزلة عن الناس والمجتمع.

٤- **اضطراب المزاج والعاطفة**: اضطراب كمي وطفيف في الاضطرابات العصابية بينما اضطرابات كمية ونوعية شديدة في الاضطرابات الذهانية.

٥- **اضطراب التفكير**: قليل إن وجد في الاضطرابات العصابية مثل الوسواس وعدم القدرة على التركيز، بينما في الاضطرابات الذهانية يكون هناك اضطراب كيفي وكمي في التفكير.

٦- **الضلالات والهلاوس**(١): لا توجد في الاضطرابات العصابية بينما غالبا ما توجد في الاضطرابات الذهانية.

٧- **الاستبصار بالمرض**: يكون سليما في الاضطرابات العصابية حيث يحضر المريض بنفسه يعاني ويشكو بينما في الذهاني لا يشعر المريض بمرضه ويحضر عن طريق الأهل.

٨- **الإدراك للزمان والمكان والأشخاص**: سليم في العصاب ويضطرب في الحالات الذهانية المتدهورة) (٢).

---

(١) الخيالات السمعية و البصرية والشميّة واللمسية.

(٢) الصحة النفسية لـ د. محمود مندوه محمد (ص:١٧١).

فمتى ما أدركنا الفارق بين هذه الأعراض جيداً، سوف يزول شيء من اللّبس ما بينها وبين أعراض العين والمس من الجن والسحر بإذن الله.

ونستطيع الربط بين أعراض الاضطرابات النفسية وأعراض العين والمس من الجن والسحر من خلال السياق التالي في العناوين الآتية:

أولاً: نظرة حول أثر الوهم.

ثانياً: نظرة حول العلاج بالتخييل.

ثالثاً: رؤية الجن بين الحقيقة والوهم.

رابعاً: حقيقة تلبس الجن.

خامساً: نظرة حول إيحاء تلبس الجن.

سادساً: نظرة حول أثر الرقية الشرعية.

سابعاً: نظرة حول المقارنة بين تأثير الرقية وتأثير الأدوية النفسية على المريض.

ثامناً: العين والحسد.

تاسعاً: نظرة حول إصابة العين.

عاشراً: نظرة حول سحر التخييل.

الحادي عشر: نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية.

الثاني عشر: نظرة حول المقارنة بين تلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي أثناء الرقية.

الثالث عشر: نظرة حول أنواع الخوف.

الرابع عشر: نظرة حول التأثير النفسي السلبي.

الخامس عشر: نظرة حول الألعاب الإلكترونية.



أولاً: نظرة حول أثر الوهم

يُعرف: الوَهْمُ: أنه مِنْ خَطَراتِ الْقَلْبِ، وَالْجَمْعُ أَوْهامٌ، وَلِلْقَلْبِ وَهْمٌ. وتَوَهَّمَ الشيءَ: تخيَّله وتمثَّلَه، كَانَ فِي الْوُجُودِ أَو لَمْ يَكُنْ. وَقَالَ: تَوهَّمْتُ الشيءَ وتفَرَّسْتُه وتَوسَّمْتُه وتَبَيَّنْتُه بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ قَالَ زُهَيْرٌ فِي مَعْنَى التَوَهُّم:

وقَفْتُ بها من بعدِ عشرين حِجَّةً ... فَلأْياً عَرَفْتُ الدَّارَ بعدَ تَوهُّمِ

وَيُقَالُ: وَهِمْتُ فِي كَذَا وَكَذَا أَيْ غلِطْتُ

وأما الوهم: فانقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها من قولهم: حمْلٌ وهْم، وطريق وهْم، والفرق بينه وبين الخاطر أن الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس، والوهم لا يقال إلا فيما تقبله النفس[1].

وأما «(الخيال) الشَّخْص، والطيف، وَمَا تشبه لَك فِي الْيَقَظَة والمنام من صُورَة، وَصُورَة تِمْثَال الشَّيْء فِي الْمرْآة، وَمن كل شَيْء مَا ترَاهُ كالظل، وخشبة ينصب عَلَيْهَا كسَاء أسود فِي المزروعات يفزع بهَا الطير وَفِي مرابض الْغنم يفزع بهَا الذئاب وَمَا نصب فِي الأَرْض ليعلم أَنه حمى فَلَا يقرب، وَإِحْدَى قوى الْعقل الَّتِي يتخيل بهَا الْأَشْيَاء»[2].

يقول د.محمود مندوه محمد : التخيل أو الخيال هو جزء مهم من الحياة

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢ / ١٠٦٠).

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٢٦٦).

العقلية للإنسان ويصدر الخيال من العمليات العقلية المعرفية المتمثلة في الإدراك، التفكير، التذكر، الإنتباه، النسيان ...إلخ .

وهو ينتمي إلى مجال التفكير حصراً. ففي الخيال يستطيع الفرد أن يتجنب الشد والضغط الواقع عليه من البيئة الخارجية ويؤدي إلى تخفيض توتر بعض الدوافع من خلال تبديدها.

إن الخيال يخفف عن الإنسان الكثير من الضغوط الواقعة عليه، ومن الممكن أن يصوغ الإنسان العديد من السيناريوهات في عقله وبها يجد العديد من الحلول إذا ما استخدمت استخداماً أمثل في الوصول إلى نتائج تحقق الراحة النفسية، ولكن تصبح حالة مرضية باستمرارها وتحويل الواقع إلى أحلام يقظة وتخيلات، فلذلك لابد وأن تخضع إلى ضوابط ومحددات لعملها، لاسيما أنها مكون أساسي في حياة الإنسان طفلاً أو راشداً، سليماً كان أو مريضاً، مستيقظاً كان أو حالماً أثناء نومه. وتخدم هذه العملية عمليات عقلية أخرى في إعانة الفرد على تحمل صراعاته النفسية والإبقاء عليها مقيدة بحيث لا تطغى على الوعي ولا تؤدي إلى انهيار التوازن النفسي الداخلي للفرد.

فالتخيل أو الخيال هو الرجوع إلى عالم الخيال لتحقيق ما عجز عنه تحقيقه في الواقع، استخدام أحلام اليقظة[١].

---

(١) الصحة النفسية لمحمود مندوه محمد.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيّلات لا حقيقة لها في ذاتها ، وإنما الذهنُ[١] يفرضها تقديراً وليست منضبطة في النفس، فإن العلومَ الخارجية لا تنطبع صورُها في النفس، فكيف بالخيالات المعدومة؟ فهذه مندحضة ولا يمنع من وقوع التمييز بين الأعدام المضافة ، فإن العقل يميزُ بين عدم السمع، وعدم البصر، وعدم الشَّمّ، وغير ذلك، ولا يلزم من هذا التمييز كون هذه الأعدام موجودة، بل يميز بين أنواع المستحيلات التي لا يمكن وجودها ألبتة .

ثم نقول: إذا عقل حلول الأشكال والمقادير فيما كان مجرّداً عن الحجمية والمقدار من كل الوجوه، أفلا يعقل حلولها العلم بالشكل العظيم والمقدار العظيم في الجسد الصغير؟.

و أيضاً فإذا كان عدمُ الإنطباق من جميع الوجوه لا يمنع من حلول الصورة والشكل في الجوهر المجرد، فعدمُ انطباق العظيم على الصغير أولى أن لا يمنعُ من حلول الصورة العظيمة في المحلّ الصغير) [٢].

ولـمّا فرغت من كتابة هذه النظرية ثم عرضتها على أحد الإخوة الفضلاء من الأطباء النفسيين أثابه الله سألته: كيف ترى كلام ابن القيم-

(١) كثيراً ما نسمع على لسان الأطباء النفسيين كلمة (Psychosis) وكأن هذا المصطلح النفسي يروى عن علماء الغرب، وقد يكون أحدهم أخذها من هذا العالم الرباني، وكم استفادوا من علماء المسلمين.

(٢) الروح لابن القيم: (ص: ٢٥٤)، دار ابن الحزم الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ بيروت-لبنان.

رحمه الله- في علم النفس؟ وكيف ترى توافق نظرياته التي تجاوزت ما يقارب سبع مائة عام مع نظريات الطب النفسي المعاصر؟

فقال: مثلي لا يستطيع أن يقيّم ابن القيم- رحمه الله- ولكن بصفتي طبيباً نفسيًّا أفهم صحة كلامه جيداً وهذا توفيق من الله لابن القيم رحمه الله، فقلت: ما أحسن العدل والإنصاف.

وقد ضرب الله عز وجل في كتابه العزيز أروع الأمثلة على السعي وراء الوهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو مثلٌ ضربه الله لرجلٍ عطش فاشتد عطشه، فرأى سرابًا، فحسبه ماءً، فطلبه ، وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئًا، وقبض عند ذلك. يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مغنٍ عنه، أو نافعه شيئًا، ولا يكون آتيًا على شيءٍ حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا ، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب)[1].

ويُستنتج من هذه الآية الكريمة علاقة الوهم وتأثيره على اختلال العقل بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالإنسان.

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٩/ ١٩٦).

فمن المعروف أن السراب لا يتحوّل إلى ماء في نظر الإنسان المدرك الذي لم يكابد شدة العطش، بل يعلم يقيناً أنه خداع بصري، بينما السراب يتحوّل إلى ماء في عين الإنسان الذي غاب عنه عقله من شدة العطش.

كما قال شيخ الإسلام- رحمه الله- «الحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد يغلط»[(١)].

وفي هذا أيضاً دلالة على أن المريض قد يفقد الإدراك على قدر معاناته من شدة المرض، فيرى بعض الأشياء على غير حقيقتها وتتعلق نفسه على أدنى بصيص أمل في طلب العلاج، فينساق وراء الوهم!.

حدثني أحد الزملاء عن قصة حصلت لوالدته حينما اشتكت لأخيه من وعكة صحية، وأنا هنا أذكرها بأسلوبه:

فقال: طلبت منه والدتي ماء قد قُرئ فيه بشيء من القرآن مع النفث من أحد الرقاة.

يقول أخي: فخرجت لقضاء بعض الحاجة في طريقي إلى الراقي فلم أشعر بنفسي حتى رجعت و تركت منزله بعيداً وراء ظهري وتذكرت حاجة والدتي حينما شارفت على منزلنا، فما كان منّي إلا أن اشتريت عبوة ماء من محل تموينات وفتحتها ثم أغلقتها ولم أخبر والدتي بما حصل، فلما انتهيت إليها ناولتها عبوة الماء فشربت منها حتى ارتوت ثم قالت: الحمد لله

(١) مجموعة الفتاوى: (٧/ ٤٣).

عافاني الله؟[١].

وكذلك إصرار أغلب المرضى داخل المستشفى على طلب الرقية حينما يشاهدون مريضاً آخر مصاب بتلبس الجن أو السحر -شفاه الله- يتخبّط أثناء الرقية ويتوهّمون أنهم مشتركون بنفس الإصابة، وعلى هذا فإنه يمكن أن يقال بأن الوهم قد أخذ حيزاً كبيراً لدى بعض المرضى النفسيين بشتى أنواعه وهذا مشاهد ومعلوم من خلال واقع الممارس.

ومن لطائف وطرائف الدكتور محمد لطفي الصبَّاغ هذه القصة، يقول: «وعلى الطبيب أن يكون لبقاً مع مرضاه، متلطفاً بهم، فلا يقول لهم ما يوهنهم أو يوقعهم في اليأس.

حدثني شيخنا الشيخ زيد العابدين التونسي - رحمه الله - أنه كان له صديق طبيب، فمرّ به زائراً لا مُستطبًّا. فقال له الطبيب: أريد أن أفحصك لأطمئنّ عن صحتك... فقال: جزاك الله خيراً، لك ما تريد ولك الفضل.

وبعد أن (عاينه) قال له: يا سيدي وضعك في منتهى الخطورة، وأشار له بيده إشارة معينة.

قال الشيخ: والله لقد انقطع قلبي بها، ثم قدَّم له مجموعة من الأدوية بعضها قبل الأكل، وبعضها بعد الأكل، وقال: إني أرجو أن أراك بعد أسبوع.

---

(١) ونظائر هذه القصة متداول في بعض المجالس العامَّة.

خرج الشيخ من عيادته ورجلاه لا تحملانه... ثم قال لنفسه: إنني أدرى بنفسي وإني والله بخير، فرمى بالأدوية جانباً، ولم يعد لبيته، لأنه خشي إن عرف أهله ما قال له الطبيب الصديق أن يوهموه على نفسه، بل قام برحلة زار فيها حمص وحماة وحلب واللاذقية وطرابلس وبيروت، وعاد إلى دمشق معافى نشيطاً.

إن هذا الطبيب أراد أن يحذّر صديقه وينصح له، ولكنه لم يكن لبقاً ولا متلطفاً... ولولا أن الشيخ قاوم ترهيب ذاك الطبيب لكان حقاً من المرضى... لأن للحالة النفسية للإنسان تأثيراً في الحالة الجسميَّة.

وعليه أن يراعي نفسية المريض، ويلجأ إلى الأساليب التي تعين على التخلص من الأوهام، فكثير من المرضى يكونون من المصابين بوهم المرض»[١].

❁ ❁ ❁

(١) أخلاق الطبيب، تأليف الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، ص ٧٣.

ثانياً: نظرة حول العلاج بالتخييل

فإن التخييل والتخيُّل والتصوُّر منهج شرعي، وفي نصوص الكتاب العزيز والسنة أمثال كثيرة جداً، وهو منهج دعوي للإنسان حتى يتصوَّر ويتخيَّل مآله وحاله، سواءاً أكان عند الموت وحضور الأجل، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[١] وخروج النفس من البدن، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾[٢].

أو في مواقف القيامة ومشاهدها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٣]، وأهوالها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٤]، أو في النار وسعيرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن

---

(١) سورة الواقعة، آية: ٨٣، ٨٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٨٥، ٨٦.

(٥) سورة الأحزاب، آية:٦٦.

نَّصِيرٍ ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾وقال تعالى على لسان الكافر: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[(٣)]، أو في الجنة ونعيمها للمؤمن مشاهد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[(٤)]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[(٥)].

وكذلك قصص الأنبياء: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[(٦)]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[(٧)]، وكذلك قصة مريم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[(٨)].

---

(١) سورة فاطر، آية:٣٧.

(٢) سورة المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٤) سورة هود الآيات: ١٠٨.

(٥) سورة الرعد: ٢٣-٢٤ .

(٦) سورة القصص:٤٤.

(٧) سورة يوسف: ١٠٢.

(٨) سورة آل عمران:٤٤.

والقرآن الكريم يصوِّرها ويعرضها للإنسان في هذه الحياة وكأنه يراها رأي العين، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[١].

فالتخيّل والتخييل من خصائص الإنسان، وهو من نعم الله عليه، هذا ويعد التخييل عاملاً مهماً ولا يمكن إنكاره، وهو أحد أنواع العلاج، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في وصف الطبيب الحاذق أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبةً لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معينٍ[٢].

والمعالج الحاذق الذي لديه قدرة عقلية، وملكة ذهنية ودُربة ومران وممارسة في العلاج بالتخييل يستطيع - بإذن الله - أن يدفع ما لدى المريض من الوهم بضدِّه، كما سنلاحظ في قصة الطبيب الحاذق يوم أن أتى للمريض بثعبان[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث وائلة بن الأسقع برقم (١٥٩٧٩) (١٨٦/٢٨).

(٢) انظر: ص ٢٧.

(٣) انظر: ص ١٣٧.

أهمية وفوائد العلاج بالتخيل:

نسمع حديثاً بقانون الجذب، أي جذب ما نريد عن طريق الاسترسال في الأفكار والعواطف لجذب ما نفكر به، وأن جميع ما نتخيله ونفكر به سوف يتحول لحقيقة على أرض الواقع، فكما نرى أن قانون الجذب يعتمد على التخيل والاستغراق فيه، وتعتبر قدرة التخيل لدى الإنسان نعمة كبيرة يهبها الله لنا وميَّزنا بها عن الحيوانات، فعندما تتخيل تستطيع تحويل واقعنا لواقع أفضل، ولا شك بأنه يجب علينا أن نغذي عقولنا بالأفكار والصور الإيجابية والتي تحمل رسائل مثل الحب، والخير، والنجاح فتغذية عقولنا بهذه الصور تساعد على العيش حياة إيمانية سعيدة، وتساعدنا على تحقيق النجاحات، فعقلنا قادر على خفض ضغط الدم وزيادة نظامنا المناعي للجسم والشفاء من الأمراض بسرعة عن طريق العلاج بالتخيل، كما يساعدنا على رفع قدرات الجسم الخاصة بالمقاومة الذاتية للمرض، كما أكدت الكثير من الدراسات أن الشخص قادر عن طريق استخدام خياله أن يحقق السلام والهدوء والاسترخاء لنفسه، فالعلاج بالتخيل ليس صعب التعلم بل نستطيع بكل سهولة أن نمارسه، كما قد قدم لنا العلم العديد من الأمثلة لحالات استطاعوا التغلب على أمراضهم أو التعايش معها عن طريق العلاج بالتخيل، كما أنه أصبح من أحدث الطرق للعلاج، حيث يساعد الإنسان على الثقة بنفسه وقدرته على السيطرة عليها.

كما ذكر أرنولد لازاروس أحد رواد العلاج السلوكي في العالم أن بواسطة العلاج بالتخيل، إذا ما استخدمناه استخداماً صحيحاً ومناسباً

وملائماً، نستطيع أن نحصل على الشعور بالثقة، كما يساعد هذا العلاج لتحقيق الكثير من الأهداف البناءة والمنتجة، كما أنه يمكن عن طريق هذا العلاج إقلاع المدمن على التدخين أو المخدرات، كما أن هناك فائدة كبيرة له وهي عندما يكون المرء في كرب عظيم فهو ينقذنا منه[1]، ويحفظ صحتنا النفسية من المرض والجنون، كما أنه عن طريق التخيل يمكننا الاتصال بالكثير من الأشياء الموجودة في الواقع والغائبة على المستوى المادي، فمثلاً يستطيع المرء التدرب على الإلقاء مع عدم وجود جماهير، فبالطبع هناك فروق فردية كبيرة في قدرة الناس على التخيّل، ومن الفوائد أيضاً: يساعد في علاج المخاوف والقلق [2].

ومع هذا وغيره مما يذكر من فوائد العلاج بالتخييل.

تؤكد الدكتورة: صهبان بندق بقولها: «ويبقى أن نؤكد أن هذه الطريقة العلاجية - التخيّل - كغيرها من طرق الطب البديل، لا يمكن تعميمها على جميع المرضى إذ قد تناسب بعض مرضى ولا تناسب غيرهم، كما تختلف استجابة كل إنسان عن غيره فليس من الممكن معالجة جميع

---

(١) قلت: لا ينجي من الكرب إلا الالتجاء إلى الله بصدق وإخلاص، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

(٢) العلاج النفسي الذاتي بقوة التخيل، حجار محمد، الطبعة الأولى، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض - السعودية.

الحالات المرضية بواسطة التصوّر الذهني»[١]، وسيأتي مزيد بحث عن سحر التخييل[٢].

شبهة والجواب عنها:

شاع في الأونة الأخيرة لدى بعض أفراد من الرقاة الذين يقرؤون على المرضى طريقة مستحدثة لم تكن معروفة ولا مذكورة في كتاب الله ولا سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عُرفت عن سلف هذه الأمة - فيما أعلم - مع أن صفتها سهلة، وصفتها أن يقول الراقي للمريض: «اغمض عينيك، وتخيل مَن سحرك أو مكان سحرك، أو من عانك» وسمعت من بعض الأشخاص أنه يعزو هذه الطريقة للإمام ابن القيم، ولم أقف على هذه الطريقة في مظانها من كتبه ومؤلفاته رحمه الله، وبأنه ذكر في العلاج بالتخييل، وقال: «فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء»[٣].

والجواب عن هذا من وجوه:

أولاً: أن سياق كلام ابن القيم - رحمه الله - ليس للراقي ولم يذكر فيها.

(١) مذكرة بعنوان: مجموعة من المقالات حول العلاج بالتصوُّر والتخيُّل.

(٢) انظر ص ١٩٣.

(٣) سبق ص ٢٧.

ثانياً: أن كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - مقيد «بحذاق الأطباء» والراقي لا يوصف بهذا.

ثالثاً: هذه الطريقة لو كانت جائزة لكان المريض يعملها بنفسه بدون راقٍ.

رابعاً: وأعظم من ذلك كله أن هذه الطريقة فيها مخالفة شرعية عقدية.

ونظراً لخطورة هذه الطريقة على العقيدة وما ينتج عنها من فتنة بين الناس فقد صدر في ذلك فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز - غفر الله له - ولجميع المسلمين، بمنع هذه الطريقة والتحذير منها:

«**جاء في الفتوى رقم ١٩٨٨٥: س: عند قراءة القرآن على المريض وهو مغمض العينين وفي كامل وعيه، فإنه يرى من سحره أو الساحر أو مكان السحر، أو العائن، فسؤالنا: هل يعتبر هذا الأمر اطلاع على الغيب أم لا؟**

الجواب: رؤية المريض لمن سحره أو الساحر أو مكان السحر أو العائن عند قراءة القرآن عليه لا يعتبر من الاطلاع على الغيب، ومن اعتقد أنه يعلم الغيب بسبب ذلك فهو كافر؛ لأن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه، فلا يعلم به أحد من خلقه إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من

ملائكته ورسله، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2]، وما يحدث للمريض من هذا النوع هو من تأثير الشياطين وخداعهم لبني آدم، وإنما يحصل ذلك بسبب استعانة القراء بالجن، وإن كانوا يتظاهرون بقراءة القرآن والحديث الشريف للتضليل والتلبيس على الجهلة والعوام والسُّذَّج وإيهامهم بأن قراءتهم نافعة، فيسلبون أموالهم ويستغلونهم لمصالحهم وشهواتهم، وهم في الحقيقة من الكهنة والعرافين، وإن صدقوا في ذلك أحياناً وصار الواقع كما رآه المريض فلا ينبغي له أن يركن إليه وينخدع به ويعتقد صحته ويتهم الناس بمجرد ذلك، إذ أن ذلك لا حقيقة له ولا أصل له في الشرع، بل هو من تأثير الجن كما سبق، وننصحك أن لا تلتفت لأوهام قد تؤثر عليك في عقيدتك وتكون سبباً في قطيعة رحمك وإيذاء الناس، وأن تلجأ إلى الله تعالى وتستغيث به وحده في كشف ضرك، ولا ترجو إلا الله ولا تتعلق إلا به وحده، وأن تعالج نفسك بالرقى والأدعية الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن تتعاطى من الأدوية المباحة ما يكون سبباً في شفائك بإذن الله.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[3].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

---

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام:: ٥٩.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (ص ١١٢ - ١١٤)، وسيأتي مزيد بحث ص١٣٩.

هذا ويجب علينا أن نعلم أن الخوض في موضوع التخييل بلا علم موضوع خطر ومزلة أقدام، وهو موضوع فج ليس له زمام ولا خطام، وتكلم فيه من هب ودب؛ لأن مصدره العقل، والعقل له حد لا يتجاوزه، وأيضاً هو مقيد وملتزم بالشرع، فإذا تجاوز حدَّه ضاع وهام وتاه، وهذا ما وقع فيه الفلاسفة والملاحدة وأهل الشبهات والشكوك قديماً وحديثاً، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1]، نسأل الله الثبات على الحق.



(١) سورة النور: ٤٠.

ثالثاً: رؤية الجن بين الحقيقة والوهم

لا أعلم فيما قرأت عن أحد من السلف رحمهم الله أنه رأى الجن على هيئتهم التي خلقهم الله عز وجل عليها كما جاء وصفهم في الكتاب والسنة، وقد تظافرت الأدلة الشرعية على أنه لا يمكن رؤية الجن على هيئتهم الحقيقية في الحياة الدنيا.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن رُدَّت شهادته، وعُزِّر لمخالفته لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[1]، إلا أن يكون الزاعم نبيًّا[2].

وقال تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[3]. قال: «شبهه بذلك» فإن قال قائلٌ: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من المُمَثِّل له قرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثَّل له الشيئين كليهما أو أحدهما[4].

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا

---

(١) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٢) حياة الحيوان للدميري (١/ ١٩١).

(٣) سورة الصافات: (آية ٦٤).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (١٩ / ٥٥٣).

تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ الشَّيْطَانِ»[١].

وثبت في الكتاب والسنة أن الجن لهم القدرة بإذن الله على التمّثل بشكل الإنسان والحيوان وقد أخبر ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان)[٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (جاء إبليس يوم بدرٍ في جندٍ من الشياطين معه رأيته في صورة رجلٍ من بني مدلجٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشمٍ، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين، انتزع إبليس يده، فولى مدبرًا هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جارٌ؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[٣]، وَذَلِكَ حِينَ رَأَى الْمَلَائِكَةَ)[٤].

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، أنه قال: كانت ليلةٌ شديدة الظلمة والمطر فقلت: لو اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله صلى الله عليه

(١) ينظر: صحيح مسلم (١ / ٥٦٧).

(٢) رواه مسلم: (١/ ٥١٠) رقمه (٥١٠).

(٣) سورة الأنفال: (آية ٤٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (١١ / ٢٢١).

وسلم ففعلت فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أبصرني ومعه عرجونٌ يمشي عليه.

فقال: ما لك يا قتادة ههنا هذه الساعة؟ فقلت: اغتنمت شهود الصلاة معك يا رسول الله فأعطاني العرجون فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون، فأمسك به حتى تأتي بيتك، فخذه من وراء البيت فاضربه بالعرجون» ، فخرجت من المسجد، فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به، فأتيت أهلي فوجدتهم رقودا، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج»[(١)].

وفي رواية عند البزَّار لا بأس بها ولفظها: «فدفع إليه العرجون فقال: اخرج فإذا رأيت سواداً في بيتك فاضربه به فإنه شيطان، ففعل»[(٢)].

وهذا من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قصة الشيطان في دار الندوة، وقصة الشيطان مع أبي هريرة رضي الله عنه في حفظ الصدقة في المسجد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (والجن يتصوَّرون في صورة الإنس

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩) (١٩/ ٥)، صححه الألباني في الصحيحة (٣٠٣٦).

(٢) أخرجه البزَّار برقم (٦٢٠)، (١٥/ ٢٤٥)، وفي إسناده عند البزار عبدالله بن شبيب وقد تكلم فيه بكلام شديد ولكن له طرق أخرى عند البزَّار لا بأس بها، فهذا الحديث ثابت بمجموع طرقه.

والبهائم فيتصوَّرون في الحيَّات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم[١].

وعلى كل حال فعالم الجن عالم غيبي، فقد سئل سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله بما نصه:

س: «هل يظهر الجن لبعض الناس ويعقد صداقات معهم؟ وهل الجنّي هو الشيطان؟»، فأجاب رحمه الله بقوله:

ج: قد يظهر الجن لبعض الناس، والجن ثقل مستقل غير الإنس، والمشهور عند العلماء أنهم أولاد الشيطان، كما أن الإنس أولاد آدم، فالشيطان الذي هو الجان، الذي امتنع من السجود لآدم هو أبو الجن، فمنهم طيب، وكافرهم مثل كافر الإنس خبيث، فيهم الفاسق وفيهم الكافر وفيهم المؤمن الطيب وفيهم العاصي، فهم أقسام مثل الإنس قد يتصل بعض الناس بهم، وقد يكلمهم ويكلمونه، وقد يراهم بعض الناس، لكن الأغلب أنهم لا يُرَوْن، كما قال جل وعلا: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[٢]، يعني يروننا من حيث لا نراهم، لكن الجنّيّ قد يبدو لبعض الناس في الصحراء، وفي البيوت، وقد يخاطب.

وقد حدثنا جماعة من العلماء عن وقائع كثيرة، من هذا أن بعض الجن

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، ص ٣٢.

(٢) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

حضروا مجالس العلم، وسألوا عن بعض العلم وإن كانوا لا يرون. وبعض الناس قد يراهم يتمثلون في الصحراء وغير الصحراء، لكن لا تجوز عبادتهم من دون الله، ولا الاستغاثة بهم، ولا الاستعانة بهم على إضرار المسلمين، ولا سؤالهم عن علم الغيب، بل يجب أن يحذروا، أما دعوتهم إلى الله إذا عرفتهم، وتعليمهم ما ينفعهم، ونصيحتهم، ووعظهم، وتذكيرهم، فلا بأس بذلك، أما الاستعانة بهم أو الاستغاثة بهم، أو النذر لهم، أو التقرب إليهم بالذبائح خوف شرهم، كل هذا منكر، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1]. يعني زادوهم شراً وبلاء، والآية فيها تفسيران: أحدهما زادوهم، يعني الجن زادوا الإنس ذعراً وخوفاً، والمعنى الثاني فزادوهم رهقاً، زاد الإنس الجن رهقاً، يعني طغياناً وكفراً وعدواناً عليهم، لأنهم لما رأوا الإنس يخافونهم تكبَّروا عليهم، وزادوا في إيذائهم، وبكل حال فلا يجوز سؤالهم ولا الاستغاثة بهم ولا النذر لهم، ولا نداؤهم لطلب حاجة، أو شفاء مريض، أو ما أشبه ذلك، لكن إذا كلمهم ينصحهم ويذكرهم ويدعوهم إلى الله ويعلمهم ما ينفعهم، فلا حرج في ذلك، كالإنس»[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة الجن، الآية: ٦.

(٢) فتاوى نور على الدرب، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ١/ ٢٣٠ – ٢٣٢.

رابعاً: حقيقة تلبس الجن

واجهتُ بعض الأطباء النفسيين الذين ينكرون تلبس الجن بالإنس، واحتدَّ النقاش ذات يوم بيني وبين أحدهم حول هذا الموضوع، فما كانت حجته إلا أن قال بكلمة عاميَّة: (وين الجنّي فيه؟ أبغى أشوفه؟) فذكرته بقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[الأعراف:٢٧].

وهذا شأن بعض البشر، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾[١]، أي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره [٢].

وفي هذا الموضوع بيان وفتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٥١٨ بشأن مسألة دخول الجنّي في بدن الإنسي، ونصُّه الآتي:

«دلَّ كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة على جواز دخول الجنّي بالإنسي، ووقوعه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[٣]. قال ابن جرير رحمه الله: يعني بذلك: يتخبله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخنقه فيصرعه،

(١) سورة يونس: ٣٩.

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٣٤٥).

(٣) سورة البقرة: ٢٧٥.

(من المس) يعني من الجنون»[١].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وقد سئل معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء - وفقه الله - عن الصرع فقال:

الصرع على نوعين:

- النوع الأول: صرع بسبب مرض عصبي: هذا علاجه عند الأطباء.
- أما النوع الثاني من الصرع فهو صرع بسبب مس الجن هذا علاجه بالرقية الشرعية[٢].

صرع الجن:

عن ابن يعلى بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتته امرأة بابن لها قد اصابه لمم- الصرع- فقال النبي ﷺ: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**» قال: فبرأ فأهدت له كبشين وشيئاً من أقط وسمن، فقال رسول الله ﷺ: «**يا يعلى خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين وردّ عليها الآخر**»[٣].

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباسٍ: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١١٥).

(٢) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص: ٥٣)، إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

(٣) رواه أحمد، مسند أحمد (٤/ ١٧٢)، والحاكم وصححه، وقال المنذري: إسناده جيد.

وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «**أَنَّهُ رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَى سِتْرِ الكَعْبَةِ**»[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وصرع الجن هو لأسباب ثلاثة:

تارة يكون الجنّي يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع أرفق من غيره وأسهل.

وتارة يكون الإنسّي آذاهم إذا بال عليهم ، أو صب عليهم ماء حاراً، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى ، وهذا أشد الصرع ، وكثيراً ما يقتلون المصروع.

وتارة يكون بطريق العبث كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل»[2].

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: إن أقواماً يقولون إن الجنّي لا يدخل في بدن المصروع فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه) [3].

---

(١)صحيح البخاري (٧/ ١١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٠٤).

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في فتاوى نور على الدرب ما نصه:

س: هل الشيطان يتكلم على ألسنة البشر؟

ج: قد يتكلم على ألسنة البشر، ويكذب عليهم، وقد يغرّ الناس في أشياء كثيرة يكذبها[(١)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (هذا الذي قاله مشهور، فإنه يصرع الرجل، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويُضرب على بدنه ضرباً عظيماً، لو ضرب به جمل، لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحسُّ الضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يُجَرّ المصروعُ وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحوِّل الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان) [(٢)].

ويقول رحمه الله: (وليس من أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يُكذِّب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك) [(٣)].

وذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام رحمهم الله: (وشاهدت شيخنا

(١) فتاوى نور على الدرب، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١/ ٢٣٢.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

(٣) المصدر السابق.

يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحسُّ بألمٍ، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا.

وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني[1] أنه قرأها مرةً في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت عصًا، وضربته بها في عروق عنقه حتى كلَّت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضربة ففي أثناء الضرب قالت: «أنا أحبه،فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها هو لا يريد أن يحج معك، فقالت أنا أدعه كرامةً لك، قال: قلت: لا ولكن طاعةً لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالًا، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيءٍ يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضربٌ البتة، وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة فهذا النوع من الصرع، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من

(١) الكلام للإمام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رفع الله درجاتهما في أعلى عليين.

العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويذ، والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عريانًا فيؤثر فيه هذا) [(١)].

صرع الأخلاط:

وهو ما يعرف في زمننا الحاضر بالصرع العصبي، وقد عرف قديماً بصرع الأخلاط، وهو يختلف عن صرع الجن كما قال ابن القيم رحمه الله: (وأما صرع الأخلاط، فهو علةٌ تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعًا غير تام، وسببه خلطٌ غليظٌ لزجٌ يسد منافذ بطون الدماغ سدةً غير تامةٍ، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذًا تاما من غير انقطاعٍ بالكلية، وقد تكون لأسبابٍ أخر كريحٍ غليظٍ يحتبس في منافذ الروح، أو بخارٍ رديءٍ يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفيةٍ لاذعةٍ، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنجٌ في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا، بل يسقط، ويظهر في فيه الزبد غالبًا.

وهذه العلَّة تعد من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصةً، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر برئها، لا سيما أن تجاوز في السن خمسًا وعشرين سنةً، وهذه العِلَّة في دماغه،

---

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٣)، الناشر دار الهلال - بيروت.

وخاصةً في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا. قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا.

إذا عرف هذا، فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها ألاتتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمانٍ، فاختارت الصبر والجنة.

ويقول رحمه الله: وفي ذلك دليلٌ على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مرارًا نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجهالهم)[(١)].

الرد على إنكار تلبس الجان بالإنس من قبل بعض المختصين النفسيين:

يقول الدكتور/ محمد بن جمال حولدار عضو هيئة التدريس بكلية الطب بجامعة الدمام حول هذا الموضوع:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، أما بعد:

وقفت على كلام لبعض المختصين النفسيين – أشير بكلمة مختص نفسي إلى كل من له علاقة بعلاج الأمراض النفسية سواء كان طبيباً أو

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٤).

معالجاً نفسياً أو أخصائياً اجتماعياً وكل مختص صحي يتعامل مع الأمراض النفسية – ينكرون فيه صراحة وبإطلاق مسألة تلبس الجان بالإنس، ومما ظهر لي أن دافعهم الحرص على المرضى الذين يمتنع عدد منهم من زيارة المختص النفسي لاعتقاده بأنه مصاب بالتلبس حتى لو أكد له ثقة أنه بحاجة لزيارة مختص نفسي، أو بسبب النظرة السلبية تجاه الأمراض النفسية فتتفاقم حالة المريض وربما تعقد علاجه بسبب هذا التأخر، إلى غير ذلك من الأسباب. هذا الجزء من غيرة هؤلاء الزملاء على المرضى وحرصهم على نفع الناس يشكرون عليه جزاهم الله خيراً.

في معرض الرد على ثبوت التلبس تكلم بعض المختصين النفسيين في بعض الأدلة الواردة في هذه المسألة وذكروا أن ظواهر التلبس لها (تفسيرات علمية)، وأنه لم يكن بد في سابق الأزمان من اللجوء لتفسير هذه الظواهر بتلبس الجان بالإنس، أما في عصرنا الحديث ومع تقدم الطب النفسي فلا يوجد شيء اسمه تلبس إذ كيف لما خلق من نار أن يتلبس مخلوقاً أصله من طين.

أرجو أن أكون قد وقفت في تلخيص الكلام الذي وقفت عليه، ولي مع الكلام المذكور أعلاه وقفات من الناحية الموضوعية المتعلقة بالطب النفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

١- أولاً: هذه مسألة لها جانب شرعي ظاهر ولاشك أن من احترام التخصص أن نرجع لأهل العلم في الفتيا والمسائل الشرعية، ولذا أحيل

القارئ الكريم إلى مراجع تفيد ثبوت تلبس الجان بالإنس بالأدلة من الكتاب والسنة واتفاق أهل السنة.

٢- ثانياً: ما يذكره بعض الزملاء الكرام أن تلبس الجان بالإنس ما هو إلا ظواهر لها (تفسيرات علمية) كلام فيه إيهام - غير مقصود إن شاء الله لغير المتخصصين - أن الطب النفسي الحديث أتى بتفسيرات قطعية لكثير من الأعراض والأدواء التي يعالجها، فهل هذا الكلام دقيق علمياً؟

كيف يتم تشخيص الأمراض النفسية[١]؟

حتى نعرف دقة الكلام أعلاه لابد من تسليط الضوء على طريقة التشخيص المعتمدة في الطب النفسي جلّ التخصصات الطبية الأخرى يتوفر لها - بجانب التاريخ المرضى والفحص الجسدي - أدوات تشخيصية موضوعية تسهم بشكل كبير في دقة التشخيص كتحاليل الدم والبول والبراز أكرم الله القارئين والأشعة بمختلف أنواعها وتحليل مختلف سوائل الجسم والتخطيط الكهربي للقلب والدماغ إلى آخره من الأدوات التشخيصية، في المقابل نجد أن الطب النفسي - في الأعم الأغلب - يفتقر إلى ذلك، إذ يعتمد التشخيص فيه بالدرجة الأولى على تمييز الأنماط بعد أخذ تاريخ مرضي مفصل.

يعتمد الطبيب النفسي على دليل تشخيصي - أشهر الأدلة التشخيصية هو الدليل الأمريكي DSM من إصدار الجمعية الأمريكية للطب النفسي

---

(١) انظر: ص ٣٢.

والتصنيف العالمي للأمراض ICD من إصدار منظمة الصحة العالمية – وفي كل من الدليلين ذكر لمختلف الأمراض النفسية والأعراض لكل مرض، بعد أن يستمع الطبيب النفسي للمريض ويسأله عن مختلف الأعراض ثم بمقارنة مجموع الأعراض التي يشتكي منها المريض والعلامات البادية عليه يصل للتشخيص المناسب إن شاء الله، وهكذا، فالتشخيصات المدونة في الأدلة التشخيصية لا تفيد تفسيراً علمياً وسبباً واضحاً للمرض النفسي الذي يعاني منه المريض بقدر ما تبين أن مجموع هذه الأعراض يعني أنه مصاب بهذا المرض أو ذاك وبالتالي يستطيع المختصون التواصل فيما بينهم فيما يتعلق بحالة المريض وتقديم العلاج المناسب، ولذا فالطب النفسي في كثير من الأمراض التي يعالجها لم يصل بعد لكُنْهِها ومع هذا فتمييزها بهذه الأعراض أسهم كثيراً في علاج المرضى وتخفيف معاناتهم والحمد لله، فكم من مريض أنقذه الله برحمته ثم بالعلاج النفسي المناسب من الانتحار وآخر عاد إلى ممارسة حياته بشكل طبيعي وثالث كادت حياته الأسرية أن تنهار، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

٣- أين الخلل في الاستناد إلى تفسيرات الطب النفسي لنفي تلبس الجان بالإنس؟

إذن ما الخلل في الاستناد إلى تفسيرات الطب النفسي في إنكار التلبس؟ الخلل بكل وضوح أن ذكر المختص بأن هذه الظواهر لها تفسيرات علمية في الطب النفسي يوهم غير المختصين بدقة هذه

التفسيرات وأن الطب النفسي درسها وتأملها وأتى بنتائج قطعية، ولاشك أن هذه مجازفة علمية – غير مقصودة إن شاء الله – تعطي تصوراً مغلوطاً عن الطب النفسي لغير المختصين إذا كان الطب النفسي لم يصل بعد لتفسيرات علمية قطعية لجل الأمراض النفسية، فكيف له أن يفسر ظواهر تلبس الجان بالإنس وعالم الجن عالم غيبي لا سبيل للوصول إليه إلا بنصوص الوحيين؟ فإذا أضفنا إلى ذلك أن الطب النفسي الحديث – شأنه شأن التخصصات الطبية الأخرى – تخصص مادي لا يعتمد إلا على التجربة والملاحظة وعليه فهو تخصص لا يعتدّ بالغيبيات، فكيف يمكن للمختص النفسي إنكار مسألة من عالم الغيب وردت فيها الأدلة الشرعية واتفاق أهل السنة مستنداً إلى الطب النفسي الذي ليس في قاموسه اعتداد بالغيبيات؟

٤ – ما العواقب المترتبة على نفي تلبس الجان بالإنس بحجة التفسيرات العلمية؟

كما ذكرت سابقاً أن الطب النفسي الحديث طب مادي لا يعتد بالغيبيات، وقضايا السحر والتلبس من عالم الغيب ولا طريق لفهمها بالطرق المتبعة لدراسة الأمراض النفسية، فكيف يستند المختص النفسي إذن على نظريات الطب النفسي في نفي أمر غيبي؟

حسناً، لنعتمد هذا المسلك – أي مسلك اعتماد التفسيرات المادية وإهمال الغيبيات – ولننف السحر والعين لأن الطب النفسي سيسلك الطرق المادية المعتبرة في تفسير ظواهر تلبس الجان بالإنس ويقدم تفسيراً

لأعراض نفسية سببها العين أو السحر، فإن قال المختص النفسي لا يمكننا نفي السحر والعين لأنها ثابتة بالنصوص قيل له وكذلك تلبس الجان بالإنس جاءت به النصوص واتفق عليه أهل السنة، وإن كان ينفي تلبس الجان بالإنس لأن له تفسيرات علمية في الطب النفسي الحديث فعليه نفي السحر والعين لأنهما لن يعدما تفسيرات علمية.

وهكذا يتبين خطورة هذا المسلك الذي من لازمه إنكار ما أثبتته الشريعة مما هو خارج الحس ما لم يعضده العلم المعاصر – القائم بدرجة أساسية على الحس والملاحظة والتجربة – وعليه فيخشى أن يؤول سلوك هذه الطريقة إلى تقديم التجارب العلمية وجعلها المصدر الوحيد ونفي ما لا تثبته ولو جاء به الوحيان، والله المستعان.

٥- الخلاصة:

ختاماً، هذه الورقة هدفها بيان أن الطب النفسي على ما فيه من نفع عظيم هو طب مادي لا يعتدّ بالغيبيات فلا يجوز مهنياً – فضلاً عن شرعاً – التعويل عليه في إنكار تلبس الجان بالإنس، ولاشك أن من المهنية و(احترام التخصص) ألا نتكلم في غير تخصصاتنا وننفي أموراً لا يملك تخصصنا أدوات الحكم عليها نفياً وإثباتاً، والكلام في القضايا الشرعية وتأويل النصوص من أي إنسان لا يعرف منه تأهل في العلم الشرعي وتمكن من أدواته لاشك أنه خطر عظيم على دينه، فتقحّم الكلام في الأدلة الشرعية وإبداء الآراء الشخصية فيها يتجاوز عدم (احترام التخصص) إلى

القول على الله بغير علم، وأعظم بها من موبقة أعيذ بالله نفسي وزملائي منها.

زملائي المختصين في الصحة النفسية، لاشك أن فئاماً من الناس يتعلقون بالأوهام ومع هذا فلا يجوز لنا الخوض في قضايا شرعية لا يملك الطب النفسي أن يحيط بتفسيرها ولو كان بدافع الغيرة على المرضى وحرصاً عليهم.

شكر الله لكل مختص حرصه على المرضى وغيرته عليهم، ورزقنا جميعاً علماً نافعاً ننفع به مرضانا، والحمد لله رب العالمين(١).

وكتب:

محمد بن جمال حَوْلَدار

شهادة الاختصاص الكندية في الطب النفسي (البورد الكندي)

٢٣ صفر ١٤٣٨هـ

ويقول العالم (كارنجتون) عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية عن حالة المس: «واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها، ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها، وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة، لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس وألوفاً يعانون في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري،

(١) https://twitter.com/mohammad_holdar/status/٨٠١٢٦٦٧٠١٠٢٧٣٩٣٥٣٦?s=١٢.

وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي، ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والحذق والجلد»(١).

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقل من نسبة طب الطُّرقية والعجائز إلى طب الأطباء، وأن بين ما يلقَّى بالوحي، وبين ما يلقَّى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق، ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصاً عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء لتلقَّوْه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا على تجربته»(٢).

حكم تلبس الجن بالإنس:

هذا وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عن حكم تلبس الجن بالإنس بما نصه:

س: هل يجوز للجن الصالحين أن يسكنوا في أجساد المسلمين من الإنس، مع الدليل؟ مع العلم أن بعض الجن الصالحين لا يلحقون أذى بالإنس، بل ينزلون ويتلبسون، لكي يستمعوا الذكر والقرآن، وبعض الجن الصالحين يقرأ القرآن ويُخْرِج مَرَدَة الجن من بعض الإنس بلسان صاحبه

(١) عالم الجن والملائكة، د. عبدالرزاق نوفل ص ٨٣.

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٨٧٥ - ٨٧٦).

الإنسي الذي يسكن فيه؟ جزاكم الله خيراً. فأجاب رحمه الله:

ج: لا شك أنه لا يجوز للجن أن يسكن في أجسام الإنس، ولا أن يتعدَّى عليهم، ولا أن يؤذيهم، ومن أعظم الظلم، ومن أعظم الأذى، أن يخالط الجنّي الإنسي، وأن يسكن في جسمه وأن يتلبس به، لما في ذلك من إفساد عقله، وجعله في حكم المجانين، ومع ما في ذلك من الشرور الأخرى، والأذى للآخر، والله يقول سبحانه: .﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[1]. ويقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2]. ويقول: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3]. فلا يجوز للجنّي أن يؤذي الإنسي المسلم، ولا يجوز للإنسي أن يؤذيهم ويضرهم، كل منهم عليه الحذر من الآخر، والحذر من ظلمه، ومعلوم ما في حلول الجنِّي في الإنسي من أضرار كثيرة، وفساد كبير سواء كان مسلماً أو كافراً، ليس له أن يسكن في الإنسي وليس له أن يؤذيه، ولا يضره، ومعلوم أيضاً ما يحصل للناس من النفرة من هذا الذي داخله الجنّي، وما يحصل عليه من المضرة، والأذى في ذلك.

فالواجب على الجن أن يحذروا ظلم الإنس، وأن يبتعدوا عن أذاهم، وإذا أراد سماع القرآن يسمعه في حلقات العلم، وحلقات القرآن من غير

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

تلبسه بالإنسي، في إمكانه سماع القرآن وسماع الأحاديث، بحضور حلقات العلم في المساجد، وغيرها، أما احتجاجه على ذلك بأنه يجب أن يسمع منه القرآن هذا غلط، ودعوى خاطئة لا وجه لها، والله المستعان، وعلى الإنسي أن يتعوَّذ بالأعواذ الشرعية التي يعيذه الله بها من الجن، ومن ذلك آية الكرسي عند النوم، ومن ذلك قراءة قل هو الله أحد، والمعوذتين عند النوم ثلاث مرات، ومن ذلك أن يقول مساء وصباحاً: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، يقول صلى الله عليه وسلم: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»(١). وقال: «**من قالها ثلاثاً في ليلة لم تصبه حمة**»(٢). يعني: سُمًّا من ذوات السموم، ومن ذلك أن يقول: «**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**». ثلاث مرات يقول صلى الله عليه وسلم: «**من قالها ثلاث مرات لا يضره شيء، صباحاً ومساء**»(٣).

ومن ذلك أن يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة،**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم ٧٨٣٨، والترمذي في كتاب الدعوات، باب الاستعاذة، برقم ٣٩٦٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم ٤٧٦.

ومن كل عين لامَّة»[١]. كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعوِّذ بهما الحسن والحسين كل ليلة، هذه التعوذات الشرعية مما يحفظ الله بها العبد من أذى الجن وغيرهم، ومن ذلك: «**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ينزل في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن**»[٢]. وفي الحديث: «**إن العبد إذا دخل بيته مساء، وقال: بسم الله قال الشيطان لغيره: لا مبيت، وإذا سمَّى عند أكله قال: لا مبيت ولا عشاء**»[٣].

تسمية الله والتعوُّذ به من أسباب السلامة من الشياطين، فينبغي له أن يحافظ على ذلك، وأن يأخذ بالأوراد الشرعية، التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك حفظ من الله عز وجل، وسلامة العبد من أذى الجن والإنس جميعاً، والله المستعان»[٤].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، برقم ٣٣٧١.

(٢) أخرجه أحمد في مسند المكيين، حديث عبدالرحمن بن خنيش رضي الله عنه برقم ١٥٤٦٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامها، برقم ٢٠١٨.

(٤) فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، (١/ ٢٣٢ - ٢٣٥).

خامساً: نظرة حول إيحاء تلبّس الجن

إن قابلية إيحاء المريض النفسي بتلبس الجن أو السحر أو العين تندرج تحت الاضطرابات الانشقاقية التحوّليّة ومن إحدى ما تتميّز به الشخصيات الهستيرية.

وفي نظري بأن نسبة قابلية الإيحاء بإصابة تلبس الجن أو السحر أو العين لدى المرضى النفسيين قليلة، وليست على إطلاقها كما يزعم بعض الأطباء النفسيين بحسب تجربتي داخل المستشفى وخارجه.

فحينما تظهر أعراض الاضطرابات النفسية على المريض النفسي في بدايتها، يُنكر معاناته بالاضطرابات النفسية، فربما غاب الإدراك عن عقله، ويترتب على ذلك رفضه للعلاج سواء أكان الذهاب به إلى الراقي أو مراجعة الطبيب النفسي، فيشق على الأسرة في البداية مراجعة الطبيب النفسي، وذلك لعدة أمور وبعض الأخطاء الشائعة منها:

١- الخوف من إشاعة الخبر أن فلاناً لديه ملف في أحد المستشفيات النفسية فيغلب على ظنهم أنها ستكون عثرة في طريق الزواج أو التقييم الدراسي أو الوظيفي.

٢- الانزعاج من وصمة الأمراض النفسية واعتقادهم أنها مرتبطة بالجنون والتخلّف العقلي وهذا من كيد الشيطان لبني آدم.

٣- التكاليف الباهظة في العيادات النفسية الخاصة وبُعد المواعيد وكثرتها.

٤- الخلط بين الأدوية النفسية وآثارها الجانبية والأفكار الخاطئة بأنها مجرد مخدرات وتؤدي إلى الإدمان.

٥- اليأس من شفاء الأمراض النفسية وأنها مستمرة مدى الحياة.

٦- اعتقاد الكثير من الناس بأن الإصابة بالعين أو السحر أو المس من الجن أقل ضرر من الاضطرابات النفسية.

هذه المعوّقات تقريباً تُعدّ من أهم الأسباب التي تجعل الأسرة تصرف النظر عن مراجعة الطبيب النفسي ويتوجّهون إلى الرقاة مباشرة، ولا شك بأن القرآن شفاء قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[1].

فلعلي أترككم أن تتخيلوا ما الذي يحصل للمريض النفسي عندما يواجه مثل هذه الظروف عند بعض الرقاة ممن اعتادهم كثرة المراجعين.

١- عندما يرفض المريض النفسي الرقية في الجلسة الأولى، قد يعتقد بعض الرقاة بأن هذا الرفض هو بسبب خوف الجان المتلبس بالمريض على أثر الرقية، فيزداد إصرار الأسرة على إرغام المريض بمواصلته على الرقية.

وليس خوف المصابين بتلبس الجن أو السحر من بعض الرقاة على إطلاقه كما يعتقده الكثير من الناس، فما هو إذاً تفسير كثرة ازدحام المصابين بتلبس الجن أو السحر -شفاهم الله- عند بعض الرقاة؟

(١) سورة فصلت: (آية ٤٤).

بل إن أكثرهم يتكررون على بعض الرقاة بمحض إرادتهم بعدما لمسوا بركة القرآن.

٢- يتأثر المريض النفسي حينما ينظر إلى من حوله ممن يتخبّطون أو ممن يتتابهم الصرع أو الصراخ أو البكاء أو التقيؤ شفاهم الله أثناء الرقية الجماعية فيتحوّل هذا التأثير إلى حقيقة مع الاستمرار فيكتسب المريض النفسي هذه المهارة.

٣- يتفاوت الإيحاء من مريض نفسي إلى آخر على قدر تفاوت الحالة النفسية وعلى حسب تصوّره للإصابة فمنهم من يتوهّم إصابته بالعين، ومنهم من يتوهّم إصابته بالسحر، ومنهم من يتوهّم إصابته بالمس من الجن.

٤- يزداد الإيحاء رسوخاً كلّما واجه المريضَ النفسي عنفاً من بعض الرقاة وكلّما زجره بكلمة أخرج ونحوها، وحينما يتكلّف في رفع الصوت،كما أن رفع الصوت يتعارض مع الخضوع و الانكسار بين يدي الله، كما وصف الله - عز وجل - دعاء زكريا - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾[1].

وقول النبي ﷺ للصحابة عندما سمعهم يرفعون أصواتهم بالدعاء في إحدى الغزوات فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيراً**»[2].

---

(١) سورة مريم، آية ٣.

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٢٥).

والرقية ضرب من ضروب الدعاء وطلب العون والشفاء من الله، والله عز وجل يقول: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾[١].

٥- يعتقد بعض أهالي المرضى وبعض الرقاة بأن المريض النفسي كلما ساءت حالته النفسية ، فهو دليل على ضعف الجان المتلبس بالمريض، والحقيقة خلاف ذلك ، فكلما ضعف الجان المتلبس بالمريض من أثر الرقية، كلما تحسّنت حالته النفسية والعضوية معاً، فلو كان في الجسد عارض كالمس من الجن أو السحر أو العين فإنه لن يثبت أمام القرآن بإذن الله.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله»[٣].

بل إن تدهوّر حالة المريض النفسية بعد الرقية أحياناً فيها دلالة على إثقال كاهله بالوهم، حينما يصفه بعض الرقاة بتلبس الجن أو السحر أو العين، ولهذا نجد أن بعض الرقاة يؤكد نطق الجان على لسان المريض بعد أربعين يوماً! وآخر يقول: بعد ثلاثة أشهر من استمرار المريض على الرقية! وذلك حينما تتمكن قابلية الإيحاء من المريض تماماً خلال هذه

---

(١) سورة الأعراف: (آية ٥٥).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٨٧٥).

الفترة! والسؤال ما الدليل على هذا التوقيت الزماني؟

فلعلي أذكر قصة حول هذا الموضوع:

طلب منّي أحد الإخوة القراءة على زوجته التي يعتقد أنها مصابة بتلبس الجن بعد ما استمرت عند بعض الرقاة ما يقارب عام.

ولاحظت أثناء القراءة عليها بأن التخبّط والصراخ مُفْتعل ويزداد بعد كل جلسة لمدة ثلاثة أيام حتى خشينا من انزعاج الجيران، بينما المعتاد أثناء الرقية على المصاب بتلبس الجن أو السحر هو ضعف التخبّط شيئاً فشيئاً بإذن الله بعد كل جلسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(١).

فأخبرت زوجها بأنها ليست مصابة بتلبس الجن وأنها تعاني من حالة نفسية، وفي الجلسة الرابعة اتفقت أنا وزوجها على زعزعة الإيحاء النفسي، فبدأتُ القراءة بصوت مرتفع إلى أن استغرقت في الإيحاء، ثم قرأت بصوت منخفض حتى هدأت، وداومتُ على هذا المنوال إلى أن أنصتت بهدوء أثناء قراءتي بصوت منخفض لكي تستمع وتترقب ماذا أقول:

فقلت من أنت؟ قالت: أنا برجس أو اسم نحوه، فقلت من أين أتيت؟ قالت من العراق، قلت أتيت راكباً طائرة أم سيارة؟ قالت أكيد أطير، فقلت ماذا تريد حتى تخرج؟ فرفضت الإجابة ، فقلت أتريد أن نأتي لك

(١) سورة النساء، آية ٧٦.

بآيس كريم حتى تخرج؟ قالت: (تنكّت) [١]، فقلت اخرج من القدم؟ فإذا بقدمها تهتزّ وكانت متسترة تماماً، فقلت لزوجها هل توافقني على خروج الجنّي؟ قال: نعم [٢].

فلم أُلاحظ أثناء الرقية عليها شيئاً يذكر بعد ثلاث جلسات، وبعد ذلك حاولت إقناعها بطريقة وأخرى مراجعة الطبيبة النفسية لصرف الدواء المناسب، واتصل زوجها بعد فترة يبشرني بأن حالتها النفسية تحسّنت جيداً وذهبت إلى مكة لأداء العمرة بفضل الله؛ فينبغي أن لا نلتفت إلى تأثر المريض أثناء الرقية، بقدر التركيز على تحسّنه بعدها حتى لا نقع في اللّبس مع قابلية الإيحاء لدى المريض النفسي.

وهنا أسوق قصة طريفة وظريفة حول هذا الموضوع ذكرها الشيخ الأديب علي الطنطاوي – رحمه الله –:

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن الشيخ الخضري رحمه الله: أصيب في أواخر عمره بتوهُّم أن في أمعائه ثعباناً، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد

---

(١) المقصود: المزاح والضحك، وهذا في عرف العامة، أما معناها عند العلماء هي الفوائد العلمية.

(٢) بالطبع ذهب توهّم تلبس الجن من ذهنها، والتعريض بالكذب على المريض في مثل هذه الحالة يجوز، لما فيه المصلحة له، وللإمام النووي رحمه الله كلام فيما يجوز ويباح من الكذب للمصلحة، ذكر ذلك في كتابيه: «رياض الصالحين»، و«الأذكار» في بيان ما يجوز من الكذب (ص ٥٩٢).

يسكنها الدود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدق. حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سمع بقصته، فسقاه مسهلاً، وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعباناً، فلما رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحس بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه، يلهث إعياء، ويئن ويتوجع، ولم يمرض بعد ذلك أبداً، قال الشيخ علي الطنطاوي: «ما شفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار»(١).

وهذه الطريقة التي سلكها هذا الطبيب تدل على موافقتها لكلام ابن القيم رحمه الله الذي تقدم ذكره عن العلاج بالتخييل(٢).



(١) صور وخواطر، للشيخ علي الطنطاوي، ص ١٥.

(٢) انظر: ص ١٠٣.

الرقية الشرعية

لا يخفى على أحد من المسلمين ما للقرآن الكريم من أثر فعَّال في علاج أمراض القلوب والأبدان قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دائه وسببه، والحِمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه»[٢].

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾[٣].

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعليقاً على هذه الآية.

---

(١) سورة يونس: (آية ٥٧).

(٢) زاد المعاد ٣/ ٨٧٥.

(٣) سورة القيامة، الآية ٢٦.

«يعِظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية»[(١)].

والقرآن الكريم عالج أعظم داء وقعت فيه البشرية وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى، فكيف بغير الشرك من الأدواء؟! قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[(٢)].

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية رقم (١٨٤٥٠) ونصه:

«س: كثر في هذه الأيام أدعياء الطب من غير الأطباء المعتمدين من قبل وزارة الصحة، ونظراً لخطورة فئة منهم على العقيدة الإسلامية، فإنني أرجو أن أسمع رأي ديننا الإسلامي الحنيف في من يدعي أنه يعالج الناس بالكتاب والسنة ويقوم بفحص المرضى رجالاً ونساءً، وتشخيص أمراضهم ويصف لهم علاجات، ويقرأ لهم في الماء والعسل وغيره، مع أنه قد لا يعرف أصول الدين أو كيف يأخذ من الكتاب والسنة، على سبيل

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٠).

(٢) سورة إبراهيم: (آية ١).

المثال: سمعت شريطاً لأحد المشايخ يقـول: إن عـلاج القلـق هـو أن يقـرأ المريض كل يوم جزءاً من القرآن وتفسيره من ابن كثير، فكيف يكون أصل هذا العلاج من الكتاب والسنة؟

ج: رقية المريض بدنياً أو نفسياً أو من عين أو سحر أو غير ذلك لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية الـصحيحة، وإذا كـان ذلـك ممن يُعرف بالعقيدة السليمة والالتزام بـالأمور الـشرعية، والمعرفـة بـأمور الطب فيما يخصّ التداوي بالأدوية المباحة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢ - وأن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

٣ - وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطـاً، والـراجح أنـه لا بـد مـن اعتبـار الـشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عـوف بـن مالـك رضي الله عنـه قال: كنا نرقي في الجاهلة فقلنا: يا رسول الله: كيـف تـرى في ذلـك؟ قـال: (اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك) [١].

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. برقم (٦٤) (٤/ ١٧٢٧)

وله من حديث جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى، فجاءه آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله: إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب. قال: فعرضوا عليه فقال: (ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل) [١].

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمَن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطاً، والشرط الآخر لا بد منه). ا.هـ[٢].

وما لا يُعقل معناه إن لم يؤد إلى لاشرك فإنه يفتح باب الشعوذة وتسويغ أعمال السحرة والمبتدعين والخرافيين.

أما من يدَّعون علم الغيب أو يستحضرون الجن أو أشباههم من المشعوذين أو المجهولين الذين لا تعرف حالهم ولا تعرف كيفية علاجهم - فلا يجوز إتيانهم، ولا سؤالهم، ولا العلاج عندهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة). أخرجه مسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم: **(من أتى عرفاً أو كاهناً فصدَّقه**

---

(١) رواه أبو داود في سننه، باب في شرب الترياق، برقم (٣٨٦٩) (٦/ ١٧)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (٧٤) (١٧/ ٣٧)، .

(٢) الفتح (١٠/ ١٩٥).

بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [(١)].

ولأحاديث أخرى في هذا الباب كلها تدل على تحريم سؤال العرَّافين والكهنة وتصديقهم، وهم الذين يدعون علم الغيب أو يستعينون بالجن أو يوجد من أعمالهم وتصرفاتهم ما يدل على ذلك، وفيهم وأشباههم ورد الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد جيد، عن جابر رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان) [(٢)].

وفسَّر العلماء هذه النشرة: بأنها ما كان يُعمل في الجاهلية من حل السحر بمثله، ويلتحق بذلك كل علاج يستعان فيه بالكهة والعرَّافين وأصحاب الكذب والشعوذة.

هذا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرقي أصحابه، ومن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم: (ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع). فيبرأ[(٣)].

ومن الأدعية المشروعة: (بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شرّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب حديث بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم برقم (١٦٣٨) (٢٧/ ١٩٧).

(٢) مسند البزار = البحر الزخار برقم (٦٧٠٩) (١٣/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب كيف الرقى برقم (٣٨٩٢) (٤/ ١٢).

كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك)، ومنها: (اللهم رب الناس أذهب البأس، واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً) [١].

ومنها: أن يضع الإنسان يده على موضع الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: (بسم الله، أعوذ أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر) سبع مرات [٢]. إلى غير ذلك.

أما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها على المريض فلا يجوز على الصحيح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) ويستثنى من ذلك ما أجازه الشرع من الرقى.

أما النفث في الماء، فإن كان المراد به التبرُّك بريق النافث فهو حرام، ويُعدّ من وسائل الشرك؛ لأن ريق الإنسان ليس للبركة ولاشفاء، ولا أحد يُتبرَّك بريقه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما النفث بالريق مع تلاوة القرآن الكريم والأدعية، مثل أن يقرأ الفاتحة، والفاتحة رقية وهي أعظم ما يرقى به المريض، فهذا لا بأس به، وقد فعله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في رقية اللديغ فشفاه الله، وأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأقرهم عليه، وقال: (أصبتم)،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٥٧٤٣) (٧/ ١٣٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب ما عوذ به النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٥٢٢) (٢/ ١١٦٣)، قال الألباني: صحيح.

وهو مجرَّب ونافع بإذن الله، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث في يديه عند نومه بـ: (قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، وقل أعوذ برب الناس)، فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ثلاث مرات.

أما ما جاء في السؤال من أن علاج القلق هو قراءة جزء من القرآن وتفسيره من ابن كثير فلا أصل له، لكن القرآن كله مما يُرقى به وينفع الله به.

أما تخصيص آيات معينة لرقية بعض الأمراض بلا دليل فلا يجوز، فإن القرآن خير كله وشفاء للمؤمنين، ومن أعظم ما يُرقى به منه الفاتحة كما سبق[١].

ويجب التنبُّه إلى أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط، لكن نزل لأمرٍ عظيم وخطب جليل؛ ليكن نذيراً للعالمين وهادياً إلى صراط الله المستقيم، وحاكماً بينهم فيما يختلفون فيه، ومحذِّراً من طريق الكفر والكافرين، وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣].

(١) ومن أسماء الفاتحة (الرقية).

(٢) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٣) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وقد سئل معالي الشيخ الدكتور/ عبدالكريم بن عبدالله الخضير عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء وفقه الله: «هل تُمنع الرقية الشرعية إذا كان المريض لا بد له من التدخل الجراحي، كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة وغيرها من جوف البدن، أو أن تكون الرقية الشرعية للمكسور أو من به فتق فاحتاج إلى خياطة وغيرها مما يحتاج إلى تدخل محسوس؟

فأجاب - حفظه الله -: أن الرقية جاءت بها النصوص، وهي سبب شرعي معتبر له أثره العجيب، لا سيما إذا كان الراقي من أهل الخير والفضل والصلاح والعلم، فلا شك أن لها أثراً كبيراً، ولها أثر حتى في الأمور المحسوسة، والنص في السؤال يقول: (كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة)، أذكر مسألة واقعة لامرأة كبيرة في السن قُرِّر لها عملية لاستخراج حصاة من المرارة أو من الكلية - نسيت الآن - فطلبت الخروج من المستشفى للاستخارة، فأخذت كأساً من ماء زمزم فقرأت فيه سورة الفاتحة والمعوذتين، فشربته فخرجت الحصاة، ثم رجعت إلى المستشفى وأُجري لها تحليل فقيل لها: الحصاة ليست موجودة، فماذا صَنَعْتِ؟ قالت:

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١/ ٧٢.

قرأت القرآن في ماء زمزم، والقرآن لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعاًمتصدعاً من خشية الله، فالجبل يخشع ويتصدَّع بسبب القرآن، فتأثيره في هذه الحصاة الصغيرة أمر لا شك أنه واقع، وقد وقع، فلا ييأس الإنسان، بل الأصل أن الإنسان يرقي نفسه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل، «فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»(١)، وأيضاً لا مانع من فعل الأسباب المحسوسة، فيتظافر هذا وهذا، والكل إن شاءالله فيه خير، فيجمع بينهما، ولا مانع، ومن العامَّة من يرى أنه لا أثر للرقية مع العلاج المحسوس، وهذا الكلام ليس بصحيح، نعم قد يتأخر تأثير الرقية إذا اعتمد اعتماداً كلياً على الطبيب أو على العلاج، وارتبط به ارتباطاً ونسي المسبب، فقد لا يتأثر بالرقية كما هو مجرَّب ومُشاهد، والرقية أيضاً لا شك أنها سبب من الأسباب قد يترتب عليها أثرها لانتفاء المانع، وقد لا يترتب عليها أثرها لوجود المانع»(٢) انتهى الجواب.

وحول هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: «إن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو وأهل الكفور كلهم وعامَّة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم

(١) أخرجه البخاري، باب النفث في الرقية، حديث رقم ٥٧٤٨ (٧/ ١٣٣).

(٢) صحيفة الجزيرة، الجمعة ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، العدد ١٦٠٧٣.

أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيِّد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء؛ حتى إن كثيراً من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس، وعرفهم وتجاربهم»[١].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آيَة الْكُرْسِيّ ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه في أهله ولا ماله ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق) [٢].

وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن»[٣].

وسئل شيخ الإسلام -رحمه الله – (عمّن يقرأ القرآن، هل يقرأ سورة الإخلاص مرة أو ثلاثاً؟ وما السنة في ذلك؟

فأجاب: إذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة، هكذا قال العلماء؛ لئلا يزاد على ما في المصحف وأما إذا قرأها

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١ / ٧٠).

(٣) حديث أنس رواه الترمذي برقم(٢٨٩٣) وحديث ابن عباس برقم (٢٨٩٤).

وحدها، أو مع بعض القرآن ، فإنه إذا قرأها ثلاث مرات، عدلت القـرآن. والله أعلم) [(١)].

وأما الحديث في (الفاتحة) فروى البخاري في صحيحه عـن أبي سـعيد ابن المعلّى قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسـول الله ﷺ فلـم أجبـه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصـلي. قـال: (ألم يقـل الله ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظـم سـورة في القرآن قال: الحمد الله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم» [(٢)].

وقال الإمام ابن القـيم رحمـه الله في بيـان اشـتمال الفاتحـة عـلى شـفاء الأبدان [(٣)].

(وأما تضمنها لشفاء الأبدان فنـذكر منـه مـا جـاءت بـه الـسنة، ومـا شهدت به قواعد الطب، ودلت عليه التجربة.

فأما ما دلت عليه السنة: ففي الصحيح من حديث أبي المتوكل الناجي عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرُّوا بِـمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ، فَقَالَ: هَلْ فِـيكُمْ مِـنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَـانْطَلَقَ رَجُـلٌ مِـنْهُمْ، فَقَـرَأَ بِفَاتِحَـةِ

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٩/ ١١٩)، الطبعـة الثانيـة ١٤٢٢، النـاشر: دار الوفاء بمصر.

(٢) صحيح البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٦).

(٣) مدارج السالكين (ص: ٣٩)، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم بيروت- لبنان.

الكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[١].

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء.

هذا مع كون المحل غير قابلٍ، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخلٍ ولؤمٍ، فكيف إذا كان المحل قابلًا).

ولا يزال الكلام لابن القيم رحمه الله: (وأما شهادة التجارب بذلك فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمانٍ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورًا عجيبةً، ولا سيما مدة المقام بمكة، فإنه كان يعرض لي آلامٌ مزعجةٌ، بحيث تكاد تقطع الحركة منِّي، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاةٌ تسقط، جربت ذلك مرارًا عديدةً، وكنت آخذ قدحًا من ماء زمزمٍ فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان)[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٧/ ١٢١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٨٠)، دار الكتاب العربي، بيروت،

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في موضع آخر: (وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعةٍ عظيمةٍ جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواحٍ شيطانيةٍ، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عنِّي ذلك الحال، وجلست وما بي قَلْبَةٌ.

وقد جربت[1] أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته.

وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ

الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ.

(١) الكلام لابن القيم رحمه الله.

(٢) سورة البقرة: (آية ٢٤٨).

(٣) سورة التوبة: (آية ٢٦).

ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾[(١)].

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[(٢)].

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾[(٣)].

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[(٤)])[(٥)].



(١) سورة التوبة: (آية ٤٠).

(٢) سورة الفتح: (آية ٤).

(٣) سورة الفتح: (آية ١٨).

(٤) سورة الفتح: (آية ٢٦).

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٧١).

سادساً: نظرة حول أثر الرقية

إن من أروع الأمثلة لمعرفة مدى أثر الرقية على المريض، هي المقولة الشهيرة لابن القيم رحمه الله: (**الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحلّ للقطع**)[١].

فلابد أن ندرك هذه المقولة جيداً حتى نستطيع التمييز ما بين تباين قوة تأثير الرقية وما بين ضعفها على المرضى المصابين بالأمراض النفسية، وبين المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين.

قوله رحمه الله: (الرقية براقيها): يتبين لنا من خلال هذه العبارة أن تأثير الرقية يتفاوت من راقٍ إلى آخر في شفاء بعض المرضى بإذن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وكان بعض الشيوخ يرقي بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكان لها بركة عظيمة فيرقي بها غيره فلا يحصل ذلك فيقول: ليس ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ من كل أحد تنفع كل أحد)[٢].

وليس المراد بمقولة ابن القيم -رحمه الله- كما يتصوّره بعض العامّة من الناس حينما حملوا هذه المقولة على غير محملها كما يعتقد بعضهم بأن تأثير

(١) مدارج السالكين (ص: ٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٩).

الرقية ونفعها يتفاوت من راقٍ إلى آخر على قدر تفاوت قوة البدن ورفع الصوت.

وقد اشتكى لي أحد المراجعين من طنين في إحدى أذنيه استمر ما يقارب خمسة أيام نتيجة الرقية بصوت مرتفع في إحدى أذنيه، علماً بأن المريض ينتفع بالرقية بمجرد سماعها بإذن الله قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

وقد تداول بعض الناس مقطعاً صوتياً لرقية سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - على أحد المرضى بسورة الفاتحة بصوت منخفض مع النفث.

وقد يستدعي المقام رفع الصوت بحيث يكون مسموعاً دون أن يحدث ضرراً في أذن المريض المصاب بصرع الجن كما فعل شيخ الإسلام رحمه الله(٣).

قوله رحمه الله: (وقبول المحل): فعلى ضربين :

أحدهما: أن يكون المرض عضوياً، ويكون المرقي عليه على يقين بنفع القرآن وإن لم يكن مسلماً كما حصل في قصة اللّديغ(٤).

---

(١) سورة الجن: (آية ١٣).

(٢) سورة ق: (آية ٣٧).

(٣) انظر ص: ١١٩.

(٤) تقدم: ص ١٤٩.

كما قال العلامة ابن القيم –رحمه الله–: (فإن مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده، وحفظ الشيء بمثله، فالصحة تُحفظ بالمثل، والمرض يُدفع بالضد، أسبابٌ رَبَطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً وأمراً، ولا يتم هذا إلاّ بقوة من النفس الفاعلة، وقبول من الطبيعة المنفعلة، فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية، ولم تقوى نفس الراقي على التأثير لم يحصل البرء.

فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل. فمتى تخلّف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولابد بإذن الله سبحانه وتعالى) [(١)].

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء ولكنه بحسب القارئ وبحسب المقروء عليه لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة، فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كل من القارئ والمقروء عليه انتفع به[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين: (ص ٤١).

(٢) فضائل القرآن الكريم، ص ٣٩٥.

أما الآخر: أن يكون السبب الرئيس لمعاناة المريض المرقي عليه هو نتيجة الإصابة بالعين أو السحر أو تلبس الجن مهما اختلفت الأعراض سواءً ظهرت بصورة مرض عضوي أو نفسي .

قوله – رحمه الله –: (كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع) شبّه تفاوت تأثير الرقية على المريض من راقٍ إلى آخر كتفاوت تأثير ضربة السيف من رجل إلى آخر حال القتال.

فكلّما تفوّق أحدهما على الآخر بالشجاعة كلّما كان لِضرب سيفه وقْعٌ على هام[1] الرجال، وأثخن في العدو الجراح مالم يحل بين ضربة سيفه وبين محل قطع الأعناق أو البنان[2] حائل.

بغض النظر عن قوة البدن كما قال ابن القيم –رحمه الله–: (أنه لا تلازم بين قوة البدن وقوة النفس ولا بين ضعفه وضعفها، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جباناً خوَّاراً ، وقد يكون ضعيف البدن قوي النفس، فيكون شجاعاً مقداماً على ضعف بدنه) [3].

فإذا وافقت ضربة السيف بسيف آخر أو درع ونحوه لم يحصل التأثير مهما كثُر الضرب، كذلك ضعف تأثير الرقية على المرضى المصابين ببعض الأمراض المستعصية.

(١) جمع لكلمة هامة: هي أعلى الرأس.

(٢) الأطراف وكل مفصل.

(٣) كتاب الروح (ص: ٢٥٥).

فمتى ما أدركنا معنى هذه المقولة جيداً حينها ندرك قوة تأثير الرقيـة في شفاء بعض الأمراض وضعف تأثيرها على البعض الآخر.

كما أن علينا أن نوقن بأن الله عز وجل غالب على أمره ونؤمن بـأن الله سبحانه هو الذي قدّر هـذه الأمـراض، وهـو سـبحانه قـادر عـلى دفعهـا ورفعها.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

قال البغوي في تفسيره قولـه عـز وجـل: (مَـا أَصَـابَ مِـنْ مُـصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ) يعني : قَحط المطر وقِلّة النبات ونَقص الثمار ، (وَلا فِي أَنْفُسِكُم) يعني : الأمراض وفَقْد الأولاد ، (إِلا فِي كِتَابٍ) ، يعني: اللوح المحفـوظ، (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) ، مِن قَبل أن نَخْلُق الأرض والأنفس.

قال ابن عباس: مِن قَبل أن نَبْرَأ الُمصِيبة.

وقال أبو العالية: يعني النَّسَمَة.

(إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ)، أي: إثبـات ذلك على كثرتـه هيِّن على الله عز وجل[2].

---

(١) سورة الحديد: (آية ٢٢)

(٢) تفسير البغوي: (ص ١٢٧٩)، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ، بيروت.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**»(١).

وفي هذا النص النبوي الكريم بشرى عاجلة وآجلة لكل مؤمن ومؤمنة مبتلى، وفيه حثٌّ على الصبر والاحتساب مع فعل الأسباب المشروعة.

وما أجمل ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكم لله من لُطفٍ خفيٍّ ... يدقُّ خفاهُ عن فَهْمِ الذَّكِّي

وكم يُسرٍ أتى مِن بعدِ عُسرٍ ... ففرَّج كُربةَ القلبِ الشجيّ

وكم أمرٍ تُساءُ به صباحاً ... وتأتيك المسرَّةُ بالعَشِيّ

إذا ضاقَت بك الأحوالُ يوماً ... فَثِق بالواحدِ الفردِ العليّ

ولا تجزَع إذا ما نابَ خَطْبٌ ... فكم لله مِن لُطفٍ خَفيّ(٢)

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٣ / ٢٤٨).

(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص (١٦٠).

سابعاً: نظرة حول المقارنة بين تأثير الرقية وتأثير بعض الأدوية النفسية على المريض

عندما تحدثت عن تفاوت تأثير الرقية في حال قوتها وضعفها على المريض.

فلا بد هنا أن أشير إلى تفاوت تأثير بعض الأدوية النفسية في حالة قوة تأثيرها وضعفها على إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين.

حتى ندرك الفارق بين قوة تأثير الرقية وبين ضعفها على الأمراض النفسية، ومن خلال مقارنتي في تباين بعضهما على بعض لا يعني المساواة بينهما. ولسان الحال يقول كما قال الشاعر(١):

ألم ترَ أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فلا أحد يستطيع أن يحصي مدى تأثير القرآن إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٢)، كما أن تأثير القرآن الكريم ليس له منتهى قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ

(١) أبيات مختارة تشتمل على عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب (ص: ٨٠).

(٢) سورة الحشر: (آية ٢١)

(٣) سورة الرعد: (آية ٣١)

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[١].

فالرقية نافعة للمريض في جميع أحوالها[٢] - بإذن الله تعالى - وليس لها آثار جانبية سلبية، بينما الآثار الجانبية السلبية لبعض الأدوية النفسية مغمورة في بحر حسناتها، باعتراف حذَّاق الأطباء، فهي العلاج -بعد توفيق الله عز وجل- للأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية المتقدمة، كما هو الحال عند المريض بداء السكري حينما لا يلتفت إلى الآثار السلبية لعلاج السكر (الأنسولين) مقابل إنقاذه بإذن الله أثناء ما ترتفع عنده نسبة السكر في الدم، فحياته قد تتعرَّض للخطر في أي لحظة، فربما يدخل في غيبوبة أو نحوها؛ لذا فإن عليه أن يتابع مع الطبيب ويأخذ الجرعة المناسبة إلى حين استقرار حالته، والعافية أمامه بإذن الله.

هذا، وكما أمر الرسول ﷺ بالرقية، كذلك أمر بالتداوي ومما جاء في ذلك:

قوله ﷺ: « **تداووا ؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم**»[٣].

وفي هذا النص النبوي الكريم بشارة وأمل لكل مريض ومريضة.

وتنقسم المقارنة بين تأثير الرقية وبين تأثير الأدوية النفسية إلى قسمين:

---

(١) سورة الإسراء: (آية ٨٨).

(٢) سيأتي: ص ٢٣٨.

(٣) سنن أبي داود: (٤/ ٣)، برقم (٣٨٥٥).

أولاً : قوة تأثير الرقية بالمقارنة مع ضعف تأثير الأدوية النفسية الحسيَّة المباحة على المريض.؟

إن غالب المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين بإصابات مزمنة يعانون من بعض الأعراض المصاحبة مثل أعراض الاكتئاب

فلابد في مثل هذه الاصابات المختلطة الجمع بين الرقية لمعالجة السبب الرئيس وبين مراجعة الطبيب النفسي لوصف مضادات الاكتئاب المناسبة لعلاج الاعراض المصاحبة لدى المريض إلى أن يمّن الله عليه بالشفاء العاجل، فالمعيار الحقيقي لأثر الرقية، هو تحسّن المريض تحسّناً فعلياً عقب الرقية، بخلاف التحسن الوهمي الذي قد لا يتجاوز أياماً معدودة.

كما أن الأدوية النفسية التي يتناولها المريض مهما بلغت من تأثير لا يمكن أن تحجب قوة تأثير الرقية بخلاف ما يعتقده بعض الرقاة! حتى أن أحدهم يشترط على المريض ترك العلاج النفسي قبل الرقية بما يقارب عشرة أيام؟

فالرقية سبب من الأسباب المؤدية للشفاء من الأمراض بإذن الله تعالى، لكن ليست هي كل الأسباب ، فالأخذ بالرقية باعتبارها سبباً من أسباب الشفاء لا يمنع من الأخذ بعلاج آخر، والكل من عند الله، والشفاء من عنده سبحانه وتعالى.

وهذه قصة حول هذا الموضوع.

قرأت على مريض مصاب بتلبس الجن أمام الفريق المعالج، وفي أثناء الرقية قام المريض يتخبّط بطريقة مخيفة ففزع بعض أعضاء الفريق وكاد أحدهم أن يلوذ بالفرار لولا أن المريض اختبأ تحت المكتب، فنزلت معه لمواصلة الرقية فإذا بطبيب متدرب ينزل معي بعدما سقط العقال والشماغ من رأسه على ما أظن من شدة حرصه وهو يقول: تمتم تمتمه ؟

فوقعت في حيره من أمره ولا أدري ؟ كأنه يريد أن يسلك طريق من كان قبله في انتقاد الرقاة؟

أم يريد أن يثبت لأعضاء الفريق بهذه الطريقة المعروفة بأن هذا المريض يمرّ بحالة إيحاء نفسي[1]؟.

فقرأت على المريض شيئاً من الشعر على وتيرة الرقية مع النفث فلم يحرك المريض ساكناً.

وماهي إلا فترة يسيرة ويصف لنا الطبيب المعالج حالة المريض قائلاً: سرعان ما استقرت حالة المريض بعد الرقية بفضل الله، وكتبت له خروجاً.

وأضاف الطبيب قائلاً: لقد منّ الله عليّ بحفظ القرآن وأنا على يقين بأن له أثراً عظيماً في علاج الأمراض النفسية والعضوية وذكر هذه القصة

(١) توهّم المريض لتلبس الجن، سبق ص ١٣٢.

فقال: أصاب زوجتي وعكة أثناء فترة الحمل في الشهر الأول، فنقلتها إلى المستشفى وأجريت لها كامل الفحوصات الطبية ولم يظهر شيء، واحتار الأطباء في تشخيصها وقالوا اشتباه جلطة في الرئة.

ووضِعت تحت خطة علاجية، فألهمني الله عز وجل بالقراءة عليها حتى برئت بفضل الله وخرجت من المستشفى، ووضَعت مولودة سليمة في الشهر التاسع فلله الحمد والمنَّة.

ثانياً: ضعف تأثير الرقية أحياناً بالمقارنة مع قوة تأثير بعض الأدوية النفسية على بعض المرضى، والكل من عند الله، وبأمره سبحانه وتعالى.

إن تأثير بعض الأدوية النفسية أكثر فعالية بإذن الله من تأثير الرقية على بعض المرضى المصابين بالأمراض النفسية المتقدمة وكلها مأمور بها شرعاً.

والدلالة على ذلك بأن معظم المرضى النفسيين المنومين في داخل المستشفى يتحسنون إلى حدٍّ كبير على أثر الأدوية النفسية دون رقية ، فضلاً عن المراجعين في العيادات الخارجية .

فالرقية ليست بديلاً عن الأدوية النفسية في الحالات النفسية المتقدمة كما يعتقده الكثير من الناس لكنها تخفف من حدّة التوتر النفسي -بإذن الله-[1].

وطلب العلاج منهج نبوي، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنه

(١) انظر: ص ٢٣٩.

صلى الله عليه وسلم لمّا سحره اليهودي، فدعا النبي ﷺ حتى شُفي وأخبره الله عن طريق الوحي بالسحر ومكانه قالت عائشة: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله و شفاني، وخشيت أن أثوَّر على الناس منه شراً»[(١)].

وجه الاستدلال: أن عائشة رضي الله عنها أشارت على النبي ﷺ سلوك طُرُقٍ أخرى، فقال النبي ﷺ لا قد عافاني الله و شفاني فهذا هو المطلوب.

فإذا كان النبي ﷺ لا يعلم أنه مسحور حتى أتاه الوحي فأخبره عن السحر ومكانه؛ فكيف بحال كثير من المرضى في هذا الزمن مع توهّم السحر! وضعف اليقين، والله المستعان.

هذا، ومما ينبغي أن يعلم ويؤكد أن السحر الذي أصابه صلى الله عليه وسلم كان مرضاً عارضاً من الأمراض شفاه الله منه، وأن ذلك غير قادح في عصمته صلى الله عليه وسلم[(٢)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٦٦).

(٢) سيأتي كلام ابن القيم ص ١٩٤.

وهنا أذكر شيئاً من تجربتي في بدايتي بالمقرأة[١] حول هذا الموضوع

بعدما عزمت على تأليف هذا الكتاب كان علـيّ لزامـاً استيفاءه حقـه بتوفيق الله وعونه حتى تصل رسالة سامية إلى المريض بإذن الله.

فقررت العمل الميداني الخارجي لمراقبة بعض المرضى النفسيين عن كثب بغض النظر عن المرضى المصابين بالأمراض العضوية، والتحقت بإحـدى دور الرقية وأخبرت صاحبها بمرادي ورحّـب بفكـرة الكتـاب وأتـاح لي الفرصة أثابه الله.

وخصصت مكاناً للنساء المرافقات مع المراجعين يحتـوي عـلى حـاجز يفصل بيني وبينهم، وفي وسطه ثلاث فرجـات حجمهـا كحجـم كـف اليـد بمحاذاة الرأس حتى يصل إليهم شيء من النفث أثناء الرقية؛ لئلا يتكشَّفن حال الصرع كما جاء في الحديث: (إني أُصرع، وإني أتكشف) [٢].

فلم تكن هذه الطريقة معهودة لدى الرقاة في الغالب؛ ولهذا استنكرها كثير من المراجعين فما زادتهم إلا نفوراً.

وزعم – أيضاً – أحد الرقاة في وقت لاحق، وبعض المراجعين أن هذه الطريقة تحِدّ من أثر الرقية على حدِّ علمهم، وهـذا الكـلام غـير صـحيح،

---

(١) والمقرأة هي عبارة عن مكان مهيأ لقراءة القرآن في المساجد أو دور تعليـم القـرآن والمـراد بهـا هنا تخصيص مكان للرقية ويقوم عليها أحد الرقاة، وسيأتي حكم الجلوس فيها ص١٦٨.

(٢) انظر: ص ١١٧.

يقول - جل وعلا - على لسان الجن: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾[(٢)].

قال قتادة: «أذن عقلت عن الله فانتفعت عما سمعت من كتاب الله»[(٣)].

ولاحظت - كذلك - أن بعض المراجعين توجَّسوا من أسلوبي في استعمال المصطلحات النفسية التي تختلف نوعاً ما عن طريقة مقابلتهم مع بعض الرقاة.

فواجهت صعوبة في عكس التيار المعتاد لنمط بعض الرقاة، فعجزت عن إزالة الوهم بتلبس الجن أو السحر أو العين الذي علِقَ في عقول الكثير من المرضى النفسيين أثناء الحوار معهم قبل الرقية وبعدها، فلم أتمكن من إقناع الكثير من المرضى النفسيين - شفاهم الله - بضرورة التوجه إلى الأطباء النفسيين للعلاج، فنجم عن ذلك نفور الكثير من المراجعين، والإقبال على مراجعة الراقي الآخر الذي يوافقهم على الهلاوس والشكوك والوساوس.

فشاهدت معظم المرضى النفسيين يترددون عليه طيلة فترة عملي بالمقرأة بما

---

(١) سورة الأحقاف: ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة الحاقة: ١٢.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٩).

يقارب سنتين، بينما الأقلّية من المرضى النفسيين ممن تجاوبوا وتوجهوا إلى الطب النفسي، وجدوا ثمرة العلاج النفسي، فمنهم من كان يعاني من اضطراب نفسي لمدة سنتين، وآخر خمس سنوات، وآخر عشر سنوات تقريباً.

بل إني التقيت بأحد هؤلاء المرضى خلال فترة الدوام في ممرّ العيادات الخارجية وكان يعاني من قلق مزمن لمدة ثلاثين عاماً فقال: جزاك الله عنّي خير الجزاء.

فكانت نتيجة الخبرة في مجال الرقية الشرعية بالمقرأة لمدة عامين تقريباً توازي نتاج خبرة الرقية الشرعيّة بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض بما يقارب خمسة عشر عاماً.

وأعتقد أن هذا الفارق الكبير يعود إلى اختلاف طبيعة العمل داخل المستشفى.

ومن جهة أخرى عزوف مجتمعنا عن الطب النفسي.

الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة.

هذه فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢٠٥١٥) إجابة عن السؤال التالي[١]:

س: سمعنا ممن ينسب إلى العلم أن وضع وقت محدد ومكان محدد للقراءة بدعة لا تجوز، فما صحة هذا القول؟ حيث إن كثيراً ممن يقوم برقية الناس يضع مكاناً غير بيته، يقرأ فيه على الناس في ساعة محددة، حتى لا يتأذى في منزله من أولئك الذين لا يقدّرون أوقات الآخرين.

ج: لا حرج على الراقي أن يجعل وقتاً معيناً أو مكاناً معيناً يقرأ فيه على الناس، وهذا فيه مصلحة ظاهرة له ولغيره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

❁ ❁ ❁

(١) المجموعة الثانية، المجلد الأول، ط١، ص ٩٤.

ثامناً: نظرة حول العين والحسد

تُطلق تسّمية النفس عند بعض الناس على الإصابة بـالعين ويقولـون: فلان فيه نفس؛ لأن تأثير نفس الحاسد على المحـسود إنـما يكـون بواسـطة العين، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله:

(وتأثيرات النفوس بعضها في بعض أمـر لا ينكـره ذو حـس سـليم، ولا عقل مستقيم، ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائـق والعوائـق البدنيـة فإن قواها تتضاعف وتتزايد بحـسب ذلـك ولا سـيما عنـد مخالفـة هواهـا وحملها على الأخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف الأخلاق ورذائلها وسافلها فإن تأثيرها في العالَـم يقـوى جـداً، تأثيراً يعجز عنه البدن، وأعراضه أن تنظر إلى حجر عظيم فتشقه أو حيوان كبير فتتلفه أو إلى نعمة فتزيلها. وهذا أمرٌ قد شاهدته الأمم عـلى اخـتلاف أجناسها وأديانها وهو الذي سُمِّي إصابة العين فيضيفون الأثـر إلى العـين وليس لها في الحقيقة وإنما هو النفس المتكيفة بكيفية رديَّة سُميَّة وقد تكـون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء مـن بعيـد فتتكيَّـف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده، وأنـت تـرى تـأثير الـنفس في الأجـسام صفرة وحمرة وارتعاشـا بمجـرد مقابلتهـا لهـا وقوتهـا وهـذه وأضـعافها آثـار خارجة عن تأثير البدن وأعراضه فإن البدن لا يؤثر إلا فـيما لاقـاه وماسَّـه تأثيراً مخصوصًا، ولم تزل الأمم تشهد تأثير الهمم الفعالـة في العـالم وتـستعين بهـا

وتحذر أثرها وقد أمر رسول الله أن يغسل العائن مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فإنه يزيل عنه تأثير نفسه فيه وذلك بسبب أمر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه) [١].

كما أن للعين آثارها العضوية على الإنسان و آثارها النفسية ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نتعوذ من شرها وشر صاحبها كما قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [٢]. ولهذا يقرأها المسلم في أوراده صباحاً ومساءً.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود. فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه. فإن الله تعالى قال: (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ) فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهملة.

ومعلوم أن الحاسد لا يسمَّى حاسدا إلا إذا قام به الحسد، كالضارب، والشاتم، والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود، لاه عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعث نار الحسد من قلبه إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قبله. فيتأذى المحسود بمجرد ذلك. فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به، ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره

---

(١) الروح (ص:٢٦٢).

(٢) سورة الفلق: (آية ٥).

بمقدار توجهه وإقباله على الله، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد.

فقوله تعالى: (إِذا حَسَدَ) بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل) [١].

وقال ابن القيم رحمه الله في موضع آخر: (والعاين والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء. فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن: تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته.

والحاسد: يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً.

ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد أو حيوان، أو زرع أو مال أن كاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية: تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [٢]. إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا

(١) التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم لابن القيم: (ص ٥٤٩)، الناشر: دار الهيثم، القاهرة، عام ١٤٢٦ هـ.

(٢) سورة القلم: (آية ٥١).

بها النبي ﷺ. فنظر إليه قوم من العاينين، وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها، ثم يقول لخادمة: خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها. فما تبرح حتى تقع، فتنحر[١].

قلت[٢]: النظر الذي يؤثر في المنظور: قد يكون سببه شدة العداوة والحسد فيؤثر نظره ، كما تؤثر نفسه بالحسد، ويقوى تأثير النفس عند المقابلة، فإن العدو إذا غاب عن عدوه فقد يشغل نفسه عنه. فإذا عاينه قبلاً اجتمعت الهمَّة عليه، وتوجهت النفس بكليتها إليه، فيتأثر بنظره، حتى إن من الناس من يسقط، ومنهم من يحم ، ومنهم من يحمل إلى بيته. وقد شاهد الناس من ذلك كثيرا) [٣].

والحسد هو مرض قلبي قائم على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

ودليل ذلك ما رواه أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ، قال: (مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ «مَنْ

---

(١) وهذا من أعظم الظلم والعدوان؛ لأن الشرع المطهر شرع علاجاً ناجعاً لدفع أذى العائن وشره.

(٢) لا يزال الكلام لابن القيم رحمه الله.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

تَتَّهِمُونَ بِهِ» قَالُوا عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ» ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ) [1] سنن ابن ماجه (٢ / ١١٦٠).

وفي رواية قال عامر بن ربيعة: (فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها». قال: فقام) [2].

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد المحسن بن قاسم إمام وخطيب المسجد النبوي في كتابه «خطوات إلى السعادة» كلاماً نفيساً عن الحسد: فقال: «الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب يقع بين النظراء، لكراهة أحدهما، أو لفضل الآخر عليه، وهو من أعظم مداخل الشيطان، وهو خصلة ذميمة من خصال اليهود، قال جل وعلا: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[3] وهو نار محرقة من بُلي به فهو في عذاب الله، يقول الشاعر:

---

(١) أي: صَبَّهُ خَلْفَهُ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ، طرح التثريب في شرح التقريب (٨ / ٢٠٠).

(٢) الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (٦ / ١٤٨).

(٣) سورة النساء: ٥٤.

لله در الحسد ما أعدله　　　يبدأ بصاحبه فيقتله

وقد قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد، فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل أخاه هابيل.

والحسد نوع من معاداة الله، فالحاسد يكره نعمة الله على عبده، وقد أحبها الله وأحب زوالها عنه، والله يكره ذلك فهو مضاد لله ي قضائه وقدره ومحبته وكراهيته، وهو منافي للآخرة في الدين، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله أخواناً»(١)

والحاسد كاره فضل الله على عباده، مبغوض في الخلق، محب للذات، كاره لنفع الآخرين.

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها».

قال ابن القيم: «الحاسد عدو نعمه - أي نعم الله - وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، ولا يواسى، فإن الناس لا يسوِّدون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم»(٢).

والفاضل لا يكون حسوداً، ولا يحسد إلا المفضول، والله عز وجل قد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره برقم ٣٢ (٢٥٦٤) ٤/ ١٩٨٦.

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٢.

ينعم على المحسود بالنعمة التي حسد عليها أو يزيد.

قال شيخ الإسلام: «بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود»(١).

ومن وجد في قلبه حسداً لغيره فليجاهد نفسه باستعمال التقوى والصبر، قال رجاء بن حيوة: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح»، فعليك بالسعي في إزالة الحسد من قلبك، والإحسان إلى المحسود بإكرامه، والدعاء له، ونشر فضائله، واعل بنفسك إلى إزالة ما وجدت عليه في نفسك من الحسد حتى تصل إلى مرتبة تتمنى فيها أن يكون أخوك المسلم خيراً منك وأفضل. قال ابن رجب: «وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢).

والمحسود مظلوم مأمور بالصبر والتقوى فليصبر على أذى الحاسد وليعف وليصفح عنه فالرفعة له.

قال ابن القيم: «من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشراً وبغياً وحسداً، ازددت إليه

---

(١) الفتاوى (١٠/ ١١٢)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٣).

إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة»[(١)(٢)] ا.هـ

وإن من رحمة الله عز وجل بعباده أن شرح لهم أسباباً تقيهم بإذن الله من الشرور، سواء أكان مصدرها من الجن أو من الإنس، وقد تتبَّع الإمام ابن القيم رحمه الله الأسباب التي تندفع بها الشرور بأنواعها البدنية أو النفسية، وقد أوصلها إلى عشرة أسباب، وهي على النحو التالي:

السَّبب الأول: التعوُّذ بالله من شَرِّه والتَّحصُّنُ به واللَّجأ إليه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

والله تعالى سميعٌ لِمَن استعاذ به، عليمٌ بما يستعيذ منه، قادرٌ على كلِّ شيء، وهو وحده المستعاذ به، لا يُستعاذ بأحد من خلقه، ولا يُلجأُ إلى أحد سواه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويَعصمُهم ويَحميهم مِن شَرِّ ما استعاذوا من شَرِّه.

وحقيقةُ الاستعاذة الهروبُ من شيء تَخافُه إلى من يَعصمُك ويَحميك منه، ولا حافظَ للعبد ولا معيذَ له إلاَّ الله، وهو سبحانه حَسْبُ من توكَّلَ عليه، وكافي من لَجَأَ إليه، وهو الذي يؤمِّنُ خوفَ الخائف ويُجيرُ المستجير،

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٨).

(٢) انظر: خطوات إلى السعادة ص ١٨٣ - ١٨٦.

وهو نعم المولى ونعم النصير.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظُه عند أمره ونَهيه، فمَن اتَّقى اللهَ تولَّى حفظَه ولَم يَكلْه إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**احفظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفظ الله تَجده تجاهَك**»؛ فمَن حفظ اللهَ حفظه الله، ووجدَه أمامَه أينما توجَّه، ومَن كان اللهُ حافظَه وأمامَه فمِمَّن يخاف ومِمَّن يحذر.

السبب الثالث: الصَّبرُ على عدوِّه وأن لا يقاتلَه ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصرَ على حاسده وعدوِّه بمثل الصَّبر عليه، وكلَّما زاد بغيُ الحاسد كان بغيُه جنداً وقوةً للمبغي عليه، يقاتل بها الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيُه سهمٌ يرميها من نفسه إلى نفسه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾؛ فإذا صبَرَ المحسودُ ولم يستطل الأمرَ نال حُسنَ العاقبة بإذن الله.

السبب الرابع: التوكُّل على الله، فمَن يتَوكَّل على الله فهو حَسبه، والتوكُّل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبدُ ما لا يطيقُ من أذى الخَلْق وظُلمهم وعدوانهم، ومَن كان الله كافيه فلا مطمَعَ فيه لعدوٍّ، ولو توكَّل العبدُ على الله حقَّ توكُّله، وكادته السموات والأرضُ ومَن فيهنَّ لَجعلَ له مخرجاً من ذلك وكفاه ونَصرَه.

السبب الخامس: فراغُ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصدَ

أن يَمحوه من باله كلَّما خَطر له، فلا يلتفتُ إليه، ولا يخافُه، ولا يملأ قلبَه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعِينة على اندفاع شرِّه، فإنَّ هذا بمنْزلة من يَطلبه عدوُّه ليمسكَه ويؤذيه، فإذا لَم يتعرَّض له ولا تَمَاسَك هو وإياه، بل انعزل عنه لَم يقدر عليه، فإذا تَماسكَا وتعلَّق كلٌّ منهما بصاحبه حصل الشَّرُّ، وهكذا الأرواحُ سواء، فإذا تعلَّقت كلُّ روح منهما بالأخرى عُدِمَ القرارُ ودام الشَّرُّ حتى يهلك أحدُهما، فإذا جبذ روحَه عنه وصانَها عن الفكر فيه والتعلُّق به، وأخذ يشغل بالَه بما هو أنفعُ له بقي الحاسدُ الباغي يأكلُ بعضُه بعضاً، فإنَّ الحسدَ كالنار، إذا لَم تَجد ما تأكله أكلَ بعضُها بعضاً.

السبب السادس: الإقبالُ على الله والإخلاصُ له وجعلُ محبته ونيلِ رضاه والإنابةِ إليه في كلِّ خواطر نفسه وأمانيها، تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرَها ويغمرها ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطرُه وهواجسه وأمانيه كلُّها في محابِّ الرَّب والتقرُّب إليه وذكره والثناء عليه، قال تعالى عن عدوه إبليس أنَّه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فالمخلص بمثابة مَن آوى إلى حصن حصين، لا خوفَ على مَن تَحصَّن به، ولا ضَيعَة على مَن آوى إليه، ولا مَطمَعَ للعدوِّ في الدُّنُوِّ منه.

السبب السابع: تَجريدُ التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ؛

فما سُلِّطَ على العبد مَن يؤذيه إلاَّ بذنب، يَعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبدُ من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مِمَّا عَلِمَه وعَمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: (اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشركَ بكَ وأنا أعْلَمُ وأستغفرِكُ لِمَا لا أعْلَم)، فما يحتاج العبدُ إلى الاستغفار منه مِمَّا لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يَعلمه، فما سُلِّطَ عليه مُؤْذ إلاَّ بذنب، وليس في الوجود شَرٌّ إلاَّ الذنوب وموجباتها، فإذا عُوفِي من الذنوب عُوفِي من موجباتها، فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومُه شيءٌ أنفعَ له من التوبة النصوح من الذنوب التي كانت سبباً لتسلُّط عدوِّه عليه.

السبب الثامن: الصَّدقة والإحسان ما أمكنه؛ فإنَّ لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ودفع العين وشَرِّ الحاسد، فما يكاد العينُ والحسدُ والأذى يتسلَّط على محسن مُتصدِّق[١]، وإن أصابه شيءٌ من ذلك كان معامَلاً فيه باللُّطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبةُ الحميدة، والصدقة والإحسانُ من شكر النعمة، والشُّكرُ حارسُ النعمة من كلِّ ما يكون سبباً لزوالها.

السبب التاسع: أن يطفئَ نارَ الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلَّما ازداد أذى وشرًّا وبغياً وحسداً ازددتَ إليه إحساناً وله نصيحةً وعليه شفقةً، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا

(١) وهذه بشارة عاجلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾.

﴿يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وتأمَّل في ذلك حالَ النَّبِيِّ عليه السلام الذي حكى عنه نبينا ﷺ أنَّه ضربه قومُه حتى أدموه فجعل يسلت الدَّم عنه ويقول: «**اللَّهمَّ اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون**».

السبب العاشر: تجريدُ التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبِّب العزيز الحكيم، والعلم بأنَّ كلَّ شيء لا يَضُرُّ ولا ينفع إلاَّ بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، وقال النَّبِيّ ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**واعْلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لَم ينفعوك إلاَّ بشيء كتبه الله لَكَ، ولو اجتمعوا على أن يَضُرُّوك لَم يَضُرُّوك إلاَّ بشيء كتبه الله عليك**»، فإذا جرَّد العبدُ التوحيدَ فقد خَرَجَ من قلبه خوفُ ما سواه، وكان عدوُّه أهونَ عليه من أن يَخافه مع الله، بل يُفرِدُ اللهَ بالمخافة، ويَرى أنَّ إعمالَه فكره في أمر عدوِّه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جَرَّد توحيدَه لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولَّى حفظَه والدفعَ عنه، فإنَّ الله يدافعُ عن الذين آمنوا، فإن كان مؤمناً فالله يدافع عنه ولا بدَّ، وبحسب إيمانه يكون دفاعُ الله عنه، فإن كمُلَ إيمانُه كان دفاعُ الله عنه أتَمَّ دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرَّة ومرة فالله له مرَّة ومرَّة، كما قال بعض السلف: (مَن أقبلَ على الله بكليَّتِه أقبلَ الله عليه جُملة، ومَن أعرَضَ عن الله بكليَّته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرَّة ومرَّة فالله له مرَّة مرة).

فالتوحيدُ حصنُ الله الأعظم الذي مَن دخلَه كان من الآمنين، قال بعض السلف: (**مَن خاف اللهَ خافه كلُّ شيء، ومن لَمْ يَخَفِ الله أخافه اللهُ من كلِّ شيء**).

فهذه عشرةُ أسباب عظيمة يندفعُ بها شَرُّ الحاسد والعائن والسَّاحر بإذن الله تعالى، ونسأل الله الكريم أن يقيَنا والمسلمين من الشُّرور كلِّها إنَّه سميع مجيب) انتهى كلام الإمام ابن القيم[1].



(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨ - ٢٤١) بتصرف.

تاسعاً: نظرة حول أثر إصابة العين

لو افترضنا جدلاً: بأن لاعب كرة قدم متميّز وشهير أصابته عين من أحد الجماهير وهو يجري في الملعب فوقع على الأرض أو اصطدم بلاعب آخر وأصيبت قدمه اليمنى بكسر مضاعف ونُقل إلى المستشفى وأجريت له عملية جراحية، واستمر على الرقية بعدها حتى لا تتضاعف الإصابة وتتطوّر حالته المرضية فتصبح إعاقة إلى أن تماثل بالشفاء بعد فترة من الزمن بإذن الله، ثم عاد إلى ممارسة الرياضة مرة أخرى.

أعتقد أن مستواه الاحترافي لن يعود إلى ما كان عليه في السابق على أثر هذه الإصابة البليغة والله أعلم.

وكذلك ضياع شهرة هذا اللاعب حال ضعف مستواه الرياضي تنعكس سلباً على النفس يوماً بعد يوم إلى أن تتزامن مع الاضطرابات النفسية، وتتظاهر بآلام جسدية متنقلة، وهذا ما يسمَّى في علم النفس بالاضطرابات النفس جسدية[1]، كانتقال الآلام من القدم اليمنى المصابة بالكسر سابقاً عند هذا اللاعب إلى القدم اليسرى السليمة، أو الشعور بألآم في أي عضو آخر دون سبب طبي واضح .

كذلك أثر الإصابة بالعين حينما تشترك مع الاضطرابات النفسية وتترك بعض الأعراض على المريض وتظهر بصورة أمراض نفسية حتى بعد الرقية.

---

(١) تقدم ذكره: ص ٨٣.

فإحساس المريض في مثل هذه الحالة بانتقال الألم من موضع إلى آخر في سائر البدن، ليس من أثر إصابة العين مباشرة كما يتصوّره كثير من الناس، لكنها أعراض مصاحبة نتيجة القلق أو الاكتئاب[١] الذي ظهر على المريض على أثر إصابته بالعين بعد فترة لا تقل عن شهرين أو ثلاثة والله أعلم .

كما أن بعض الرقاة اختلفوا في بعض القرائن التي تدل على إصابة المريض بالعين حينما تظهر بعضها على المريض أثناء الرقية .

فمن الرقاة من يقول للمريض: تصوّر العائن أثناء الرقية فإذا ظهر لك خذ من أثره؟[٢]

وآخر يقول للمريض: سوف ترى العائن في النوم بعد الرقية؟

وآخر يقول: بأن المريض يشعر بحرارة في بعض أعضاء جسمه أثناء الرقية.

وآخر يؤكد على إصابة المريض بالعين حينما يبكي أثناء الرقية.

وآخر يستدل على إصابة المريض بالعين حينما تتنقل الآلام من عضو في الجسم إلى آخر أثناء الرقية.

وآخر يقول: بأن الصداع يشتدُّ على المريض أثناء الرقية.

وآخر يقول: بأن العين تبدو بشكل واضح حينما يتثاوب المريض أثناء الرقية .

---

(١) تقدم ذكره، ص ٨٣.

(٢) دعوى تصور العائن في اليقظة أو النوم دعوى باطلة وغير صحيحة، تقدم الكلام عليها ص١٠٦.

وأعتقد أن بعض هذه القرائن تحتاج إلى إعادة نظر! مثل القراءة التصوّرية، والجزم بتصوُّر العائن أثناء الرقية، فربما هذه الطريقة تُعزِّز الوهم لدى المريض على خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم: «ويعجبني الفأل»[١].

وقد صدر فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رداً على سؤال عن مدى صحة تخيّل المريض للعائن من جراء القراءة أو طلب الراقي من القرين أن يخيّل للمريض من أصابه بالعين.

الجواب: تخيُّل المريض للعائن أثناء القراءة عليه، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين، فهي التي تتخيل له في صورة الإنسي الذي أصابه، وهذا عمل محرم؛ لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه يسبب العداوة بين الناس، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٢][٣].

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الفأل، حديث رقم ٥٦٥٦ (٧/ ١٣٥)، ومسلم في صحيحه، باب الطيرة والفأل، حديث رقم ١١١ (٤/ ١٧٤٦).

(٢) سورة الجن: ٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص ٩٠.

وكذا الجزم برؤية العائن في النوم بعد الرقية، فقد يتلبَّس الشيطان للمريض وهو نائم بصورة شخص يعرفه حتى يوقع بينهما العداوة والبغضاء، فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف الأمة.

فالتهمة على نوعين :

١- تهمة عليها دليل كالعائن حينما يصف المريض بكلمة إعجاب ونحوها فيعتلّ في ساعته على إثرها، كما حصل للصحابي سهل بن حنيف حينما وصفه عامر بن ربيعة رضي الله عنهما[١].

٢- تهمة ليس عليها دليل فيكتفي المريض بالرقية الشرعية و الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة من الكتاب والسنة والمحافظة على فعل الخيرات وإقامة الصلاة.

أما البعض الآخر من القرائن فإنها تتشابه إلى حدٍّ كبير مع أعراض الاكتئاب والأعراض النفس جسدية كما لاحظنا سابقًا في الاضطرابات النفسية[٢] كآلآم الرأس والرقبة وأسفل الظهر واضطراب القولون العصبي وغيرها من الأعراض العضوية.

أما بالنسبة لاضطراب القولون العصبي الحاد الذي يستجيب غالباً لحالات الاكتئاب المزمنة، فقد ينتاب المريض النفسي أثناء الرقية مع ضيق

(١) انظر: ص ١٧٢.

(٢) انظر: ص ٨٣.

في التنفس كما سيأتي ذكره بالإضافة إلى محاولة التقيُّؤ دون جدوى.

فعلى الراقي في مثل هذه الحالات المشتبهة الاطلاع على ماضي المريض مع ضرورة فحصه عن تعاطي المخدرات؛ فقد تكون سبباً للحالة النفسية التي يعاني منها، والله أعلم.

وهذه قصة حول هذا الموضوع :

طلب منّي أحد المراجعين القراءة على ابنه الذي يبلغ من العمر قرابة خمسة وعشرين عاماً، وذكر لي بأن حالته النفسية سرعان ما تدهوّرت بالأمس القريب، ساعة حضوره مناسبة زواج، أو مشاركته في حفل ونحوه.

ولا ريب أن مثل هذه الشكوى متواترة عن كثير من أهالي مرضى الإدمان، وربما غفلوا عن احتواء أبنائهم قبل الانزلاق في براثن المخدرات هداهم الله .

ومما أسهم أيضاً في تعزيز الإيحاء النفسي لدى هذا المريض، استشارته لأحد الرقاة عبر الهاتف وموافقته على إصابته بالعين.

وعلى كل حال هذه العوامل قد تدفع بعض المرضى إلى (الإسقاط) وهو مبرر انقياده إلى التعاطي الخارج عن محض إرادته.

وعندما سألت المريض عن بعض الأعراض التي يعاني منها ، ذكر بأنه يعاني من اكتئاب منذ اربع سنوات بخلاف ما ذكر لي أبوه؟

ولّما قرأت على المريض اجتمعت على نفسه قابلية إيحاء إصابته بالعين بالإضافة إلى تهيج القولون العصبي معاً.

فقام يلّتف ببدنه يميناً و شمالاً ويضغط بكلتا يديه على أسفل بطنه بطريقة تفوق الوصف مع محاولة التقيؤ دون جدوى.

فأخبرت والده بضرورة فحصه عن التعاطي، فتفاجأ بنتيجة تحليل إيجابية إثرَ تعاطي جرعة هروين، كاد ابنه أن يهلك على إثرها لولا عناية الله عز وجل .

فأخذ العلاج المناسب ولله الحمد وبعد فترة من الزمن طلب منّي الرقية، فقرأت عليه ولم يظهر عليه شيء مما كان يشكو منه، والله أعلم .

أما بالنسبة للصداع الذي يشتدّ على المريض أثناء الرقية وليس له سبب طبي ظاهر، فهذا ملاحظ على بعض المرضى، وقد يكون على أثر الإصابة بالعين، والله أعلم.

وأما بالنسبة للصداع المستمر الذي لا يزول إلا بزوال العلّة فيعد أمراً طبيعياً، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: « **تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** »[1].

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله عدة أسباب لآلام الرأس والصداع (الشقيقة) منها ما يلي:

١- ما يحدث من الأعراض النفسانية، كالهموم، والغموم، والأحزان،

(١) رواه البخاري، باب رحمة الناس والبهائم، ٨/ ١٠ برقم ٦٠١١.

والوساوس، والأفكار الرَّديئة.

٢- ما يحدث من السهر وعدم النوم.

٣- ما يحدث من كثرة الكلام، فتضعف قوة الدماغ لأجله.

٤- ما يحدث من ضغط الرأس وحمل الشيء الثقيل عليه.

٥- ما يحدث من كثرة الحركة والرياضة المفرطة.

٦- صُداع يحصل عن امتلاء المعدة من الطعام، ثم ينحدر ويبقى بعضه نيئاً، فيصّدع الرأس ويثقله.

٧- ما يحدث بسبب الحمى لاشتعال حرارتها فيه فيتألم، والله أعلم) [(١)].

عن عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى خَادِمِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: «**مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ: احْتَجِمْ، وَلَا وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ، إِلَّا قَالَ اخْضِبْهُمَا**»[(٢)]، وفي رواية: «**اخضِبْهما بالحناء**»[(٣)].

أما شعور بعض المرضى بحرارة في سائر أجسامهم أو بعضها أثناء الرقية، فهذا ملاحظ على الكثير من المراجعين وكذلك إحساس بعض المرضى بالبرودة، لكنها أقل بكثير من إحساس بعضهم بالحرارة، فمن المرضى من يشعر بحرارة من أكتافه إلى ساعديه أو في أسفل قدميه ومنهم من يشعر

---

(١) ينظر: زاد المعاد (ص ٧٤٩)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ

(٢) حسنه الألباني، سنن أبي داود (٤ / ٤)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٣) أخرجه البخاري، من حديث سلمى، برقم ٢٧٦١٦ (٤٥/ ٥٩٠).

بحرارة في كامل جسمه وكذلك البرودة كما جاء في الحديث (اللهم اذهب عنه حرها وبردها ووصبها) [(١)].

وقد لاحظت أيضاً على بعض المرضى أثناء الرقية بكاءً شديداً ويصاحبه أحياناً تعرُّق في البدن أو رعشة في أحد الأعضاء أو في سائر الجسم، أو آلام شديدة في سائر الجسم أو بعض الأعضاء مع صعوبة القيام وتعب عام، وكذا إحساس أحدهم بنبض في الكفين، أو ظهور طفح جلدي دون سبب طبي ظاهر.

وكذلك شعور بعض المرضى (أثناء الرقية) بصعوبة في التنفس وكأن أحداً يخنقه إلى أن تنهار قواه فيضطر إلى الجلوس غالباً فترة يسيرة بعد الرقية لا تتجاوز مدتها عشرين دقيقة.

أما بالنسبة لتثاؤب المريض أثناء الرقية فيحتمل والله أعلم بأن المريض يعاني من أرق أو نحوه.

فهنا تتجلى فائدة الحوار مع المريض قبل الرقية كما جاء في هديه ﷺ في قوله: (من تتهمون؟) فعلى الراقي أن يجتهد في البحث عن أسباب أخرى قد تعرّض لها المريض، كحادث مروري شنيع، أو حالة رُعْب عند موقف مخيف، أو وفاة قريب أو ضغوط نفسية مستمرة وغيرها من الصدمات النفسية التي واجهها المريض في حياته، أو أمراض وراثية.

فقد تساعد جميع هذه المعلومات على نتائج إيجابية في الوصول إلى

---

(١) انظر: ص ١٧٣.

معرفة علّة المريض بإذن الله، بدلاً من أن يعلّق المريض فشله في الزواج أو الدراسة أو الوظيفة أو التجارة ونحوها بإصابته بالعين؛ فقد يرسخ هذا الوهم في ذهن المريض إلى أن يهيمن عليه الوهن، فيركن إلى الإحباط حتى يصبح وهم الإصابة بالعين ديدنه طيلة حياته، فربما تعثّر عن مواصلته إلى طريق النجاح، وهذه إيحاءات شيطانية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

وهذه قصة حول هذا الموضوع:

لمّا شاع الخبر عند المراجعين في الفترة الأخيرة من عملي في المقرأة عن كثرة إحالتي للمرضى النفسيين شفاهم الله إلى الأطباء النفسيين.

لم يراجعني سوى حالة جديدة في كل يومين أو حالتين تقريباً في كل أسبوع ممن لا يطيقون الانتظار الطويل عند الراقي المجاور بسبب كثرة الزحام.

حتى إن إحدى زوجات المراجعين التي لم يظهرعليها شيء أثناء الرقية، وكانت تعاني من اضطراب نفسي والله أعلم، قالت لزوجها وهي غاضبة باللهجة العاميّة حينما وجهتها إلى الطبيبة النفسية: (قمْ، مشينا، لا يهمّك

(١) سورة الأعراف، آية ٢٠١.

(٢) سورة المجادلة، آية ١٠.

هذا، ترى ما عنده سالفة).

لهذا كانت نفسي تراودني بالتوقّف عن الرقية إلى حين آخر.

فإذا بأحد المراجعين من الإخوة السوريين يعتقد أنه مصاب بالعين، وكان يتمتع بصحة نفسية جيدة حينما سألته عن أعراض الاكتئاب بعدما فرغنا من الرقية، ولم ألاحظ عليه شيئاً مما ذكر.

قلت: لعلك تتوهّم الإصابة بالعين؟

فقال: كيف أتوهّم إصابتي بالعين وقد فتحت محلاً تجاريًّا وخسرت فيه!

قلت: هذا موضوع آخر ليس له علاقة بإصابتك بالعين، الزم الاستغفار كما جاء في القرآن الكريم عن نوح عليه السلام و مناصحته لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝١٢ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠ ﴾[2].

فقال: كل المحلات التي من حولي عندهم زبائن، وكلّما دخل محلي زبون خرج ولم يشترِ شيئاً.

فكأنه لم يقتنع، فقلت له: لعلّك تبحث عن راقٍ آخر يحلّ لك هذه المشكلة؟ فإذا وجدته فأخبرني؟ فوضعته أمام الأمر الواقع فخرج ولم يعد.

---

(١) سورة نوح: (الآيات ١٠-١٢).

(٢) سورة الإسراء: (آية ٣٠).

وليست إحالتي له إلى راقٍ آخر للتحدِّي أو نحـوه ولكنّـي اسـتعملت الأسلوب القرآني الرائع الـمُقنع في حوار إبراهيم عليه السلام مع نمـرود يوم أن عدل ابراهيم عليه السلام عن المقام الأول من مناظرته التي كانـت بينهما في الإحياء والإماتة، وانتقل إلى المقام الثاني ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[١].



(١) سورة البقرة: (آية ٢٥٨).

عاشراً: نظرة حول سحر التخييل

يُمَوَّه للمُصاب بسحر التخييل بعض الأشياء الموجودة على غير حقيقتها، بخلاف ما يرى المريض النفسي أشياء غير ملموسة، فقد يرى الرجل المسحور زوجته بشكل قبيح، أو المرأة المسحورة ترى زوجها بشكل مخيف، فلا يطيق أحدهما معاشرة الآخر على حسب إصابة أحدهما أو كلاهما بالسحر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1].

قال الطبري -رحمه الله-: (واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدعٌ ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيدٍ، فيخيل إليه أنه ماءٌ، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخيَّل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته، يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته كالذي حدث للنبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سُحِرَ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ»[2][3].

---

(١) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢ / ٣٥٠).

(٣) والحديث أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «هذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، فتلقي بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يُسحر فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[1] ورد عليهم بقوله: السحر الذي أصابه صلى الله عليه وسلم كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه، فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه الصلاة والسلام في مرضه، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس ببدعٍ أن يبتلى النبي من بعض أعدائه بنوع من السحر»[2].

وسوف تَضْمَحِل تلك المخاوف بإذن الله من السحرة والمشعوذين عند كثير من الناس حينما يتدبرون قول الله عز وجل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[3]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (ذلك ملك من مُلوك الدنيا له حَرسٌ من دونه حرَس)[4].

(١) سورة الفرقان: (آية ٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٣) سورة الرعد: (آية ١٣).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧٣).

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلَّوا عنه)[١].

كما أن السحر لا يؤثر على الإنسان بمجرد حصول الساحر على صورته الفوتغرافيه أو صورته عبر أجهزة الاتصال ونحوها، ولا يستطيع السحر حتى بالمكالمة الهاتفية كما يزعم بعض المشعوذين حينما يتصل أحدهم من خارج البلاد ليأخذ أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، بإذن الله الكوني القدري.

وكانت العرب تكنّي الشخص المصاب بالسحر وتقول: فلان به طب أو مطبوب تفاؤلاً بالشفاء.

قال ابن القيم- رحمه الله-: (يقال رجلٌ مطبوبٌ أي مسحورٌ، وفي (الصحيح) [٣] في حديث عائشة «لما سحرت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلس الملكان عند رأسه وعند رجليه، فقال أحدهما: ما بال الرجل؟ قال الآخر: مطبوبٌ. قال: من طبه؟ قال: فلانٌ اليهودي» .

قال أبو عبيد: إنما قالوا للمسحور: مطبوبٌ، لأنهم كنوا بالطب عن السحر، كما كنوا عن اللديغ، فقالوا: سليمٌ تفاؤلًا بالسلامة، وكما كنوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها، فقالوا: مفازةٌ تفاؤلًا بالفوز من

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧١).

(٢) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٣) البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

الهلاك. ويقال: الطب لنفس الداء)[١].

والفأل يدخل على المريض السرور، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل قوله: مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر، وأن له حقيقة.

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم.

وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض، ولا قتل، ولا حل، ولا عقد.

قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآراء عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث. وما يعرفه عامة العقلاء.

والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا وعقدا وحبا وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود، تعرفه عامَّة الناس. وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلۡعُقَدِ ﴾ دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا، كما يقوله هؤلاء. لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٢٦)

(٢) صحيح البخاري: (٧ / ١٣٥).

حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هـذا تغيير في إحساسهم، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا، والمتصل منفصلا، والميت حيا، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضا، والبغيض محبوبا، وغير ذلك من التأثيرات.

وقد قال تعالى عن سحرة فرعون إنهم: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ فبين سبحانه أن أعينهم سحرت. وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصيّ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين. فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جرّ من لا تراه حصيرا أو بساطا فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجار له، مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين، فقلبتها كتقليب الحيَّة. فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها. وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها. ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب

حركتها ومشيها، مثل الزئبق وغيره، حتى سعت. فهذا باطل من وجوه كثيرة.

فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية. ولم يكن ذلك سحرا لأعين الناس، ولا يسمَّى ذلك سحرا، بل صناعة من الصناعات المشتركة. وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ ولو كانت تحركت بنوع حيلة- كما يقوله المنكرون- لم يكن هذا من السحر في شيء. ومثل هذا لا يخفى.

وأيضا لو كان ذلك بحيلة- كما قال هؤلاء- لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق. وبيان ذلك المحال ولم يحتاج إلى إلقاء العصا لابتلاعها

وأيضا: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حذاق الصنَّاع. ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء

وأيضا: فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر أن يتكلف رده، فلنرجع إلى المقصود) [1].

وسوف أذكر قصتين تحكي عن الحقيقة ما بين السحر والوهم:

القصة الأولى: تحكي عن واقع متواتر عند كثير من الرقاة عن نطق الجان على لسان الإنس بلغات مختلفة أثناء الرقية: قرأت على مريض يظهر عليه

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

بأنه غير متعلم، في أحد الأقسام الداخلية في مستشفى إرادة للصحة النفسية بالرياض، فوضع يديه على أذنيه أثناء الرقية، وأخذ يتقيأ و يتخبّط تخبّطاً عنيفًا ويقول بأعلى صوته: لآ ڤيو.. لآڤيو.. لآ ڤيو.. وكان يكررها مراراً إلى أن سقط مغشياً عليه، فأراق على رأسه ماء أحد الزملاء من التمريض حتى أفاق وهو ينظر إلينا بنظرة تعجب واستنكار ويقول: من أنتم؟ وما الذي جاء بي إلى هذا المكان؟ وما هذه الملابس التي أرتديها؟ ويشير بيده إلى شعار وزارة الصحة المختوم على القميص الخاص بالمرضى.

فقد يقول قائل: يحتمل بأن هذا المريض كان يجيد اللغة الانجليزية ويعاني من اضطراب نفسي فتوهّم السحر أثناء الرقية.

الجواب: نعم و لكن إذا أمعنّا النظر في بعض القرائن التي ظهرت على المريض أثناء الرقية، نستطيع بعد ذلك أن نميّز ما بين الوهم والحقيقة لدى هذا المريض.

أولاً: ما الذي حمل المريض على التقيؤ فوراً أثناء الرقية؟ على الرغم من صعوبة تقيؤ الإنسان بمحض إرادته دون أن يضع اصبعه داخل فمه -أسفل الحلق- .

ثانياً: لماذا نطق المريض باللغة الانجليزية فقط أثناء الرقية دون أن يتكلم بكلمة واحدة على الأقل بلغة بلده؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإنه -يعني الجنّي- يصرع الرجل، فيتكلم

بلسان لا يعرف معناه ...الخ[١].

ثالثاً: لماذا تكررت كلمة الحب على لسان المريض بأعلى صوته أثناء الرقية ؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله: عن أحد أسباب صرع الجن تارةً يكون الجنّي يحب المصروع[٢].

رابعاً: لماذا لم تتأثر ملابس المريض بالتبول بعد افاقته من الصرع؟

كما هو الحال عند الصرع العصبي لبعض المرضى، و لماذا لم نلاحظ بعض الأعراض المصاحبة مثل التشنُّج وكذلك ظهور الزبد من فم المريض؛ كما وصف ابن القيم رحمه الله صرع الأخلاط[٣].

كما أن الصرع العصبي يباغت المريض في أي لحظة سواءً أثناء الرقية أو في غيرها .

خامساً: ما الذي حمل المريض على إغلاق أذنيه بيديه حتى لا يسمع القرآن؟

وأخيراً: لماذا لم يعي المريض بالمستشفى واستنكر ملابس التنويم حينما عاد إليه الإدراك في لحظة إفاقته من الصرع أثناء الرقية؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ[٤].

هذا وبمناسبة نطق ذلك المريض باللغة الإنجليزية الذي قد يشكل

---

(١) انظر: ص ١١٨.

(٢) انظر: ص ١١٧.

(٣) انظر: ص ١٢٠.

(٤) وحالة هذا المريض تشبه حالة المريض الذي قرأ عليه شيخ الإسلام، وتقدم ذكرها ص١١٩.

على بعض الناس، وهنا أنقل فائدة نفيسة من فتاوى سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله تتعلق بهذا الموضوع، فقد سئل رحمه الله عن لغات الجن، فأجاب بما نصه:

«الذي يظهر أنهم مثل الإنس، لهم لغات متعددة، ففيهم الإنجليزي وفيهم الفرنسي، والعجمي، والعربي وهكذا، فهم أجناس؛ لأن الله قال عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[1] فهم على طرائق، وقال سبحانه عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾[2]. يعني أقساماً، وفرقاً فيهم الطيّب، وفيهم الخبيث، وفيهم الجهمي، وفيهم السنّي، وفيهم الرَّافضي، وفيهم النَّصراني، وفيهم اليهودي، وفيهم غير ذلك، أقسام وفرق شتى، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[3]. فقوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعم الفرق الأخرى»[4].

والقصة الثانية: حول تأثير الوهم الذي حمل بعض المرضى على عداوتهم مع بعض أقاربهم: اتهمت إحدى زوجات المراجعين ضُرّتها بأنها تسعى في الانتقام منها إلى أن تمكنت من السحر، وكانت تبكي بكاءً شديداً، فلم أتمكن من استجوابها غير أني أدركت من خلال الحوار مع

---

(١) سورة الجن، الآية: ١١.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٤.

(٣) سورة الجن، الآية: ١١.

(٤) فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نور على الدرب، ١/ ٢٣٦.

والدتها أنها حديثة عهد بولادة.

فأخذت أقرأ عليها ما تيسر من القرآن حتى هدأت نوعاً ما، ولم يظهر لي بعض القرائن التي تدل على السحر والله أعلم، فقلت لها: الحمد لله لا يوجد سحر، ولكن هذه الأعراض التي تعانين منها تُعرف بأعراض اكتئاب الولادة، وقد يتعرّض لهذه المعاناة بعض النساء بعد الولادة، ويحتمل بأن يكون هذا الاكتئاب على أثر العين والله أعلم، ولكنه سيزول بإذن الله بعد الرقية بفترة يسيرة.

وفي اليوم التالي ذهب عنها الكثير من الخوف بعدما أيقنت بعدم وجود سحر، وقرأت عليها ولم يظهر من الأعراض التي كانت تشتكي منها سابقاً شيئاً بفضل الله.

ورأيت الابتسامة تغْمُر وجه زوجها و لا أدري هل هي نتيجة سلامة هذه الزوجة من السحر! أم نتيجة براءة الزوجة الأخرى.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: «أما العلاج للسحر فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة. ومن أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث، وآية الكرسي، وآيات السحر في: الأعراف، ويونس، وطه، وبقراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم لعلاج

المرضى وهو:

«**اللهم رب النَّاس، أذهِب البأس، اشفِ أنتَ لا شفاءَ إلا شِفاؤُكَ شِفَاءً لا يُغادِرُ سقماً**»[(١)] ويكرر ذلك ثلاثاً.

ويدعو أيضاً بالرقية التي رقى بها جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم وهي: « **باسم الله أرْقيكَ مِنْ كُلّ شيءٍ يُؤذيكَ مِنْ شَرِّ كُل نفسٍ أوْ عَيْنِ حَاسِدٍ الله يُشْفيكَ باسمِ الله أَرْقيكَ**»[(٢)] ويكررها ثلاثاً، وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله سبحانه.

ومن العلاج أيضاً إتلاف الشيء الذي يظنُّ أنه عمل فيه السِّحر من صوف أو خيوط معقدة أو غير ذلك مما يظن أنه سبب السحر، مع العناية من المسحور بالتعوذات الشرعية ومنها التعوذ: «**بكلماتِ الله التَّامَّات مِنْ شرِّ مَا خَلَقَ**»[(٣)]. ثلاث مرات صباحاً ومساء، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد الصبح والمغرب ثلاث مرات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.

ويستحب أن يقول صباحاً ومساء: «**بسم الله الذي لا يَضُرُّ معَ اسمِهِ شَيءٌ**

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) كما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقية برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء... برقم (٢٧٠٨)، من حديث خولة بنت الحكيم السلمية رضي الله عنها.

في الأَرْضِ ولا في السَّمَاءِ وهُوَ السَّميعُ العَليمُ» ثلاث مرات[١]، لصحة ذلك كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع حسن الظن بالله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوذات والأدوية أسباب، والله سبحانه هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب، ولكن يعتقد أنها أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة، لما له سبحانه من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه ولي التوفيق[٢].

انتهى كلامه رحمه الله.



(١) أخرجه من حديث عثمان بن عفان أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول: إذا أصبح برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح برقم (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) مسائل في العقيدة وصفة الوضوء وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ص٢١).

الحادي عشر: نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة

قد لا يدرك أهمية هذا الموضوع سوى أهل المريض الذي يعاني من الخيالات بأنواعها.

وأعتقد بأن اتساع دائرة الجدل العقيم ما بين بعض الرقاة وبعض الأطباء النفسيين التي انقسم الناس بينهما نصفين، تنحصر حول تشكيك بعض الأطباء في حقيقة تلبس الجن وتفسير ما يعاني منه المريض النفسي أنه نتيجة خلل كيميائي في الجسم و ليس له علاقة بالعين أو السحر أو تلبس الجن على الرغم من ثبوت ذلك في الكتاب والسنة.

ومن جهة أخرى إنكار بعض الرقاة، ما وصفه الأطباء والتأكيد على أن ما يعتري المريض النفسي خصوصاً من الخيالات البصرية والأصوات الوهمية، هو بسبب تلبس الجن أو السحر، وإن الجدل حول هذا الموضوع على ما يبدو يزداد حِدَّةً وضراوة دون الوصول إلى نتيجة تُذكر، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ

الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ "[١].

وسوف أفصل في هذا الخلاف- بإذن الله - فأقول مستعيناً بالله :

سمعت من معظم الأطباء النفسيين في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، يقولون: بأن الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة من إحدى أعراض الاضطرابات العقلية كالفصام.

وسمعت أيضاً من بعض الرقاة يقولون إنها بسبب تلبس الجن.

ولعلي أنقل هنا كلاماً متواتراً سمعته من بعض الأطباء النفسيين لكي تتضح الصورة أكثر.

مريض الفصام في بعض دول أمريكا الجنوبية يرى شياطيناً وسحراً، بينما مريض الفصام في بعض دول أمريكا الشمالية يرى أطباقاً طائرة وأقماراً فضائية.

فمتى ما أدركنا بأن البيئة هي التي تعكس نوعية الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة عند مريض الفصام، وترسم صُوَرَها بما يحكيه المجتمع في ذهنه.

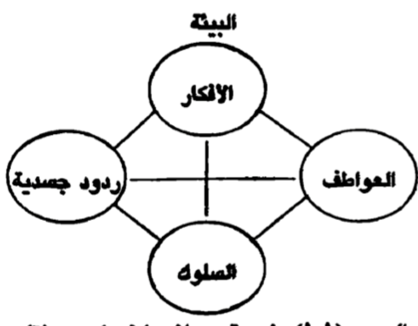
حينها لا نستغرب توهُّم رؤية الجن عند مريض الفصام في المجتمعات الإسلامية بحكم العادة[٢]، وأنها مصدر تأثير عليه في تخيّله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه برقم ٥٣ (١/ ٢٠)، ومسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم ١٠٧ (٣/ ١٢١٩).

(٢) بحكم البيئة التي يعيش فيها المريض، فالإنسان ابن بيئته يتأثر ويؤثِّر.

ولعل هذا الرسم يوضح علاقة الأفكار مع البيئة التي يعيش فيها المريض[١].



الرسم (١:١) خمسة جوانب لخبرات حياتك

١ ـ الأفكار (المعتقدات والصور الذهنية والذكريات).
٢ ـ العواطف.
٣ ـ السلوك.
٤ ـ ردود الفعل الجسدية.
٥ ـ البيئة (في الماضي والحاضر).

لاحظ أن الجوانب الخمسة هذه متداخلة مع بعضها. وتشير خطوط التداخل المرسومة أن كل جانب منها يؤثر ويتأثر بالجوانب الأخرى لحياة الإنسان. ومثال هذا، أن تغيرات سلوكنا تؤثر على طريقة تفكيرنا وعلى مشاعرنا الجسدية والعاطفية، وهي قد تغير أيضاً في بيئتنا. وكذلك تؤثر تغيرات تفكيرنا في سلوكنا وتصرفاتنا وعواطفنا وردود أفعالنا الجسدية، وحتى في بيئتنا الاجتماعية. إن فهم كيفية تفاعل هذه الجوانب الخمسة من حياتنا سيساعدنا على فهم طبيعة مشكلاتنا.

فلنتأمل ماذا قال ابن القيم رحمه الله حينما وصف الحالة النفسية لأهل البدع من غُلاة الصوفية وكيفية ظهور الخيالات البصرية والأصوات

(١) العقل فوق العاطفة، د.كريستين باديسكي و د.دينيس غرينبرغر (ص ١٢)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ترجمة د. مأمون المبيّض، المكتب الاسلامي.

الوهميَّة عندهم، وهذا مشاهد حتى في هذا الزمن لدرجة أن أحد مشايخهم يزعم أن النبي ﷺ اتصل به هاتفياً؟[١] والعياذ بالله، فحينما شاهدت شيخهم هذا وكثرة أتباعه في المقطع، تأملت قول الله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- منتقداً ومعقِّباً طريقة الصوفية في العبادة والزهد: (وقد صنف أحد مشايخ الصوفية أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي[٤] كتاباً سماه «رياضة النفوس» قال فيه: فينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة. ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالس الإخوان والنظر في الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غمًّا)[٥].

سبحان الله! قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[٦].

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=UdkrpwPd٦٩E .

(٢) سورة الزخرف: (آية ٥٤)

(٣) سورة يوسف: (آية ١٠٣)

(٤) محمد بن علي الترمذي ليس هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب كتاب الجامع الصحيح، سنن الترمذي.

(٥) تلبيس إبليس: (ص ٢٦٠).

(٦) سورة الأعراف، آية ٣٢.

وهذا أيضاً خلاف هدي النبي ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟**﴾[(٢)].

قيل للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: (هؤلاء الذين يأكلون قليلاً ويقلّلون من مطعمهم فقال: ما يعجبني سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: فعَل قوم هذا فقطعهم عن الفرض وقال. قلت لعبدالرحمن بن مهدي يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية . فقال: لا تقرب هؤلاء فإنا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون) [(٣)].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الخطاب الخيالي: (تكون بدايته من النفس، وعوده إليها، فيتوهّم أنه من خارج، وإنما هو من نفسه، منها بدأ وإليها يعود.

وهذا كثيراً ما يعرض للسالك[(٤)] فيغلط فيه، ويعتقد أنه خطاب من الله

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٧٥).

(٢) سورة الأعراف: (آية ٣١).

(٣) تلبيس إبليس: (ص ٢٦٦).

(٤) أي: السالك لطريقة هذه الفرقة، وإطلاق السالك من اصطلاحات المتصوِّفة، والشيخ رحمه

عز وجلَّ، كلَّمه به منه إليه[(١)]، وسبب غَلَطِه أن اللطيفةَ المُدركة من الإنسان إذا صفت بالرياضة[(٢)]، و انقطعت علقها من الشواغل الكثيفة[(٣)] صار الحكم لها بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن، ومصير الحكم لهما[(٤)]، فتنصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني[(٥)] التي هي متصلةٌ بهما، وتشتدُّ عناية الروح بها، وتصير في محل تلك العلائق والشواغل، فتملأ القلبَ[(٦)]، فتصرف تلك المعاني إلى المنطق، والخطاب القلبي الروحي بحكم العادة[(٧)]، ويتفق تجرد الروح، **فتتشكل تلك المعاني للقوة السامعة بشكل**

الله خاطبهم باصطلاحاتهم.

(١) وهذه من شطحات المتصوِّفة، فيظن المتصوف أن الله يكلمه، وهذا من إيحاء الشيطان وتضليله قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾[الأنعام: ١٢١].

(٢) أي: أن هذه المَلَكة الخفية في جسم الإنسان إذا فرغت بترويض البدن على الجوع والعطش، وهذه الطريقة من بدع المتصوِّفة الذين يعذبون أنفسهم بالجوع والعطش.

(٣) أي انعزل عن المجتمع واستسلم للوحدة والانطواء.

(٤) أي أن اللطيفة المدركة هي المتصرفة بالبدن بدلاً من الروح والقلب.

(٥) ما المراد بتجريد المعاني؟ هي تخليص الأشياء التي كان يتصوَّرها وتغلب عليها ظنه، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا المعنى بقوله: والناس يقولون: غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه؛ فإن الحس يرى أمرا معينا فيظن صاحبه فيه شيئا آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل، انظر ص ٢١٤.

(٦) قال تعالى: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [القصص: ١٠]، أي فارغاً من كل شيء إلا من موسى عليه السلام حينما ملأ فؤادها بعد الفراق، قال تعالى: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

(٧) انظر كيف توافق كلام الأطباء النفسيين مع كلام ابن القيم رحمه الله.

الأصوات المسموعة، وللقوة الباصرة بشكل الأشخاص المرئية، فيرى صورَها[١]**، ويسمع الخطاب، وكلُّه في نفسه ليس في الخارج منه شيء، ويحلِف أنه رأى وسمع، وصَدَقَ،** لكن رأى وسمع في الخارج أو في نفسه؟ ويتفق ضعف التمييز، وقلة العلم، واستيلاء تلك المعاني على الروح. وتجردها عن الشواغل) [٢].

وعندما نقيس هذه النظرية عن السالك لطريقة هذه الفرقة بمنطق نفسي، نلاحظ بأن الأعراض النفسية التي ذكرها ابن القيم رحمه الله، تنطبق على واقع الكثير من المرضى النفسيين في وقتنا الحاضر، وتتوافق هذه الأعراض مع بعض أعراض الفصام[٣]، والخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة التي يعاني منها المريض ليست في الخارج كما تظهر له، وليس لها حقيقة في ذاتها كما يتصوّر بعض أفراد الأسرة حينما يشاهدون المريض يتفاعل معها، وإنما هي بدأت من المريض وعادت إليه.

كما أن هذه النظرية تشير إلى أن الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة التي يفرضها ذهن الإنسان حينما يمرّ بظروف قاسية نحو مجاهدة البدن

---

(١) صور ماذا؟ صور تلك المعاني التي كان يضمرها في نفسه حينما تحولت في نظره إلى حقيقة، ويقول ابن القيم رحمه الله في موضع آخر: «ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيلات لا حقيقة لها في ذاتها وإنما الذهن يفرضها تقديراً وليست منضبطة في النفس، فإن العلوم الخارجية لا تنطبع صورها بالنفس فكيف بالخيالات المعدومة؟» .

(٢) مدارج السالكين: (١/ ٤٧).

(٣) انظر: ص ٧٩.

على الجوع والعطش، والعزلة عن الناس والانقطاع عن الشواغل الكثيفة وضوضاء المدن إلى أن تستعد النفس وتتهيأ لقبول ما يرد عليها من أثر الوهم الذي يُملي عليه المجتمع من أفكار خاطئة كاختلاف أنواع الخيالات من بلد لآخر حتى يسيطر عليها الوهم.

كما وصفها العلامة ابن القيم رحمه الله: (أَن للنَّفس من الكيفيات المختصة بهَا مَالا يشاركها فِيهَا الْبدن وَلها خفَّة وَثقل وحرارة وبرودة ويبس ولين بحسبها وَأَنت تَجِد الْإِنْسَان فِي غَايَة الثقالة وبدنه نحيل جدا وتجده فِي غَايَة الخفة وبدنه ثقيل وتجد نَفسا لينَة وَادعَة ونفسا يابسة قاسية.

فَالنَّفس هِيَ الحاسة المدركة وَإِن لم تكن محسوسة فالأجسام والأعراض محسوسة وَالنَّفس محسة بهَا وَهِي الْقَابِلَة لأعراضها المتعاقبة عَلَيْهَا من الْفَضَائِل والرذائل كقبول الأجرام لأعراضها المتعاقبة عَلَيْهَا وَهِي المتحركة باختيارها المحركة للبدن قسرا وقهرا وَهِي مُؤثرَة فِي الْبدن متأثرة بِهِ تألم وتلذ وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتنعم وتبأس وتحب وَتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل وتعرف وتنكر وآثارها من أدل الدَّلَائِل على وجودهَا كَمَا أَن آثَار الْخَالِق سُبْحَانَهُ دَالَّة على وجوده وعَلى كَمَاله فَإِن دلَالَة الْأَثر على مؤثره ضَرُورِيَّة) (١).

فإذا استحوذ هذا الوهم على النفس، ظهر بصورة حقيقية في نظر المريض (٢) فتظهر له الخيالات بشكل أشخاص مرئية وأصوات مسموعة،

---

(١) كتاب الروح: (ص ٢٦٠).

(٢) انظر: ص ٩٨.

ويحلف أنه رأى وسمع وهو صادق، فينبغي أن لا يُكذّب المريض بما يرى ويسمع ، ولكن يوجه مباشرة إلى مراجعة الطبيب النفسي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمة-رحمه الله- في رسالة «الفرقان بين الحق والباطل» في تصوير البله وإن اختلفت مسمَّيات الأمراض النفسية في هذا الزمن، ومنها: الفصام، كما يعرف بمصطلح الطب النفسي.

(و «الوحي» وحيان: وحي من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾[2] وقال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[3] وقد كان المختار ابن أبى عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - قيل لأحدهما إنه يقول إنه يوحى إليه فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ وقيل للآخر: إنه يقول إنه ينزل عليه فقال ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

فهؤلاء يحتاجون إلى الفرقان الإيماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيَّات يرونها ويسمعونها والحسيَّات يضطر إليها الإنسان بغير اختياره كما قد يرى الإنسان أشياء ويسمع أشياء بغير

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢٢١.

اختياره كما أن النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم: الحس والخبر والنظر وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور؛ لكن يكون بعض الأنواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين كالطب فإنه تجربات وقياسات وأهله منهم من تغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لا بد فيها من قياس؛ لكن مثل قياس العاديات لا تعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيَّات التي هي الأصل ليعتبر بها والحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد يغلط .

والناس يقولون: غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه؛ فإن الحس يرى أمرا معينا فيظن صاحبه فيه شيئا آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل.

ولهذا النائم يرى شيئاً وتلك الأمور لها وجود [١] وتحقيق[٢]؛ ولكن هي خيالات وأمثلة؛ فلما عزب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أمورا كثيرة وهو في النوم

(١) وجود أي: الثابت في الذهن وفي الخارج، فعلى سبيل المثال الشخص الميت الذي نعرفه ثابت في الذهن وليس له وجود في الخارج.

(٢) تحقيق أي: الهيئة والشكل.

يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل لأن عقله عزب عنه وتلك الصورة[١] التي رآها مثال صورته وخيالها ؛ لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن أن ذلك المثال هو نفسه فلما ثاب إليه عقله علم أن ذلك خيالات ومثالات ، ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام **وهذا كالذي يرى صورته في المرآة أو صورة غيره فإذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى أنه يفعل به ما يفعل بالشخص.**

وهذا يقع للصبيان والبُلْه[٢] كما يخيل لأحدهم في الضوء[٣] شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون أنه خيال فالحس إذا أحس حسا صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال؛ فإن العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وأنه لا يكون في الهواء ولا في المرآة ولا يكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين) [٤].

ولهذا ينصح بعض الأطباء النفسيين أحياناً أسرة المريض الذهاني في الحالات المتقدمة بإبعاد المرآة عن المريض خشية أن يقوم بكسرها أثناء الاعتداء على صورته، وكذلك بعض مرضى الزهايمر حينما يتحدث أحدهم مع التلفاز أو يتحدث مع الصور المعلقة على الحائط التي تحتوي

(١) أي: صورة الميت الذي رآه في النوم.

(٢) البُلْه: صيغة جمع ومفردها أبله، وهي صفة لضعيف العقل أو المجنون كالمعتوه الذي نقص عقله.

(٣) انعكاس الظل .

(٤) مجموعة الفتاوى: (٧/ ٤٣).

على أشخاص.

فرحم الله شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم عندما تحدثوا عن هذه الأمور من الأمراض النفسية فنجد أنهم سبقوا علم النفس المعاصر في ذلك بقرون عديدة، ذلك لأن علمهم وتقريراتهم، وتأصيلهم للأشياء مستمدّ من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وعليه فالواجب هو الجمع بين ما كتبه الأوائل والمعاصرون بطريقة شرعية حسيَّة صحيحة لأن الطب بني على التجربة فيحصل من ذلك نفع للناس .

والواجب رد الأمور إلى نصابها الصحيح؛ لأن هذا هو السبب بعد الله عز وجل في الخروج من هذه المشكلات.

يستنتج من خلال سرد الأدلة والبراهين ما يلي:

١- إن حكمة الله عز وجل ورأفته بنا اقتضت حجب أنظارنا عن رؤية الجن، فلو انكشفوا لنا على هيئتهم الحقيقية التي خلقهم الله عز وجل عليها؛ لدّب الرعب في قلوبنا ولم تستقم لنا الحياة .

٢- ليست رؤية الجن مقصورة على المصاب بتلبس الجن فحسب، عندما يتمثّل له الشيطان بصورة إنسان أو حيوان كما يعتقده بعض الرقاة، بل يراه كل من كان حوله سوآءً أكان مسلماً أو كافراً كما شاهد المشركون الشيطان في يوم بدر حينما تمثل لهم بصورة سراقه بن مالك[١] .

---

(١) انظر: ص ١١١.

٣- إن الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة مرتبطة بالذهن، فمن المحال على كائن من كان أن يتوافق نظره مع ما ينظر إليه المريض الذهاني من الخيالات البصرية أو يستمع إلى ما يسمعه من الأصوات الوهميَّة.

٤- إن الشيطان يكون على أضعف حال حينما يتشكل على هيئة إنسان أو حيوان، فيلوذ بالفرار على أدنى ضرب يسير كما فعل الصحابي قتادة رضي الله عنه عندما تمثل له الشيطان بصورة قنفذ(١).

٥- إن الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول: الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة المزمنة.

وهي التي تظهر على مرضى الفصام غالباً في الحالات المتقدمة كما وصفها شيخ الإسلام - رحمه الله- (٢) وقد تختفي إلى حدٍّ كبير عند بعضهم أثناء انتظامهم على الأدوية النفسية .

القسم الثاني: الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة المؤقتة، وتنقسم إلى قسمين:

أ- الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة التي تظهر على المريض النفسي عند الاختلال الكيميائي في الجسم من أثر الرياضة على الجوع والعطش (سوء التغذية) والانطواء كما وصفها ابن القيم - رحمه الله-(٣) وقد تستمر

(١) انظر: ص ٢١١.

(٢) انظر: ص ٢١٥.

(٣) انظر: ص ٢٠٩.

الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة من فترة إلى أخرى وقد تختفي حينما يرجع المريض إلى الانتظام على الطعام والشراب ومخالطة المجتمع وقد تستمر إلى أن يشاء الله حتى بعد الانتظام على الطعام والشراب.

ب- الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة من أثر تعاطي المؤثرات العقلية، وقد تظهر على المريض أثناء الاستمرار على التعاطي وقد تختفي عند الإقلاع .

فربما يجهل بعض الناس علاقة المؤثرات العقلية باختلال العقل خصوصاً حينما تظهر الخيالات البصرية والأصوات الوهميَّة على مرضى الإدمان هداهم الله وعافاهم.

فيغلب على ظن أقاربهم بأنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر، ولاحظت على الكثير من مرضى الإدمان بأنهم يتوهّمون إصابتهم بتلبس الجن أو السحر.

فقد يوافقني على كلامي هذا أدنى معالج يعمل في مستشفيات إرادة للصحة النفسية فضلاً عن الأطباء النفسيين لتكرار مثل هذه الحالات لديهم.

فالذي يظهر لي – والله أعلم – أن غالب من يكثر الشكوى من رؤية أشخاص أو أشباح أو جن متكررة، أويسمع أصوات مزعجة ومختلفة كمنبه هاتفاً، أو منبه سيارة، أو صوت تشويش مذياع، أو راديو، أو يسمع صوتاً كرنين الحديد، كما يحدث للأواني المنزلية حينما يضرب بعضها ببعض، أو يسمع شخصاً يكلِّمه ويأمره افعل كذا وكذا، أو يسمع كحَّة إنسان أو هاتف

يهتف أنت مجنون ونحوه[١]، بصفة مستمرة ويتصوّر أنـه مـضطهد أو أن أحـداً يطارده، أو أن مؤامرة تُحاك ضده، هو غـير مـصاب بتلـبس الجـن أو الـسحر، والدلالة على ذلك أن هذه الخيالات البـصرية والأصـوات الوهميَّـة تختفـي إلى حدٍّ كبير عند بعض المرضى أثناء ما يصرف الطبيب مضادات الذهان للمريض دون رقية، لكنها سرعان ما تظهر عندما يترك المريض العلاج.

بينما الخيالات بأنواعها عند بعض المصابين بتلبس الجـن أو الـسحر لا تكاد تظهر، ونادراً ما يرى إنساناً أو حيوانـاً، أو يلمـح خيـالاً كالظـل، أو يسمع صوتاً ينادي باسمه أو كأن أحداً يهمس في أذنه بكلام غـير مفهـوم، أو يسمع صوت نباح كلاب ونحوه، فتظهر له الأصوات المسموعة أحياناً متقطعة وفي أوقات مختلفة حتى في الحالات المزمنة منها، لكنها تتلاشـى في الغالب مع الرقية وتذهب بلا عودة بإذن الله.

❊ ❊ ❊

---

(١) فعلى سبيل المثال: إذا كان المريض مُخفقاً في مادة دراسية، فـربما ينـشغل عقلـه بهـا ويكـون هذيانه حولها فيكرر كلمة «اختباري» أو أي كلمة تتعلق بهذه المادة دون أن يستعد لإعـادة الاختبار، وقد ينقطع عن المدرسة أو الجامعة، ويصوِّر هذا المعنـى شـيخ الإسـلام رحمـه الله بقوله: الحس إذا أحس حسًّا صحيحاً لم يغلط، لكن معه عقل، انظر: ص ٢١٥.

الثاني عشر: نظرة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي أثناء الرقية

لا يظهر أي تفاعل على المريض النفسي أثناء الرقية في الغالب – والله أعلم – ماعدا الحركات الإرادية مثل الإيحاء[١] مع عدم ملاحظة أي إجهاد بدني حتى بعد الرقية سوى الراحة والاستقرار من جراء سماع القرآن وهذا يشترك فيه جميع المرضى وغير المرضى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢].

بخلاف التفاعل والحركات اللّاإرادية أثناء الرقية التي تعتري المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين كالصراخ أو التخبّط أو التجشؤ أو البكاء أو التقيء أو الإغماء أو الصرع الذي يرديه أرضاً بالإضافة إلى الإجهاد البدني الذي يعيق المريض عن النهوض لمدة تتراوح ما بين خمس دقائق إلى عشرين دقيقة بعد الانتهاء من الرقية في الغالب.

فالعلاقة مرتبطة ما بين الإصابة المزمنة للمصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين وما بين الأمراض النفسية ارتباطاً وثيقاً خصوصاً حينما يغلّب المريض المصاب بتلبس الجن أو السحر الرقية على جانب العلاج النفسي.

---

(١) انظر: ص ١٣٤.

(٢) سورة الأنفال: (آية ٢).

وكذلك المريض النفسي الذي يغلّب جانب العلاج النفسي على جانب الرقيـة، كما عند أحدهم حينما يـصاب بالفـصام وتلـبس الجـن في آن واحـد؛ فقـد يتحسن بشكل واضح مع الاستمرار على الرقية ماعـدا بعـض الأعـراض الذهانية التي قد تختفي مع العلاج النفسي مثل الخيالات البـصرية والأصـوات الوهميَّة أو داء العظمة «برونويا» الذي يتوهّم المريض بأنه المهـدي المنتظـر، أو يتقمّص المريض عدد من الشخصيات البارزة التي تتواكب مع بيئته [1].

فربما غلب على ظن أسرة المريض أو بعض الرقاة في مثل هذه الحالات أثناء الرقية والتحدث مع المريض أنه مصاب بتلبس مجموعة من الجن.

فينبغي أن نتنبه إلى بعض الأعراض النفـسية المـصاحبة لـدى المـريض النفسي، مثل الخوف المرضي «الفوبيا» الذي ينتج عنه سرعة خفقان القلب وضيق في التنفس دون خلل طبي عضوي كحساسية الصدر أو الربو.

فربما هذا الخوف يعتري المـريض في أي لحظـة سـواءً عنـدما يتعـرَّض لموقف مخيف في مكان ما، أو نتيجة تـوتر تحـت ضـغوط نفـسيَّة، أو أثنـاء الرقية أو قبلها، خصوصاً بعدما يسمع صراخ من كـان قبلـه مـن المـرضى بداخل غرفة الراقي أثناء الانتظار .

فقد يصاب بنوبة ذعر وتستمر مع المريض إلى حين مواجهة الراقي مع محاولة استنشاق الهواء بشدة، فيظن المريض حينما يعاني من هذه الأعراض أنها على أثر إصابته بالسحر أو تلبُّس الجن! كما سيأتي الكلام عن الخوف في العنوان التالي:

---

(١) سبق ذكره ص ٢٠٦.

الثالث عشر: نظرة حول أنـــواع الخـــوف

أولاً: خوف عبادة

وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[(٣)].

وقال بعض السلف: «من خاف الله خافه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»[(٤)].

ثانياً: خوف شرك بالله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[(٥)].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾[(٦)].

---

(١) سورة السجدة، آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٤٠.

(٤) انظر: ص ١٨١.

(٥) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٨١.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قِيلَ: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ " قَالَ: "الرِّيَاءُ»**[١].

ثالثاً: خوف طبيعي

وهذا الخوف الجبلِّي لا يسلم منه أحد؛ لكنه لا يعدو لحظات يسيرة، ويزول تأثيره على فساد الجوارح بزوال الموقف المخيف الذي يتعرّض له الإنسان وهو من طبيعة البشر.

قال تعالى مصوراً حال المؤمنين في غزوة الأحزاب وممتنًّا عليهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[٢].

والشاهد في هذا المقام قوله تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾.

قال الإمام البغوي رحمه الله[٣]:" فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبّر به عن شدَّة الخوف، قال الفراء: معناه أنهم جبنوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد برقم ٢٣٦٣٠ (٣٩/ ٣٩)، وإسناده حسن، وقال المنذري: إسناده جيد، وقال ابن حجر: إسناده حسن.

(٢) سورة الأحزاب، آية ١٠.

(٣) تفسير البغوي (ص ١٠٣٠).

للجبان: انتفخ سَحْرُه ".

رابعاً: خوف مرضي

وهذا النوع من الخوف ليس له أسباب ظاهرة للعيان، لكنه قد يؤثر على بعض أعضاء الإنسان تأثيراً ظاهراً، ولا يكاد ينفك عنها فترة من الزمن إلى أن تخفّ وطأته عن النفس على أثر كثرة قراءة القرآن الكريم، وإلى غير ذلك من الإكثار من الأدعية والأذكار الشرعية، والصدقات، أو استعمال العلاج الدوائي، أو العلاج السلوكي المعرفي.

قال العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله - : «وهناك ما يسمَّى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتزّ، فيظن أن هذا عدو يتهدَّده، فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها فإنها تهلكك»[1].

ويقول الدكتور/ أحمد عكاشة:

«ولذا نستطيع تعريف استجابة الخوف كالآتي:

١ - أنها غير متناسبة مع الموقف.

٢ - لا يمكن تفسيرها منطقياً.

٣ - لا يستطيع الفرد التحكم فيها إرادياً.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عثيمين (٢/ ١٦٧).

٤ - تؤدي إلى الهروب وتجنب الموقف المخيف»[١].

ويقول الدكتور/ حجار محمد: «إن الخوف المرضي الرهاب، خوف غير عقلاني، ويتميز الخوف المرضي بثلاث نقاط:

أ - أن الاستجابة (ردة الفعل) لا تتناسب مع المنبه (الشيء المخوف).

ب - أن هذا الخوف عند الفرد لا شعوري لا يعلم ما هي أسباب الخوف.

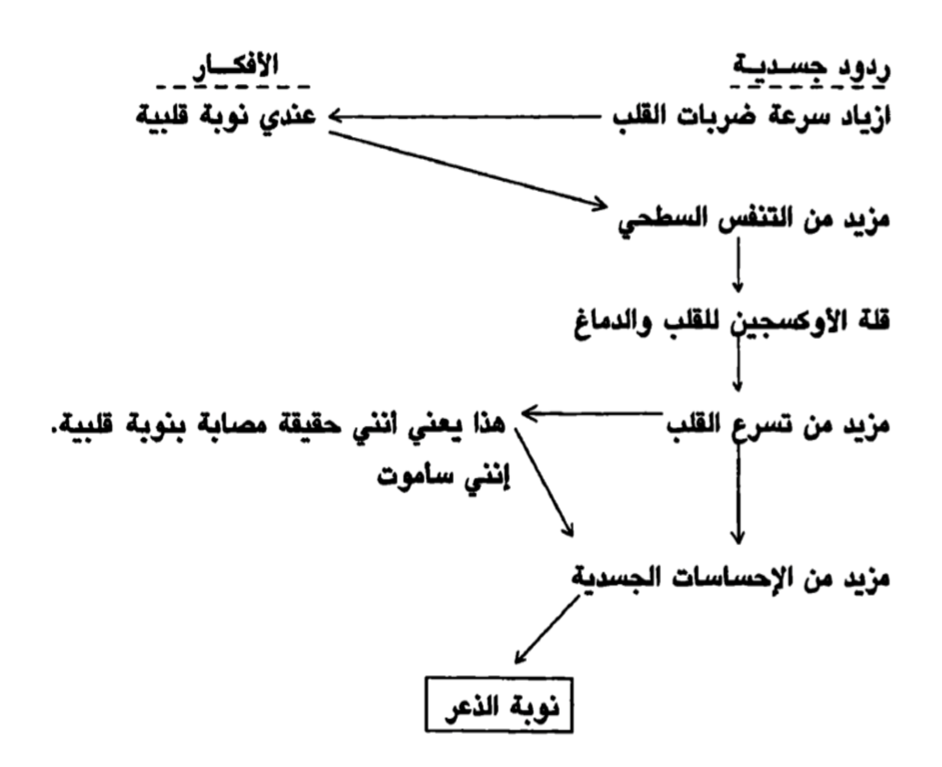
ج - أن الخوف يدفع المريض على الهروب وتجنب الشيء المخوف وأنواع الرهاب كثيرة منها: رهاب الحيوانات، ورهاب العناكب، والخوف من الأماكن المغلقة، أما ما يخص أسباب الخوف المرضي فما زالت الأسباب غامضة، فبعض الباحثين يرون سببها الصراعات النفسية اللاشعورية التي تكون مصدرها من الداخل فتتمثل المخاوف من الخارج، والبعض يراها من المواقف المخيفة الماضية التي حصلت للفرد، وأصبحت هذه المواقف ملازمته في الكِبَر»[٢].

---

(١) الطب النفسي المعاصر (ص ١٣١).

(٢) العلاج النفسي الذاتي بقوة التخيل، حجار محمد، الطبعة الأولى، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض - السعودية.

ولعل هذا الرسم[١] يتوافق مع وصف ابن القيم رحمه الله :



قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأصل الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء، وهو ينشأ من الرئة، فإذا ساء الظنُّ ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحمت القلب (في مكانه، وضيقت عليه حتى ازعجته عن مستقره)، فأصابه الزلازل والاضطراب لإزعاج الرئة له

(١) الرسم من كتاب العقل فوق العاطفة (ص: ٣١).

وتضييقها عليه، ولهذا جاء في حديث عمرو ابن العاص الذي رواه أحمد وغيره عن النبي ﷺ: «**شَرُّ ما في المرء جُبْنٌ خالع وشُحٌّ هالع**» [أحمد: (٣٠٢ و٣٢٠)، وأبو داود: (٢٥١١)].

فسمَّى الجبن خالعاً لأنه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السَّحَر وهو الرئة ؛ كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر: انتفخ سَحْرُك.

فإذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل، فظهر الفساد على الجوارح فوضعت على غير مواضعها) [١].

قلت: إذا تأملنا جيداً تقرير العلامة ابن القيم رحمه الله عن قول النبي صلى الله عليه وسلم (جُبْنٌ خَالِعٌ)، يتَّضح لنا عجز الفحص المخبري في الكشف عن صِلة الخوف بفساد الجوارح حينما تظهر على شكل أمراض عضوية.

وفي هذا المقام أذكر قصة حدثت لي، وهي ربما تحكي عن علاقة الخوف بفساد الجوارح، كما قال ابن القيم - رحمه الله - وقد تعكس هذه القصة أيضاً نظرة حول مُعطيات هذا الكتاب بعنوانه القديم على أرض الواقع بعد إصداره بفضل الله وتوفيقه.

جاء أحد المراجعين بأخته التي لا تستطيع المشي على قدميها منذ ما يقارب ثلاث سنوات حال ولادتها بالمولود الثالث .

---

(١) الروح: (ص ٢٩١).

فتمكن منها الإحباط بعدما يأست من إجراء جميع الفحوصات المخبرية دون أن تظهر عِلَّة هذه الإعاقة على حدِّ قولها .

وربما استسلمت طيلة هذه الفترة لرأي امرأة متطبِّبة قرأت عليها وقالت: إن في رجليكِ مسًّا من الجن !!

فاستنتجت من خلال الحوار معها قبل الرقية أنها تعاني من خوف مَرَضي نتيجة التشخيص الخاطئ من تلك المرأة المتطبِّبة، والله أعلم.

وقرأت عليها ما تيسر من القرآن بحضرة أخيها وكانت تعاني من آلام في كلتا الرجلين أثناء الرقية[1].

وبعد ذلك ناولتُ أخاها نسخة من هذا الكتاب وأشرت إلى الموضع الخاص بمرضها في صفحة (٢٢٦).

وأفادت بأن ما ذُكِر في الرسم المشار إليه يتوافق إلى حدٍّ كبير مع الأعراض التي تشتكي منها، وهذه الأعراض تتوافق – أيضاً – مع كلام ابن القيم رحمه الله.

ثم أشرت أيضاً إلى صفحة أخرى (٧١) حتى إذا وقفا على هذه الأعراض (السقوط، وعدم القدرة على الاستمرار واقفاً) تركت لهما حرية اختيار الإجابة فقلت لهما: هل ظهرت لكما العِلَّة الآن؟ فقالا: نعم، وكما قيل في الأمثال: «إذا عُرِف السبب بَطُلَ العجب».

فسرعان ما تابعت مع الطبيبة النفسية وأخذت العلاج المناسب، وبعد عدَّة أسابيع جاءت مع زوجها في الجلسة الأخرى وهي تمشي على قدميها

---

(١) انظر: ص ١٨٩.

ولله الحمد والمنّة.

وهذا يدل على أن المـريض لا ييـأس مـن روح الله مهـما كانـت حالتـه المرضية، فإن لها دواء بإذن الله، ولهذا قال صلى الله عليه وسـلم: «**لكـلِّ داءٍ دَوَاء**».

وللإمام ابن القيم - رحمه الله - كـلام نفـيس ومهـم جـداً حـول هـذا الحديث؛ يقول رفع الله درجته في أعلى عليين: «في هذا الحديث تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثٌّ على طلب ذلـك الـدواء، والتفتـيش عليـه، فـإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بـروح الرجـاء، وبردت عنده حرارة اليائس، وانفتح له باب الرجـاء، ومتـى قويـت نفـسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوانية والنباتيـة والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التـي هـي حامـل لهـا، فقهرت المرض ودفعته.

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب، وما جعل الله للقلـب مرضـاً إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الـدواء واسـتعمله، وصـادف داء قلبه أبرأه بإذن الله تعالى»[1].



(١) زاد المعاد (٤/ ١٧).

الرابع عشر: نظرة حول التأثير النفسي السلبي

حينما يصاب أحد أفراد الأسرة بمرض عضوي، فالضّرر قد لا يتعدى بقية أفراد الأسرة في الغالب مهما عانى المريض من شدة الألم ومهما تعاطفت معه الأسرة، بخلاف الضّرر المتعدي مقارنةً مع المريض النفسي.

فقد يُشكّل خطورة على الأسرة أثناء ما ينتابه من سلوك عدواني فربما تجاوز هذا الضّرر إلى الأقارب أو الدائرة المحيطة به.

فرعاية المريض النفسي ليست كغيره خصوصاً إذا كان له السيطرة على الأسرة كالأب ونحوه حينما يتوهّم بمؤامرة تُحاك ضدّه أو أن أحداً يطارده أو خطراً يهدد حياته أو سحر بفعل فاعل، فقد يشترك في هذا الوهم بعض أفراد الأسرة.

ولعلي أستشهد بإحدى القصص حول هذا الموضوع: طلب منّي أحد الزملاء الرقية على زوجة صاحبه بحضور زوجها، وفي أثناء الرقية عليها صرخت الزوجة بأعلى صوتها تقول: السحر في مكان كذا وكذا.

فأجابها زوجها على الفور: من الذي عمله فلان أم فلانة؟

واشْتدَّ النقاش بينهما ولم يلتفت أحدٌ منهم إليّ، فاستأذنت للخروج من المنزل بعدما لاحظت بأن الزوج يعاني من بعض اضطرابات الإدمان.

وفي اليوم التالي أعاد زميلي الاتصال يطلب منّي الرقية مرة أخرى ويقول على لسان صاحبه: كاد الجنّي المتلبس بزوجتي أن يخرج أو يعترف

بمكان السحر بعدما عجز عنه بعض الرقاة؟

فقلت لزميلي: الذي يظهر لي والله أعلم بأن زوجة صاحبك تمر بحالة إيحاء نتيجة ضغوط نفسية من أثر الاضطرابات النفسية التي يعاني منها زوجها.

قال: و ما العمل؟ قلت: أخبره بما سمعت وسوف أتواصل معه.

وبالفعل حصل ما كنت أتوقع! اتصلت بي والدة الزوجة تصف انهيار نفسية ابنتها من جراء شكوك زوجها خصوصاً إصراره على وجود سحر بفعل فاعل للتفّريق بينهما بعدما توترت العلاقة .

وبعدما قابلت الزوج لم يُنكِر التعاطي وجلست معه عِدّة جلسات مناصحة فمنّ الله عليه بالهداية وقرر الإقلاع فاستقرت نفسيته تدريجياً مع الوقت وانعكست على أسرته، وبعد فترة من الزمن طلب منّي الرقية على زوجته مره أخرى، ولـمّا قرأت عليها كأنها لم تَرَ بأساً قط ولله الحمد والمنَّة.



الخامس عشر: أثر الألعاب الالكترونية

باتت الألعاب الإلكترونية التي انتشرت في الآونة الأخيرة مصدر قلق لدى الكثير من الأسر حينما يرون أبناءهم يتعلّقون بها تعلّقاً شديداً، ويمكثون أمامها الساعات الطوال، وهذا من أعظم مشكلات هذا العصر التي تواجهها معظم دول العالم.

وإليك أيها القارئ الكريم بعضاً من الأمثلة:

«طالب عدد من الوزراء في الاتحاد الأوروبي بمنع ألعاب العنف والقتل، وفرض عقوبة موحدة لبيع هذه الألعاب للمراهقين»(١).

وفي الصين أعربت السلطات عن قلقها المتزايد من الأعداد الكبيرة للمراهقين الذين يقضون ساعات طويلة، وربما أيام كاملة في اللعب بمقاهي الإنترنت، حيث قامت ثماني إدارات حكومية بإصدار قواعد جديدة تجبر شركات اللعب على الإنترنت وشركات تشغيل الخدمة على تحميل وتشغيل برامج مضادة لإدمان هذه الألعاب(٢).

وفي الصين أيضاً قامت أسرة صبي صيني في الثالثة عشرة من عمره، انتحر بعد أن أمضى ٣٦ ساعة يلعب لعبة على الحاسب، قامت برفع دعوى قضائية ضد الموزع الصيني للعبة مطالبة بتعويض قيمته مئة ألف يوان، أي

---

(١) مجلة العالم الرقمي (ع ١٩٣) ٢٦/ ١/ ٢٠٠٧م.

(٢) موقع البوابة العربية للأخبار التقنية ١٠/ ٤/ ٢٠٠٧م.

ما يعادل ١٢٫٥٠٠ دولار[١].

وشاهدت الكثير من المراجعين يطلبون الرقية على أطفالهم ويتوهّمون بأنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر أو العين.

فكنت أبادر بالسؤال عن مدة الوقت الذي يمضي على المريض في ألعاب الإنترنت، وأتفاجأ بالإجابة غالباً أن المريض يمكث معظم وقته من خمس ساعات إلى تسع ساعات يومياً على ألعاب الإنترنت.

ولاحظت عليهم شيئاً مما يدمي القلب كأعراض القلق وسرعة الغضب وعدم القدرة على التركيز في واجباتهم المدرسية وكثرة الغياب والخوف والحزن مع عدم مفارقة الأم وعدم الاستقرار الانفعالي[٢] وقلة النوم وضعف شهية الأكل وأعمارهم تتراوح ما بين السنة الخامسة إلى الثانية عشرة تقريباً.

وأعتقد بأن بعض هؤلاء المرضى يحتاجون إلى إعادة تأهيلهم وفق برنامج علاجي سلوكي في عدم الإدمان على هذه الألعاب بالإضافة إلى الرقية، وستكون النتائج أفضل بإذن الله .

(١) مجلة العالم الرقمي (١٦٤).

(٢) وهو الميل للبكاء مع تقلب المزاج، وهذه الحالة معروفة لدى الأطباء النفسيين.

اضطرابات ألعاب الانترنت:

(هو نمط من الإفراط المطوّل للعب على الإنترنت حيث تشير نتائج عبر مجموعة من الأعراض المعرفية والسلوكية، بما في ذلك الفقدان التدريجي للسيطرة على الذات/ مع ممارسة أكثر تلك الألعاب ويحدث التسامح، وأعراض الانسحاب، بصورة مماثلة لأعراض جوهر استخدام الاضطرابات. كما هو الحال مع مادة الاضطرابات ذات الصلة، لذا فإن الأفراد مع اللعب على الإنترنت المتواصل مع اضطراب الجلوس على الكمبيوتر والانخراط في أنشطة الألعاب على الرغم من إهمال كافة الأنشطة الاخرى.

وهم يكرسون عادة من ٨-١٠ ساعات أو أكثر في اليوم الواحد لهذا النشاط وعلى الأقل ٣٠ ساعة في الأسبوع/ وإذا منعوا من استخدام جهاز كمبيوتر ومن ممارسة الألعاب، فإنهم يصبحون أكثر اهتياجاً وغضباً . وهم غالباً ما يجلسون لفترات طويلة دون طعام أو نوم ومن الطبيعي إهمال الواجبات، مثل المدرسة أو العمل، أو الالتزامات العائلية الأخرى، وهذا الشرط هو فصل من اضطراب المقامرة الذي ينطوي على الإنترنت) [١].

وفي الختام أنقل هنا بإيجاز واختصار بعض الأذكار الشرعية والآداب التربوية التي لها بإذن الله أثر على الصحة النفسية للإنسان، وفيها فائدة عظيمة له في دينه وصحة بدنه، وهي على النحو التالي:

---

(١) الدليل التشخيصي والإحصائي الأمريكي الخامس للاضطرابات النفسية والعقلية (ص١٤١٨)، الطبعة الأولى ١٤٣٦ دار الزهراء الرياض د. علي مصطفى د. محمد يوسف.

أولاً: أثر استماع القرآن

من الأمور المتقررة المعلومة أن للقرآن الكريم خصائص اختصّه الله عز وجل بها وميزات ميّزه بها عن سائر الكتب السماوية فهو كتاب شفاء ورحمة وهدى وفرقان ونور إلى غير ذلك من الأسماء والأوصاف المبثوثة في ثنايا القرآن العظيم(١) وسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]. يقول تعالى: تقشعرّ من سماعه إذا تلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأكمل السماع سماع من يسمع بالله ما هو مسموع من الله وهو كلامه، وهو سماع المحبين المحبوبين، كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

(١) وقد جمعها الشيخ صالح البليهي رحمه الله في كتاب بعنوان: «الهدى والبيان في أسماء القرآن» .
(٢) تفسير الطبري، جامع البيان (١٧/ ١٤٠).

لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١).

والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة، فإذا امتلأ من محبة الله، وسمع كلام محبوبه أي: بمصاحبته وحضوره في قلبه، فله من سماعه هذا شأن، ولغيره شأن آخر، والله أعلم(٢).

وللقرآن تأثيره العجيب ومصداق ذلك ما قصّه الله عز وجل عن الجن كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع؛ فلما بعث الله محمدا ﷺ حرست السماء حرسا شديدا، ورُجِمت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجنّ، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين، وهي أشراف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التواضع برقم (٦٥٠٢) (٨/ ١٠٥).

(٢) مدارج السالكين، ص (٥٨٩).

الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا؛ فلما سمعوه يتلو القرآن، قالوا: أنصتوا، ولم يكن نبيّ الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن؛ فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) (١).

و استماع القرآن أشد وقْعاً على الكفار من ضرب السيوف قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٢] . قال ابن عباس: بالقرآن(٢).

ولما أدرك مشركو قريش قوة تأثير القرآن على قومهم سارعوا إلى التشويش على قراءة النبي ﷺ قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]. أي: تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا ينقادوا لأوامره، ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ أَيْ: إذا تُلي لا تسمعوا له. كما قال مجاهد: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قريش تفعله.

وقال الضحاك، عن ابن عباسٍ: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ عيبوه.

وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكروه وعادوه.

(لعلكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله -سبحانه- عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿وَإِذَا

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاكر: (٢٢ / ١٣٤).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاكر: (١٩ / ٢٨٠).

قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]) [١].

فالعلاقة وثيقة ما بين السمع والعقل قال تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣].

كما أن إعجاز القرآن الكريم منقطع النظير، ولا يزال على مرّ العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد ذكر د. محمود يوسف عبده في بحثه له بعنوان «**المعجزة الصوتية للقرآن الكريم**» مايلي[٤]:

قام فريق عمل طبي بأبحاث قرآنية في (عيادات أكبر) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا بأمريكا، وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في اسطنبول، تركيا. وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوة قرآنية. تسجيل وقيام أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين. بعدما

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاكر: (٢١ / ٤٦٠).

(٢) سورة الأعراف: (آية ١٠٠).

(٣) سورة الملك: (آية ١٠).

(٤) ينظر: «مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، العدد (٩)، عام ١٤٢٢هـ.

تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية وقد أجرى البحث على مرحلتين.

لقد أظهرت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن أثر إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكمّاً. وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد. وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أو كانوا يتحدثون العربية أم غيرها كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧٪ وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة آيات القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر ولو لم يفهم معناها إذ حقق إيجابية قدرها ٦٥٪.

كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها. وبغض النظر عن مفهوم معناها. لها أثر فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

قلت: ولهذا يحفظ بعض العجم من المسلمين القرآن عن ظهر قلب، وبعضهم يقرأونه مرتلاً ومجوداً بدون فهم معانيه، ويحصل لهم فيه الخير والبركة والأجر الكثير، وهذا من إعجاز القرآن وخصائصه، وهكذا صغار الأطفال وبعض العوام من العرب الذين يقرأون القرآن بغير تدبر،

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[١]. قال ابن عباس رضي الله عنهما «لا يعلمون الكتاب، لا يدرون بما فيه»[٢].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"[٣].

وقد لاحظت أنا وغيري أثر سماع القرآن الكريم على بعض المرضى المصابين بحالة إغماء في المستشفيات.

- أحدهم طفل لا يكاد يفقه شيئاً من القرآن أفاق من الغيبوبة ولله الحمد والمنَّة على أثر سماع القرآن يوم أن وقف الطبُّ عاجزاً عن علاجه.

- وشابٌّ آخر فقد الوعي لعدة أشهر وقال حينما أفاق لم أعقل شيئاً أثناء غيبوبتي غير الرقية الشرعية حينما يقرأ عليه أحد الزوّار آيات من القرآن الكريم.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فلم يُنزِل الله سبحانه من السماء شفاءً قطّ أعمَّ، ولا أنفع، ولا أعظمُ، ولا أشجع في إزالة الدَّاء من القرآن»[٤].

ومما يمكن أن يقال أن بركة القرآن الكريم قد تكون ظاهرة للعيان، وقد

(١) سورة البقرة: (آية ٧٨).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢/ ٢٦٠).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٧٥).

(٤) الداء والدواء ص (٨).

تكون خفية التأثير، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[١].

قال العلامة السعدي رحمه الله[٢]:

" (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ) أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته".

قلت: وقد يكون القرآن لبعض الناس فتنة وضلالاً، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[٣].

فكان فسقهم سبباً في إضلال الله لهم، وذلك بسبب إعراضهم عنه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٦].

---

(١) سورة لقمان، آية ٢٠.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٤٩).

(٣) سورة البقرة: (آية ٢٦).

(٤) سورة الأحقاف: (آية ٣).

(٥) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٦) سورة الشعراء: (آية ٢٠٠).

قال السعدي رحمه الله: «أي أدخلنا التكذيب وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام كما يدخل السلك في الإبرة فتشرَّبه فصار وصفاً لهم وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم»[١].

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم (١٨٣٩٢)ما نصه: س: ماذا يصنع المعالج بالقرآن لو جيء إليه بشخص من أهل الكتاب يعاني من المس الشيطان؟ وهل يفيد العلاج؟ علماً بأنه لا يؤمن بالإسلام.

ج: يجوز علاج غير المسلم بالقرآن؛ لأن ذلك من الإحسان، والله يقول: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[٣]. وقد يكون شفاؤه بسبب الرقية سبباً لإسلامه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان	عبدالعزيز آل الشيخ	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

ومع هذا فالدعوة لا تزال قائمة لهم، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ

(١) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٩٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦].

قال الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه (فأجره)، يقول: فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه (ثم أبلغه مأمنه)، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن (إلى مأمنه)، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)، يقول: تفعل ذلك بهم، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردِّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله) [١].



(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاكر: (١٤ / ١٣٨).

ثانياً: أثــر الدعـــاء والأذكـار

إن شأن الدعـاء شـأنٌ عظيم، وهو أعظم سـلاح للمـؤمن بتوفيـق الله، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾(١).

فهنيئاً لمن وفقه الله إلى كثرة الدعاء فقـد أثنـى الله - عـز وجـل - عـلى إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(٢).

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في (الأواه) وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود رواه عنـه زرٌ: إنـه الدعَّاء(٣).

كما أن الدعاء قرين السعادة كما وصف دعاء الله زكريـا عليـه الـسلام ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (٤). أي: ولم أعهـد فيـك إلا الإجابـة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك(٥).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

(١) سورة الفرقان: (آية ٧٧).

(٢) سورة التوبة: (آية ١١٤).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (١٤ / ٥٢٣).

(٤) سورة مريم: (آية ٤).

(٥) تفسير ابن كثير: (ص ٢١٢).

دَعَانِ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[٢].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (الدعاء شفاء والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن)[٣].

(و في مستدرك الحاكم من حديث سعد عن النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بشئ إذا نزل برجل منكم أمر مُهمٌّ فدعا به يُفرجِّ الله عنه، دعاء ذى النون**»[٤]، وفيه أيضاً عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول: «**هل أدلكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس**» قال رجل: يا رسول الله، هل كانت ليونس خاصة؟ فقال: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥])[٦].

ومن أوقات إجابة الدعاء كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم:

عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وفي السُّجود، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وساعة في جوف الليل الآخر، ودعوة الصائم حين يُفطر، ودعوة

(١) سورة البقرة: (آية ١٨٦).

(٢) سورة النمل: (آية ٦٢).

(٣) كتاب الداء والدواء: (ص ٩).

(٤) دعاء ذي النون: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧].

(٥) سورة الأنبياء: (آية ٨٨).

(٦)كتاب الداء والدواء: (ص ١٤).

المسافر، وآخر ساعة من عصر يوم الجمعة، وعند شرب ماء زمزم، ودعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المضطر.

وعندما اطلعت على بعض كتب الطب النفسي وتأملت أعراض الاكتئاب وجدتها تنحصر في هذه الاستعاذة النبوية، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أبو أمامة، فَقَالَ: «**يَا أَبا أمامة مَالِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟**» فَقَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يا رَسُولَ اللهَّ، فَقَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى دَيْنَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»، قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي[1].

قال ابن القيم رحمه الله: (فالهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذِّباتها، والفرق بينهما: أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن: هو التألم على حصول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح، فإن تعلَّق بالماضي سمي حزنا، وإن تعلق بالمستقبل سمِّي همًّا.

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته.

---

(١) سنن أبي داود: (٢ / ٩٣) برقم (١٥٥٥)، والبيهقي في سننه برقم (١٧٩).

فتتألم الروح لفواته بحسب تعلُّقها به، والتذاذها بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل قرينان، لأنهما عدم النفع بالمال والبدن.

وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة، لا تنال إلا بالبذل والشجاعة، والبخل يحول بينه وبينها، فهذان الخلقان من أعظم أسباب الآلام.

وضلع الدين، وقهر الرجال: قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها. **أحدهما**: قهر بحق، وهو ضلع الدين، **والثاني**: قهر بباطل، وهو غلبة الرجال.

وأيضا: فضلع الدين، قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره.

ومن ذلك تعوذه ﷺ: «**من المأثم والمغرم**» فإنهما يسببان الألم العاجل)[1].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أشد خلق ربك عشرة:

١ – الجبال الرواسي.

٢ – والحديد يقطع الجبال.

٣ – والنار تذيب الحديد.

٤ – والماء يطفئ النار.

٥ – والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء.

---

(١) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٥٢٥).

٦ - والريح يقطع السحاب.

٧ - وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته.

٨ - والسُّكر يغلب ابن آدم.

٩ - والنوم يغلب السكر.

١٠ - والهم يغلب النوم.

«فأشد جنود الله الهم»، رواه الطبراني في الأوسط[١].

والهم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[٢].

وسوء الظن بالله من ميراث الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[٣].

ومما قيل في الهم:

قال امرؤ القيس[٤]:

وليلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُوْلَهُ   عَلَيَّ بأنْواعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلي

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٨/ ١٣٢).

(٢) سورة الفتح (آية ١٢).

(٣) سورة آل عمران (آية ١٥٤).

(٤) ديوان امرؤ القيس (١/ ١٥).

ويقول أبو الطيب المتنبي[(١)].

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقال آخر[(٢)]:

يـا صـاحب الهـمّ إن الهـمَّ منفـرجٌ أبـشر بخـير فـإن الفـارِج الله

اليـأس يَقْطَـع أحيانـا بـصاحِبِه لا تيأسَـنّ فـإن الكـافي الله

الله يحـدث بعـد العُـسْر مَيـسرة لا تجـزعنّ فـإن الـصَّانِع الله

وإذا بُلِيـتَ فَثِـقْ بـالله وارضَ بـه إن الذي يَكْشِف البلـوى هـو الله

والله مـا لَـك غـير الله مِـن أحَـدٍ فَحَـسْبُك الله .. في كـلٍّ لـكَ الله

❊ ❊ ❊

(١) الأمثال السائرة من شعر المتنبي (١/ ٣٣).

(٢) لم أقف على قائل هذه الأبيات في مظانها، وهي مشهورة على ألسُن بعض الوعَّاظ والخطباء.

ثالثاً: أثر الصدقـــة

الصدقة من أفضل أعمال البر والإحسان وهي باب من أبواب الجنة، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهي علاج ناجح لجميع الأمراض القلبية والبدنية، قال ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة...**»(١)، فالصدقة لها أثر عظيم في حياة المسلم وفي الآخرة، وفي هذا المعنى يقول فضيلة الشيخ عبدالمحسن القاسم وفقه الله: «الصدقة تقي مصارع السوء، وتدفع البلاء، وتحفظ المال، وتجلب الرزق، وتفرح القلب، وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به، وتُزكِّي النَّفس وتُنمِّيها، وتُحبِّب العبد إلى ربِّه وتستر عليه كل عيب، وتزيد في العمر، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر، وتكون عليه ظِلاً يوم القيامة، وتشفع له عند الله، وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة، وتدعوه إلى سائر أنواع البر فلا تستعصي عليه.

الصدقة وقاية بين العبد وبين النار، والمخلص المسِرُّ بها يستظل بها يوم القيامة، ويدعى من باب الصدقة، قال النبي ﷺ: «**ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**» (متفق عليه).

الصدقة ترفع البلاء وتنفرج بها بإذن الله الكروب، قال ابن القيم(٢): «للصدقة والإحسان تأثير عجيب في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد،

(١) صحيح الجامع، للشيخ الألباني رقم ٣٣٥٣.

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٧.

ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جُنَّة واقية وحصن حصين».

ويقول أيضاً[١]: «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم؛ بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به، لأنهم جربوه» أ.هـ.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره، قال ابن القيم[٢]: «ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]» أ.هـ.

والبخيل محبوس عن الإحسان، ممنوع عن البر، ممنوع من الانشراح، ضيق الصدر، صغير النفس قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب.

---

(١) الوابل الصيب ص٤٩.

(٢) الوابل الصيب ص٥١.

فتصدق في يومك ولو بشيء يسير، فأفضل الصدقة جهد المقل، وفي صبيحة كل يوم ينزل ملكان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

والصدقة قرض مسترد مضاعف قال عليه الصلاة والسلام: «**ما نقصت صدقة من مال**» رواه مسلم، وقال جل وجلا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فابذل للفقير بسخاء نفس، وجود يد، وحسن ظن بالله بمضاعفة الثواب والمال» ا.هـ [(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[(٢)]. «يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم.

فعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) خطوات إلى السعادة، د. عبدالمحسن القاسم ص٧٣-٧٤.

(٢) سورة سبأ، (آية ٣٩).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان (٣٠/ ٤١٣).

رابعاً: أثر عيادة المريض

عيادة المريض هي من الحقوق المشتركة بين المسلمين، فهي من حق المسلم على أخيه المسلم، وهي سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والشرع الحنيف حين شرع عيادة المريض؛ لما في ذلك من الآثار الحميدة على صحة المريض، وهي ضربٌ من العلاج لما في ذلك تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم.

ويصف العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذا بأنه «من أشرف أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما يطيّب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، فيتساعد على دفع العِلَّة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

وتفريح نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخال ما يسره عليه، له تأثيرٌ عجيب في شفاء عِلَّته وخفتها، فإن الأرواح والقُوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه، ويعظّمونه، ورؤيتهم لهم، ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامَّة»[1].

(١) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية (ص ٨٤).

هذا وينبغي للعائد أن يكون لبِقاً مراعياً آداب عيادة المرضى، ومن ذلك:

١ - أن يراعي حال المريض والوقت المناسب للعيادة، قال سفيان الثوري رحمه الله: « حمق العُوَّاد أشدّ على المرضى من أمراضهم: يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس»[١] .

٢ - إظهار الابتسامة للمريض، مع الدعاء له وتطمينه ومواساته.

٣ - عدم ذكر الأخبار المحزنة، بخلاف (قصة الرجل الذي دخل على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يعوده في مرضه، فسأله عن علّته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان. فقال له عمر: إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنَّا فلا تعُد إلينا) [٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا دخلتم على الرجل وهو في الموت فبشّروه ليلقى ربّه وهو حسن الظن، ولقّنوه الشهادة، ولا تضجروه»[٣].

وختاماً: أنقل بشارة نبوية كريمة لعائدين المرضى، يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ**

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه (٢/ ٢٨٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟....» [١].

فهنيئاً لعائدي المرضى فهم في معيَّة الله سبحانه وتعالى.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» [٢].

وبهذه المناسبة أناشد إخواني وزملائي الكرام العاملين في المستشفيات والقطاعات الصحية بأن يستشعروا هذا الفضل، وأن لا يحرموا أنفسهم هذا الأجر العظيم ، محتسبين الأجر والثواب من عند الله بالمرور على المريض، فيسلِّم عليه ويدعو له، ويسأل عن حاله، وهل له من حاجة يقضيها، مع مراعاة عدم الإزعاج، وهذا لا يستغرق زمناً يسيراً، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال، قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَ وَالْعَظْمَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَهِدَايَتُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالَّةِ صَدَقَة» [٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض (٤/ ١٩٩٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض (٤/ ١٩٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٩١)، قال الألباني: صحيح.

خامساً: أثـــر مجالـس الذكـــر

مجالس الذكر هي رياض الجنة، وفيها الراحة والسرور، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(٢).

---

(١) سورة الرعد: (آية ٢٨).

(٢)صحيح مسلم: (٤ / ٢٠٦٩).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**»[١].

وليس خروج الجن المتلبس بالإنس مقصوراً على الرقية فحسب، بل إن بعض المصابين بتلبس الجن لا يستطيعون المكوث طويلاً في مجالس الذكر وهذا مشاهد في بعض المقاطع أثناء ما يُصرع أحدهم في صلاة التراويح.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «منزلة الذكر وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتَّجرون، وإليها دائماً يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم، متى تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطَّاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاَّم الغيوب.

---

(١) سنن الترمذي، ت شاكر: (٥ / ٥٣٢).

(٢) سورة طه: (آية ١٤).

(٣) سورة ق: (آية ٤٥).

إذا مرضنا تداوينا بذكرهم فنترك الذكر أحياناً فننتكسُ

قال الحسن رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف رحمهم الله: إذا تمكَّن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صُرِع كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسَّه الإنسي.

وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه، والله أعلم»[(١)].

ولعلي أذكر قصة حول هذا الموضوع:

كنت في أحد مجالس الذكر مع المرضى داخل أقسام الإدمان بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، وصرخ مريض بأعلى صوته يقول: اخرج وهو ينظر إليّ، فلم أخرج من المجلس إلى أن خرج وهو يتقهقر[(٢)] بطريقة غريبة ويمشي على أطراف قدميه.

وبعدما فرغنا من مجلس الذكر فإذا بمريض آخر يقول بأن المريض الذي

(١) مدارج السالكين ص (٥٩٥ - ٥٩٦).

(٢) يرجع إلى الوراء.

ارتفع صوته أثناء الجلسة يطلب الرقية؛ فأتيته وقرأت عليه الفاتحة والمعوذات فقام يتخبّط ويقول كلاماً غير مفهوم (١).

وفي اليوم الثالث بعد إجازة الاسبوع قال زميلي الذي شاهد الموقف، كان المريض يتقيأ طيلة يومه بعد الرقية، ثم بعد ذلك قرأت عليه مرة أخرى فلم أُلاحظ عليه شيئًا بفضل الله وكتب له الطبيب خروجاً.

وهذا مصداق حديث النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» (٢).

فإذا حضرت الملائكة في هذه المجالس فرَّت الشياطين.

ومجالس الذكر تُقرّب من الله عز وجل والطاعة، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بلزوم أهل الخير والصلاح فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٣).



(١) انظر: ص ١١٨.

(٢)صحيح مسلم: (٤ / ٢٠٧٤).

(٣) سورة الكهف: (آية ٢٨).

سادساً: أثـــر الفـــراغ

حياة المؤمن مليئة بالأعمال الصالحة ولا يوجد فيها فـراغ، قـال تعـالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [(١)]، أي: إذا فرغت مـن أمـور الـدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب في العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلِص لربك النيَّة والرغبة[(٢)].

قـال تعـالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[(٣)].

ولا شك أن الفراغ داءٌ قاتل؛ لأنه مخالف لطبيعـة الإنـسان، فـإن الإنـسان بطبيعته همّام وحارث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الأسماء عبـد الله وعبد الرحمن ونحو هذا، وأصدق الأسـماء الحـارث وهمَّـام، حـارث، لدنياه ولدينه، وهمَّام بهما...) [(٤)].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نعمتان مغبون فيهما كثير مـن الناس الصحة والفـراغ)[(٥)]، فكثـير مـن النـاس يفـرط في صـحته وعـدم الاستعانة بها على الأعمال الصالحة في وقـت فراغـه، وهـذه هـي الخـسارة الكبيرة، والغبن العظيم، ولهـذا يقـول هـذا المفـرط عنـد حـضور أجلـه:

---

(١) سورة الشرح: (آية، ٧، ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ؟؟؟)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا.

(٣) سورة الطور: (آية: ٤٨، ٤٩).

(٤) الجامع لابن وهب، باب الأسماء، حديث رقم (٥٣)، وهو مرسل صحيح .

(٥) أخرجه البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢) (٨/ ٨٨).

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[١].

والفراغ من أسباب انحراف الشباب كما قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة[٢]

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «فالفراغ داء قتَّال للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلَّد الفكر، وثخن العقل، وضعفت حركة النفس، واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفِّس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

وعلاج هذه المشكلة أن يسعى الشاب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، ويستوجب أن يكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره»[٣].

والنفس البشرية يعتريها الضعف، فيا أخي الكريم اعمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)[٤].

❊ ❊ ❊

(١) سورة المؤمنون (آية: ٩٩، ١٠٠).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٢٦٦).

(٣) من مشكلات الشباب، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٣).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب المواعظ، حديث رقم (١١٨٣٢) (١٠/ ٤٠٠)، وأخرجه البيهقي في كتاب الآداب، باب من قصر الأمل وبادر بالعمل حديث رقم ٨٠٩ (١/ ٣٢٧).

سابعاً: أثر ممارسة الرياضة

الرياضة بأنواعها عامل ضروري في حياة الإنسان، سواء أكانت رياضة بدنية أو رياضة ذهنية، ونظراً لأهمية هذه الرياضة فقد اعتنت بها الشريعة الإسلامية، ففي مجال العقل والنظر والتدبُّر آيات كثيرة في القرآن تحث على التعقل والتدبُّر والتفكُّر والنظر، وذلك من أجل تحقيق العبادة لله وحده، وفي مجال رياضة البدن والنفس فإن كثيراً من العبادات فيها من الفوائد البدنية والصحية والنفسية.

قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾[١].

قال ابن زيد، سمعته يعني خلادا، يقول: سمعت أبا سعيد وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقرأني، وقال في هذه الآية (وشددنا أسرهم) قال: هي المفاصل، وقال آخرون: بل هو القوة[٢].

وعن جابر بن عبدالله، أن قوماً شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «عليكم بالنسلان». قال: فنسلنا[٣]، فوجدناه أخفَّ[٤].

---

(١) سورة الإنسان: ٢٨.

(٢) تفسير الطبري= جامع البيان، باب القول في تأويل قوله تعالى: (نحن خلقناهم وشددنا) (٢٣/ ٥٧٦).

(٣) النسلان هومقاربة الخطو مع الإسراع، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٥١٧).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٨١٠٢ (٤/ ١٤٠)، والحاكم في المستدرك برقم

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: «أما الرياضة البدنية فبتقوية البدن بالحركات المتنوعة وبالمشي وبالركوب وأصناف الحركات المتنوعة، ولكل قوم عادة لا مشاحَّة في الاصطلاحات فيها إذا لم يكن فيها محذور، وإذا تدبَّرت العوائد الشرعية في الحركات البدنية عرفت أنها مغنية عن غيرها، فحركات الطهارة والصلاة والمشي إلى العبادات ومباشرتها، وخصوصاً إذا انضاف إلى ذلك تلذذ العبد بها وحركات الحج والعمرة والجهاد المتنوعة، وحركات التعلم والتعليم والتمرين على الكلام والكتابة وأصناف الصناعات والحرف كلها داخلة في الرياضة البدنية، ويختلف نفع الرياضة البدنية، باختلاف الأبدان قوة وضعفاً ونشاطاً وكسلاً، ومتى تمرن على ا لرياضة البدنية قويت أعضاؤه واشتدت أعصابه وخفت حركاته وزاد نشاطه واستحدث قوة إلى قوته يستعين بها على الأعمال النافعة، لأن الرياضة البدنية من باب الوسائل التي تقصد لغيرها لا لنفسها، وأيضاً إذا قويت الأبدان وحركاتها ازداد العقل وقوي الذهن وقلَّت الأمراض أو خفَّت، وأغنت الرياضة عن كثير من الأدوية التي يحتاجها أو يضطر لها من لا رياضة له.

فعلينا جميعاً بعد كل هذه المعلومات والنصائح الدينية والاجتماعية والنفسية والصحية والرياضية أن نغير أنماط حياتنا وسلوكياتنا اليومية،

١٦١٩ (١/ ٦١٠).

ونمارس الرياضة والنشاط البدني.

وهذا لا ينبغي أن تكون الرياضة البدنية هي جُلّ غايته ومقصوده.

وأما رياضة الأذهان فهي الاشتغال بالعلوم النافعة وكثرة التفكر فيها والابتداء فيما يسهل على العبد منها؛ ثم يتدرج به إلى ما فوقه، وتعويد الذهن السكون إلى صحيح العلوم وصادِقِها، وذوده عن فاسدها وكاذبها وما لا نفع فيه منها، فإن من تعود السكون إلى الصدق والصحيح، والنفور من ضده، فقد سلك بفكره وذهنه المسلك النافع، وليداوم على كثرة التفكر والنظر، كما حثَّ الله على ذلك في كتابه في عدة آيات.

فكثرة تدبُّر كتاب الله وسنة رسوله أفضل الأمور على الإطلاق، ويحصل فيها من تفتيح الأذهان، وتوسع الأفكار والمعارف الصحيحة، والعقول الرجيحة، ما لا يمكن الوصول إليه بدون ذلك، وكذلك التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه، من السموات والأرض وما أودع فيهما من المخلوقات والمنافع ليُستدل بها على التوحيد والمعاد والنبوة وبراهين ذلك، وليستخرج منها ما فيها من المنافع النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم، فمن عوَّد نفسه ودرَّبها على كثرة التفكر في هذه الأمور وما يتبعها، فلا بد أن تترقى أفكاره وتتسع دائرة عقله وينشحذ ذهنه، ومن ترك التفكر جمدت قريحته وكلَّ ذهنه، واستولت عليه الأفكار التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل ضررها أكثر من نفعها»[(١)].

---

(١) الرياض الناظرة للعلامة عبدالرحمن بن سعدي، ص ١٧٣، بتصرف.

ولعلي أختم موضوع ممارسة الرياضة بهذه اللطائف الطبية:

من أجل القضاء على الاضطرابات النفسية ... الاكتئاب ...القلق ...الخوف مارس النشاط الرياضي[١].

لقد أكدت دراسات وأبحاث قام بها علماء الطب الحديث أن تأثير التمارين والألعاب الرياضية وممارسة أي من الأنشطة البدرية لا يقل بأي حال من تأثير العلاج النفسي وخاصة المشي والجري والهرولة والألعاب وتمارين اللياقة البدنية والحمية مع مراعاة عامل السن وإنما تبذل المجهود خلال الممارسة.

فعند تخصيص عشر دقائق (١٠) من الوقت يومياً للقيام بهذه الأنشطة الرياضية التي تعمل على إفراز أكبر كمِّية من العرق من الجسم مما يساعد في إزالة أي تأثير للاضطرابات النفسية ويكون له تأثيرات لا تقل أهمية عن العلاجات النفسية المعروفة.

أما السبب في ذلك فيعود إلى أنه في حال تعرض الجسم لأي جهد فإن هذا الجسم يبدأ بإفراز كمِّيَّات مضاعفة من هرمون أندروفين الذي يسمَّى هرمون السعادة، وأيضاً في نفس الوقت فإن هذه التمارين والألعاب تساعد في تنشيط الهرمونات العصبية في الجسم وتزيد من إنتاجها.

---

(١) مطوية توعوية صادرة من مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

ثامناً: أثـــر المعصيـــة

للمعصية أثر عظيم على الدين والدنيا والأبدان والأنفس والبلدان، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

هذا وأن الإنسان ليستغرب من بعض حالات الانتحار وكيف الإنسان يُهلك نفسه بمحض إرادته والله عز وجل قد أودع في الناس العقل وحب الحياة، لكنه لمَّا ضعف اليقين بالله، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، أقدم على هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

وعلى هذا يدرك المسلم الفرق العظيم بين شؤم المعصية وبركـة الطاعـة، نسأل الله السلامة.

قـال تعـالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3]، وفي هـذا المعنى يقول الإمام ابن القيم: «ولو فتش العاصي عن قلبه لوجد حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب»[4].

(١) سورة الروم: (آية ٤١).

(٢) سورة الحج،(آية ١١).

(٣) سورة الجاثية: (آية ٢١).

(٤) الروح ص ٢٧٢.

قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[١].

وربنا عز وجل لا يظلم أحداً فالجزاء من جنس العمل قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٢]، وفي المقابل قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٤].

وشتان ما بين حياة المؤمن وحياة الكافر قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٥].

(فجمع له بين النور والحياة كما جمع لمن أعرض عن كتابه بين الموت والظلمة. قال ابن عباس وجميع المفسرين: كان كافراً ضالاً فهديناه)[٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[٧].

فكلما انغمس العبد في المعاصي كلما زادته بعداً عن طاعة الله عز وجل قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٨].

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة: (آية ١٥٢).

(٣) سورة التوبة: (آية ٦٧).

(٤) سورة الحشر: (آية ١٩).

(٥) سورة الأنعام: (آية ١٢٢).

(٦) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٢٨٤).

(٧) سورة السجدة: (آية ١٨).

(٨) سورة الصف: (آية ٥).

كما أن للمعصية أثراً على القلب قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(١)].

قال مجاهد: العبد يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى القلب[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[(٣)].

و قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾[(٦)].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (قد أفلح من كبرها و أعلاها بطاعة الله، وأظهرها وقد خاب وخسر من أخفاها، وحقرها وصغرها بمعصية الله.

وأصل التدسية: الإخفاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾؛ فالعاصي يدسّ نفسه بالمعصية،

---

(١) سورة المطففين: (آية ١٤).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (٢٤ / ٢٨٧).

(٣) سورة الإسراء: (آية ٣٦).

(٤) سورة المجادلة: (آية ١٩).

(٥) سورة الزخرف: (الآيتان ٣٦-٣٧).

(٦) سورة الشمس: (الآيتان ٩-١٠).

ويُخفي مكانها ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق.

فالطاعة والبر تُكبّر النفس وتعزّها وتُعليها، حتى تصير أشرف شيء وأكبره، و أعلاه و أزكاه ومع ذلك فهي أذل شيء و أحقره وأصغره لله تعالى. وبهذا الذل لله حصل لها العزّ والشرف والنمو، فما صغّر النفس مثل معصية الله، وما كبّرها وشرّفها ورفعها مثل طاعة الله .

قال الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله-: (تزكية النفس إنما تكون بالإيمان بآيات الله الشرعية وسننه الكونية وآياته العلمية التي وصفها في قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾)[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4].

آسفونا: أغضبونا[5].

---

(١) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٤٩٣).

(٢) سورة الشورى: (آية ٣٠).

(٣) سورة السجدة: (آية ٢١).

(٤) سورة الزخرف: (آية ٥٥).

(٥) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢٠ / ٦١٧).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (كان في كلام الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله، وكان الحسن البصري رحمه الله، يقول: وإن هملجت[١] بهم البراذين[٢]، وطقطقت بهم ذُلُل البغال، فإن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا يذل من عصاه، ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه ففيه قسط من فعل عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت (إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)[٣].

وأعتقد أنه ليس من المناسب، بل ولا يجوز تأنيب المريض النفسي عن أثر المعاصي كما يجتهد أهله أو بعض الرقاة في المناصحة أثناء الرقية خصوصاً في الحالات النفسية المتقدمة ومنها الاكتئاب ، فالمناصحة التي في غير وقتها ربما تتحوّل إلى تثريب بالنسبة للمريض يُثير القلق، فيخالط العقل، ويزيد من حِدَّة الاكتئاب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه، والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدرُ عن رحمة ورقة، ومرادُ الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خَلقه، فيتلطف في بَذلها غاية التلطّف، ويتحمل أذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشبع مرضاً وهو يتحمل سوء

(١) هملج: مشى مشية سهلة في سرعة، حسن سير الدابة.

(٢) البرذون: دابة معروفة.

(٣) مجموعة الفتاوى (٨ / ٢٤٧)، أخرجه البيهقي في السنن (٢/ ٢٠٩)، وأخرجه أبو داود في الوتر (١٤٢٥) والترمذي في الصلاة (٤٦٤) كلاهما دون قوله: (ولا يعز من عاديت).

خلقه وشراسته ونفرته، ويتلطّف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح) [١].

وكما قيل بدلاً من أن تشير إلى الظلام أشعل شمعة .

فالمريض بمثابة الجريح الذي ينزف دماً نتيجة حادث مروري، فينبغي على المُسعف في مثل هذه الظروف، نقل المصاب على الفور إلى أقرب مستشفى في الحال، بدلاً من معاتبة المصاب التي لا تجدي على تهوّره في القيادة، فالحادث بالنسبة للمصاب في حد ذاته كفيل على أن يرتدع عن أي مخالفة مرورية مرة أخرى.

فالتصرف السليم مع المريض هو معاملته بالتي هي أحسن فعبرة المريض بإصابته بالمرض أبلغ من مناصحته عن التفريط فربما يحتاج إلى من يأخذ بيده ويرشده إلى كيفية التعامل مع معاناته وكيفية تجاوز ما قد يعيد عافيته لكي تطمئن نفسه لمقاومة الاكتئاب ويتعرّف على طبيعة مرضه إلى جانب الرقية، ويُحثّ على دوام الصلة بالله عز وجل من خلال الصلوات والأدعية والأوراد والأذكار وقراءة القرآن لأن من لازمها نهته عن الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [٢].

❁ ❁ ❁

(١) الروح: (ص ٣٢٠).

(٢) سورة العنكبوت: (آية ٤٥).

تاسعاً: أثر جليس السوء

الإنسان اجتماعي بطبعه ولا يمكن أن يعيش وحده فلا بد له من جليس وأنيس.

والإنسان بطبعه يتأثر ويؤثر بعادات وأخلاق جليسه فالمجالسة لها أثر واضح في عقول الناس، وسلوكهم، وطباعهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم وأعمالهم. فهي سبب رئيسي في شقاء الناس أو سعادتهم في الدنيا والآخرة.

سواء كانوا زملاء في العمل، أو في المدارس والمجالس، أو في الأحياء أو في الاستراحات وما أكثرها اليوم.

والنصوص من كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم متوافرة في الحثِّ على مجالسة أهل الخير، والابتعاد والتحذير من جلساء السوء، وسوء عاقبتهم في الآخرة.

قال الله سبحانه في وصف حالهم في مواقف القيامة: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فهؤلاء الأشرار بلاء وشر في الدنيا وفي الآخرة، فكم جليس أصبح رهين السجون، وكم جليس أودع في المصحات النفسية على أثر تعاطي المخدرات.

ووصف الله عز وجل أصحاب الجنة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا

أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

ومع هذا فالمؤمن لا يصيبه بأس ولا قنوط مهما فعل من المعاصي فعليه الندم وتجديد التوبة مع الله فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وعليه ألا ينقاد إلى مكامن الداء ومجالس السوء وصحبة الأشرار والله سبحانه وتعالى يناديه فاتحاً له باب التوبة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾(٢).

وعليه أن يأخذ بوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحث على مجالسة الصالحين والابتعاد عن مجالسة الأشرار قال صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» الحديث متفق عليه(٣)(٤).

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٥١ - ٦٠.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) الحديث متفق عليه.

(٤) وللمزيد الجليس الصالح والجليس السوء، لعبد العزيز ناصر العبد الله، وهو مفيد في هذا الباب.

وفي القرآن الكريم تصوير واضح للتحذير من جليس السوء وعاقبته في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1].

وختاماً: إذا كان الحديث هنا عن جليس السوء وأضراره، فماذا اليوم عن القنوات الفضائية وبعض وسائل التواصل الاجتماعي والأجهزة الذكية وسائر هذه الصناعات التي خرجت للناس براً وبحراً وجواً في جميع أنحاء الدنيا.

فمثلاً جهاز صغير بقدر كفّ اليد يديره الإنسان ببنانه باللمس الخفيف وهو في يد الصغير والكبير، والذكر والأنثى، ينتقل به بين دول العالم وقاراته، وقد يدخل به مواقع المنتديات المشبوهة، بل المحظورة شرعاً، وهو جالس وحده أو مع غيره يعرض فيه كل شيء موجود في الدنيا.

فإن استعمله الإنسان فيما يعود عليه بالخير والنفع في دينه ودنياه ولإخوانه المسلمين، وفي الدعوة ونشر الخير، فهنيئاً له فهذا على نور من ربه، ويسير على صراط مستقيم، أما من استعملها في غير ذلك مما يعود عليه بالنفع الديني والدنيوي فهذا والله هو الهلاك والخسارة، ولا

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٧ - ٢٩.

حول ولا قوة إلا بالله، وهذا من الابتلاء والامتحان في هذه الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «فأما ما تُؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسوِّدّ، ويوجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً وضعفاً، وحِملاً لما يعجز عن حَمْلِه من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتَقَسَّم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟

هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محنة وعطَّلت من منحة، وأحلَّت من رزية وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان عَلى أبي طالب - عند الوفاة - أضر من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد[2].

---

(١) سورة المائدة: ٩٤.

(٢) مدارج السالكين، ص ٢٨٢.

عاشراً: أثر الأسرة:

الأسرة هي نواة المجتمع، وأساسُها الاختيار الأمْثَل للزوجين، قال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[١] ومنها ينشأ الأولاد بتوفيق الله.

والشريعة الإسلامية عَنيت بنظام الأسرة الصغيرة منذ بداية نشأتها، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الزوجة المُثْلى، «فاظفر بذاتِ تربت يداك»[٢]، وما ذاك إلا لأن الأسرة لها تأثير على سلوك الأولاد، سواء كان في ديانتهم،أو عقيدتهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[٣]، أو على سلوكهم وأخلاقهم وطباعهم كما قال أبو العلاء المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوَّده أبوه

وقال الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

---

(١) سورة النور: ٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب الأكفاء في الدين برقم (٦٠٩٠) ٧/ ٧، ومسلم، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم ٥٣ (١٤٦٦) ٢/ ١٠٨٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، برقم (١٣٥٨) ٢/ ٩٤، ومسلم، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم ٢٢ (٢٦٥٨) ٤/ ٢٠٤٧.

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: «...وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...»[1].

ومن عناية الشريعة أن الولد إذا بلغ سبع سنين يؤمر بالصلاة، وإذا بلغ عشر سنين يضرب على تركها، وإذا تعوَّد الولد على الصلاة في صغره سهلت عليه المحافظة عليها في كبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وكذلك يلزم الوالدين زرع الصفات الحميدة، وقبل ذلك وبعده فعلى المسلم الالتجاء إلى الله بالدعاء بصدق وعزيمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3]. ولا شك أن صلاح الوالدين واستقامتهما سبب من أسباب التوفيق، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[4]. فعند ذلك - وبتوفيق الله - تحصل الطمأنينة النفسية، وتنشأ أسرة مطمئنة، عاقبتها قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الجمعة في القرى والمدن برقم (٨٩٣) ٢/ ٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) سورة الفرقان: ٧٤.

(٤) سورة الكهف: ٨٢.

(٥) سورة الطور: ٢١.

الحادي عشر: كيف تتخلص من القلق؟

انتقيت بحثاً مفيداً ماتعاً ومعالجاً للقلق: للشيخ/ زيد بن عبد العزيز الفياض رحمه الله ما نصه:

«والحقيقة أن الدين هو أعظم علاج للقلق وأقوى سبب للنجاة منه، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، إن الدين المتمكن من النفس يبعث على الرضى بالقضاء ويثير في النفس الطمأنينة والسكينة، ويقوي الإيمان الذي يغرس التوكل على الله، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذه الدنيا ما هي إلا مزرعة للآخرة ووسيلة إلى عمل الخير والتزود بالتقوى ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والصلاة التي هي إحدى ثمرات الدين والإيمان من أعظم الأسباب في سكينة القلب وراحة البال، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا بلال أرحنا بالصلاة»، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]، وفي آية أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣]، وقراءة القرآن بخشوع وتفكّر من عجائب ما يُطمْئِن النفس، ويسكن الروع، ويملأ المؤمن ثقة بالله واستسهالاً بالمصاعب حتى تتضاءل عن ما هي عليه حتى لكأنها أشياء هينة سهلة، قال تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾[1].

---

(١) سورة طه: ٢.

إن إعراض كثيرين من الناس عن تلاوة القرآن وعن الصلاة واشتغالهم بمطالعة كتب التشكيك والإلحاد، وضعف الإيمان في نفوسهم، وقلة التوكل على الله هي التي تجعل القلق يتمكن من ضحاياه حتى لتُظْلِم الدنيا في وجوههم، وإن كانوا أصحاء أغنياء، لهم الجاه العريض، والمكانة المرموقة، ومهما بحثوا عن العلاج من غير هذا الطرق - طريق الإيمان والدين - فسوف يرجعون بخفي حنين، فليوفروا على أنفسهم عناء البحث العقيم، وليجربوا هذه الوصفة - التي تحدثنا عنها - وأنهم لواجدون بهذه الوصفة - بإذن الله - ما يصبون إليه من هدوء وأمن واستقرار بال.

قال الحسن البصري رحمه الله: «نزل القرآن ليتدبَّر ويُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبُّر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته... تعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر»[(١)].

وقد قرأت في كتاب يبحث في علم النفس عنوانه (حقيقة النفس وأمراضها) هذه الجملة، ورأيت أن أنقلها للقراء لفائدتها واتفاقها مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

يقول مؤلف الكتاب في صدد علاج مرض الحرمان: «بالنسبة للبالغين يكون علاج المرض بعقيدة يؤمن بها الشخص، وهي أن الناس مهما بلغوا

---

(١) مدارج السالكين ص (٢٧٩ - ٢٨٠).

من ثراء أو جاه فإنهم لا ينفعون ولا يضرون، وما كتب للإنسان من رزق فلا بد أن يوفي عدد أيامه. ولينظر الإنسان إلى من هو دونه عندما تخيب له ثورة شهوة ويضع نصب عينيه مستقبلاً سعيدا ينتظره، ويحاول جاهداً أن يكون من أهل الطموح، فالشخص الذي لا يعبأ بك في فترة من الفترات تستطيع أن تجعله يصفق لك إعجاباً وتقديراً في وقت لاحق. فالأيام تمر وحاول أن تتقدم في كل يوم: إن كنت طالباً فضع نصب عينيك أن تكون من الأوائل، وإن كنت موظفاً فبجانب عملك الذي تؤديه بإخلاص اجتهد أن تخترع، أو تكتب أو تصنع شيئاً يرفع من قدرك ولو في محيط مجتمعك الصغير (الحي) الذي تعيش في وسطه».

فما أحوج أهل هذا العصر القلق المضطرب إلى التداوي بأمثال هذه الأدوية الناجعة، فهل يوفقون لها؟! ليستريحوا من عناء القلق وتشتت الخواطر وتراكم الهموم» ا.هـ[(١)].

هذا وقد وصف الإمام ابن القيم رحمه الله المراحل التي يتدرَّج بها القلق إلى نفس الإنسان شيئاً فشيئاً فيقول: «اعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي مُتعلِّقاتُها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤدِّيها إلى التذكُّر، فيأخذها الذِّكْر فيؤدِّيها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤدِّيها إلى الجوارح والعمل، فتستحْكِم، فتصيرُ عادةً، فردُّها من مبادئها أسهل من قَطْعِها بعد قوَّتها وتمامها.

فإذا دفعت الخاطر الوراد عليك؛ اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكراً جوَّالاً؛ فاستخدم الإرادة، فتساعدت هي والفكر على استخدام

(١) في سبيل الإسلام، للشيخ زيد الفياض (ص ٢٤٩)، بتصرف.

الجوارح، فإن تعذَّر استخدامُها رجعا إلى القلب بالمُنَى والـشهوة وتوجُّهِـه إلى جهة المراد.

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصـلاح الأفكار أسهلُ من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهلُ من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطْع العوائد.

فأنفعُ الدواء: أن تشغل نفسك في ما يَعْنيك دون ما لا يَعْنيـك، فـالفكر فيما لا يعني باب كلِّ شرٍّ، ومن فكَّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغلَ عـن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه.

فالفكر والخواطر والإرادة والهمَّة أحقُّ شيءٍ بإصلاحه من نفسك، فإن هذه خاصَّتك، وحقيقتك التي تبتعدُ بها أو تقـرِّبُ مـن إلاهـك ومعبـودك الذي لا سعادة لك إلا في قُربه ورضاه عنك، وكـل الـشقاء في بُعـدِك عنـه وسخطه عليك.

ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمـره إلا كذلك.

وإياك أن تُمكِّن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك؛ فإنه يُفسدها عليك فساداً يصعبُ تداركه، ويُلقي إليك أنواع الوسـاوس والأفكـار والمـضرَّة، ويحُول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنْته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك؛ فتملَّكها عليك»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) الفوائد، للإمام ابن القيم ص (٢٢٥ - ٢٢٨) بتصرف.

رسالـــة من مريـــض

نصها: (شكراً لأصحاب الصراحة مهما كانت مؤلمة)

كم رفعت هذه الرسالة من معنوياتي لمّا كاد اليأس أن يدبّ في نفسي نظير عدم اقتناع بعض المراجعين في المقرأة الذين يعانون من اضطرابات نفسية ضرورة مراجعة الطبيب النفسي لأخذ العلاج المناسب قبل تدهوّر الحالة.

وكما قيل «إن بالإمكان هدم مباني شاهقة لكن من الصعب هدم قناعات».

صاحب هذه الرسالة ربط إصابته بالعين مع إصابته بجلطة في القلب بعدما كادت أن تودي بحياته لولا أن الله عز وجل لطف به؛ فأصرّ على الاستمرار بالرقية فقط بعدما حاولت إقناعه (بأن القشة هي التي قصمت ظهر البعير) [١]، بمعنى أن سبب هذه الإصابة نتيجة ضغوط نفسية متراكمة بعدما ظهر لي من خلال الحوار معه بأنه يعاني من قلق مزمن؛ فما كان منه في الجلسة الأخرى إلا أن أتى بعينات من الأدوية التي كان يتناولها ومن بينها علاج منوّم صرفه له طبيب القلب لِشدَّة ما يعاني من الأرق .

ثم طلب منّي استشارة نفسية فالتقيت في اليوم التالي أثناء الدوام بأحد الإخوة من الأطباء النفسيين أثابه الله وأخبرته بما حصل وعرضت عليه الأدوية.

(١) هذا مثل يشير إلى حدث صغير يحدث أثرًا كبيرًا (معنويًا عادةً) ليس بذاته فقط بل لأنه جاء بعد تراكم كثير من الأحداث. كالبعير الذي يُحمَّل الأحمال الثقال حتى لم يعد يحتمل شيئاً آخر، ثم تضع فوقه حملًا صغيرًا (كالقشة مثلًا) فينقسم ظهره، ظاهريًا بسبب القشة، ولكن حقيقةً بسبب عدم مقدرته على حمل كل الأحمال السابقة. (المصدر: الشبكة العنكبوتية).

فقال: إن هذا الدواء المنوّم الذي من بينها عليه اعتماد (بمعنى أنـه يـسبب إدمان) ولا يفي بالغرض المطلوب، فـلا بـد مـن متابعـة الطبيـب النفـسي لصرف مضادات الاكتئاب المناسبة لمعالجة السبب الـرئيس(القلـق) حتـى تستقر حالته ومن ثم تختفي هذه الأعراض ومن أهمها الأرق بإذن الله.

فنقلت له استشارة الطبيب مع الإشادة بالمبادرة عاجلاً للوقاية بإذن الله من إصابة مماثلة، وما هي الا بضعة أشهر فإذا به يرسل هذه الرسالة القيّمة.

حينها أيقنت بصعوبة استيعاب خبر إحالتي لبعض المـراجعين في المقـرأة إلى الطبيب النفسي مهما انتقيت أرقى العبارات، واكتشفت أن هذا هـو سر اصطدامي مع بعضهم حينما يتهجّم عليّ أحدهم قائلاً : (أنا لست بمجنون أو مجنونه ونحوها) خصوصاً من بعض النساء حينما تحوّل مشاكلها الاجتماعيـة مع زوجها على أثر معاناتها النفسية المتقدمة إلى عين أو سحر.

وربما أخذتها عزة النفس بالإثم في رفضها للعلاج؛ فقد يؤدي هـذا إلى تصاعد الخلافات الأسرية، فقد تصبح حياة زوجها معها صعبة، والعكس صحيح بالنسبة لزوج حينما يعاني من اضطرابات نفسية متقدمة، فـربما تكـون حياة زوجته معه صعبة.

وأعتقد أن المسؤولية بالدرجة الأولى عـلى الأسرة؛ لأن المـريض قـد يكون غير مستبصر، وفي هذه الحالة فهو ليس مسؤولاً عن تصرفاته فيجب على الأسرة في مثل هذه الحالات النفسية المتقدمة إرغام المـريض بـشتى الطـرق على مراجعة الطبيب النفسي وأخذ العلاج المناسب.

فقد يقول قائل: لماذا هذا التشاؤم، الذي تناقض مع إشراقة الأمل التي

ذكرتها في مقدمة الكتاب؟

الجواب: الجمع بين العلاج بالقرآن والعلاج النفسي إشراقة أمل.

كما أنني لم أتطرق إلى ذِكر محاولة بعض المرضى النفسيين للانتحار والعنف! ولكنيّ لا أنسى أبداً هذه العبارة التي خرجت من القلب لأحد المراجعين في المقرأة (لا تتركني ... أطفالي في ذمتك) فربما تكالبت عليه الهموم والأحزان والوساوس والأفكار الانتحارية[1] – والعياذ بالله – من شِدّة ما يعاني من الاكتئاب، فاجتهد في دفعها بمفرده، وأخذت مقاومتها جُلْ وقته حتى اجهدته، وسيطرت على عقله، فاستسلم للوحدة وعدم الرغبة في مخالطة الناس.

فأخذتُ بيده وذكرته بالله وتلوت عليه شيئاً من القرآن كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يونس: ٦٢-٦٥]؛ فهدأ روعه، ونصحته بمراجعة الطبيب النفسي، ثم بعد ذلك تابعت معه الطبيب هاتفياً إلى أن صرف له الدواء المناسب، فكان لا يفارقني أثناء دوامي في المقرأة، ويجلس بجانبي إلى حين مقابلة مراجع آخر، فيخرج ثم ينتظر حتى يخرج المراجع، ثم يعود مرةً أخرى... وهكذا عِدّة أيام إلى أن بدأ مفعول العلاج النفسي بفضل الله.

---

(١) تقدم ذكره ص ٧٣.

فلعلك تنظر أيها القارئ الكريم بعين الاعتبار! كيف تظافرت جهود الراقي مع الطبيب النفسي وأسهمت في مساعدته على الخروج من المرحلة الحرجة بتوفيق الله.

وكذلك إعادة النظر في القياس ما بين آثار الأدوية النفسية الايجابية وبين آثارها السلبية على مثل هذا المريض الذي كان يفكر في الانتحار.

وفي نهاية المطاف:

لعلك لاحظت أيها القارئ الكريم أن الإشكال الذي وقع فيه بعض المرضى، ومضت على بعضهم السنوات، وتعطلت عنهم المصالح الكثيرة في حياتهم، يدور حول التشخيص الذي أشرت إليه سابقاً[(١)].

فأتمنى من الأطباء الفضلاء[(٢)] أن لا يحرموا مرضاهم من الاستشفاء بكلام الله -عز وجل- وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مع بذل الأسباب الطبية المادية، فالكل من عند الله شرعاً وكوناً.

وأتطلَّع إلى التحاق الإخوة الفضلاء من الرقاة بدورات تأهيلية عن الاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان، فهي مفيدة وناجحة بتوفيق الله.

---

(١) تقدم ذكره ص ٣٢.

(٢) انظر إلى هذا النموذج من الأطباء النفسيين ص ١٦٢.

رسالة إلى الطبيب النفسي والراقي الشرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وبعد

فهذه رسالة إلى أخي في الله الراقي الشرعي وإلى أخي في الله

الطبيب النفسي فإني أوصيكما ونفسي بتقوى الله سبحانه ومراقبة رب العالمين

وصلاح النية بإرادة وجه الله والدار الآخرة وأداء الأمانة والنصح في العمل

وأقول هنيئاً لكما لما حباكما الله به من المساهمة في علاج المرضى

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

كما أوصيكما بالتعاون فيما بينكما لما يعود إلى مصلحة المريض فقد قال تعالى

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)

وأذكركم بالله في البعد عن خلاف بعضكم بعضاً بدون حق فتعينوا بعض

المرضى ليفتحوا باب شر وضر على الجانبين فكل منكم مؤتمن وكلكم على

ثغر عظيم فالله الله أن يؤتى الإسلام والمسلمون من ثغره

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وفقكم الله إلى كل خير وهدى وحفظكم من كل شر وردى آمين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قاله وكتبه أخوكم ومحبكم

عضو الدعوة والإرشاد بالرياض

عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمن آل فريان

١٤٢٩/٧/١١هـ

تزكيات وشهادات وخطابات شكر

نظراً لما تقتضيه المصلحة بشأن الخبرة في مجال الرقية الشرعية.

رأيت أن أسلك طريقاً يحمل الإيحاء والتأثير إلى القارئ الكريم، ويُعزِّز الثِّقة بالكاتب، وهذا منهج قد سلكه كثير من المؤلفين كلٌّ في مجال تخصصه.

ومن جهة أخرى أحببت أن أُشيد بأعمال التوعية الدينية بالمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، والإرشاد الديني بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، وذلك بعرض شيء من التزكيات والشهادات والمشاركات وشهادات الشكر والتقدير التي حصلت عليها وكل ذلك بتوفيق الله، وهي على النحو التالي:

١- تزكية بقلم فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان رحمه الله رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن عام ١٤٢١هـ.

٢- تزكية بقلم فضيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن آل فريان عضو الدعوة والإرشاد بالرياض عام ١٤٣٥هـ.

٣- تزكية بقلم فضيلة الشيخ / أ.د سعد بن تركي الخثلان، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٥هـ.

٤- شهادة من المركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالرياض بإشراف وزارة

الشؤون الإسلامية خلال أربع سنوات من العام الدراسي ١٩/ ١٤٢٠هـ إلى العام الدراسي ٢٢/ ١٤٢٣هـ.

٥- شهادة شكر وثناء من المشرف العام على مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض نظير أعمال تستحق الثناء عام ١٤٢٢هـ.

٦- مشاركة في مؤتمر أطباء الحرمين الثالث المعتمد من الهيئة السعودية للتخصصات الصحية تحت شعار (الطب والدعوة قرينتان) المنعقدة في مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون بالرياض عام ١٤٢٣هـ.

٧- دورة معتمدة من الهيئة السعودية للتخصصات الصحية في الإعداد الدعوي المقامة بمستشفى القوات المسلحة بالرياض عام ١٤٢٤هـ.

٨- حضور دورة معتمدة من قبل الهيئة السعودية للتخصصات الصحية في الاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان للمرشدين الدينيين والتي أقيمت بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٢٤هـ.

٩- شهادة شكر وتقدير للمساهمة في نجاح دورة أخلاقيات العاملين في المجال الصحي المقامة في مدينة الملك فهد الطبية عام ١٤٢٥هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

١٠- شهادة شكر من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل على المشاركة الفاعلة في تفعيل البرنامج العلاجي مع المرضى من خلال دعوتهم وتقويم سلوكهم الديني عام ١٤٣١هـ.

١١- شهادة اجتياز من قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين بالتعاون مع إدارة التوعية الدينية بالشؤون الصحية بمنطقة الرياض في كتاب (شرح طهارة المريض وصلاته) لفضيلة الشيخ أ.د. عبدالسلام بن محمد الشويعر

١٤٣٢هـ.

١٢- حضور ندوة المعاملة الحسنى مع المرضى المقامة في مركز الملك فهد الثقافي عام ١٤٢٧هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

١٣- حضور دورة (فقه المريض) المنعقدة بمستشفى الإيمان العام لعام ١٤٢٤هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

١٤- حضور الاجتماع وورشة العمل لدعوة المرضى المقام بمستشفى الملك سلمان بن عبدالعزيز لعام ١٤٢٥هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

١٥- حضور الندوة العلمية المقامة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للصحة النفسية تحت شعار (العلاقة بين الصحة النفسية والجسدية) بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٢٥هـ.

١٦- شهادة شكر وتقدير من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على المشاركة مع المرضى في أعمال الحج والبرنامج العلاجي مع نزلاء منتصف الطريق عام ١٤٢٩هـ.

١٧- شهادة مشاركة في الدورة التدريبية بعنوان التفكير الإبداعي (الكورت لتعليم التفكير) عام ١٤٣٢هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

١٨- خطاب شكر من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على القيام بالرقية الشرعية عام ١٤٣٥هـ.

١٩- شهادة شكر وتقدير من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على القيام بدعوة وتقويم سلوك المرضى الديني

عام ١٤٣٥هـ.

٢٠- شهادة حضور دورة (الأساليب الشرعية في تقديم الدعم الديني للمرضى المنومين) بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٣٧هـ بـإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

٢١- شهادة حضور دورة بعنوان (إدمان المخدرات وأهم الطرق العلاجيـة) بمركـز مطمئنة عام ١٤٣٩هـ، المشرف العام، أ.د. طارق الحبيب.

٢٢- شهادة حضور اللقاء العلمي بعنوان: (زاد أهل الأعذار من أحكام طهـارة المريض وصلاته) بإشراف إدارة التوعية الدينية بالشؤون الصحية بمنطقـة الرياض، والذي ألقاه عضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور: صـالح بـن عبدالله العصيمي بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٣٩هـ.

٢٣- حضور دورة تنمية مهـارات المرشـد الـديني في المجـال الـصحي المقامـة بمنطقة الريـاض عـام ١٤٤٠هــ بـإشراف إدارة التوعيـة الدينيـة بـصحة الرياض.

٢٤- شهادة حضور ملتقى داعم التطويري الخاص بمنسوبي ومنسوبات أقسام الإرشـاد الـديني والروحـي بالمستـشفيات والقطاعـات الـصحية عـام ١٤٤٠هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

٢٥- شهادة شكر وتقدير للإسهام الفاعل في تـدريس منـسوبي دورة (التوعيـة الإسلامية ومكافحـة المخـدرات والمسكرات) بمعهـد الـشؤون الدينيـة للقوات المسلحة عام ١٤٤٠هـ.

٢٦- شهادة شكر وتقدير ضمن اليوم العـالمي للكتـاب ٢٠١٩م، مـن مجمـع الأمـل للصحة النفسية بمدينة الرياض في ٢٣/ ٨/ ١٤٤٠هـ.

٢٧- شهادة شكر وتقدير من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية، على تأليف الإصدار الموسوم بـ(نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية) عام ١٤٤٠هـ.

٢٨- شهادة حضور اللقاء العلمي بعنوان: الدعم الديني للمرضى والاستشفاء بالقرآن والذي عقد بالقاعة الكبرى بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض ٢٨-٣٠/ ٣/ ١٤٤١هـ.

٢٩- درع تكريمي من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية على المشاركة الفاعلة في إثراء ملتقى الدعم الديني للمرضى والاستشفاء بالقرآن الكريم من خلال إلقاء المحور الخاص بعنوان (الخلط في التشخيص بين الأمراض الروحية والنفسية + الرقية الشرعية في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، جهود وثمرات) ٢٨-٣٠/ ٣/ ١٤٤١هـ.

٣٠- شهادة حضور محاضرة بعنوان: (الإدمان وعلاقته بالاضطرابات النفسية) بمركز مطمئنة بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٤٤١هـ، المشرف العام: أ.د. طارق الحبيب.

٣١- شهادة شكر وتقدير من إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض على إلقاء دورة تدريبية في الرقية الشرعية على المرضى، وذلك لمنسوبي أقسام التوعية الدينية بمنطقة الرياض ١٩/ ٦/ ١٤٤١هـ.

٧/٦/١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نصادق على ثقة الشيخ محمد
بن زيد الكثيري وعدالته حتى لا إخوانا
قاله وكتبه محب الخير للمسلمين والسلام
عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد
أفيد وأصادق على عدالة الشيخ محمد بن زيد الكثيري واستقامته
وكفاءته في العمل وحرصه على خدمة دينه ومجتمعه وحسن خلقه
أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
قاله وكتبه الفقير إلى الله عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن آل فريان
عضو الدعوة والإرشاد بالرياض

٦/٦/١٤٣٥هـ

الحمد لله والصلاة والسلام
على رسول الله وبعد: فإن الأخ محمد
بن زيد الكثيري معروف لدينا بالخير
والحرص على نفع المسلمين وله جهود كبيرة
في مجال الرقية الشرعية.. أسأل الله أن يبارك
فيه وينفع به

سعد الخثلان

أ.د. سعد بن تركي الخثلان
عضو هيئة كبار العلماء

١٠/٧/١٤٣٥هـ

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Health
General Directorate of Health
Affairs in Riyadh Region
275/100
Al-Amal Complex of Mental Health



المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
المديرية العامة للشئون الصحية بمنطقة الرياض
١٠٠/٢٧٥
مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض

المرشد الديني الشيخ / محمد بن زيد الكثيري سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وأسأل الله لكم دوام التوفيق والسداد ، ، ،

فقد سرنا ما تقدمونه للمرضى من رقية شرعية وفق الضوابط والأحكام الشرعية مما كان له الأثر الإيجابي في العملية العلاجية وإننا لنشكر لكم هذا العمل ، ونسأل المولى أن ينفع بكم ويبارك في جهودكم وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح .

والله يحفظكم ويرعاكم ، ، ،



رئيس الإرشاد الديني
وخطيب جامع ابن نوفل
محمد بن عبد الله النايل

الرقم : / / التاريخ : / / ١٤ هـ المشفوعات :

ص. ب ٨٧٩٠٤ الرياض ١١٦٥٢ هاتف : ٤٨٠٤٥٤٨ فاكس: ٤٨٠٤٦٤٠ P.O.Box 87904 RIYADH 11652 TEL :4804548 FAX:4804640
www.alamal.med.sa





الأستاذ / محمد بن زيد الكثيري

تتقدم إدارة مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض

بالشكر والتقدير لكم نظير إسهاماتكم الكبيرة ومشاركتكم الفاعلة في

ملتقى المؤلفين بالمجمع

ضمن فعاليات اليوم العالمي للكتاب ٢٠١٩ م

متمنين لكم دوام النجاح والتفوق ...

المدير التنفيذي

لمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض

د. محمد بن مشعوف القحطاني



٣/٨/١٤٤٠هـ

www.alamal.med.sa | 011 4804548 | alamalcomplex


المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
المديرية العامة لشؤون الصحية
إدارة التوعية الدينية

وزارة الصحة
Ministry of Health

شكر وتقدير

تتقدم المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية بجزيل الشكر والعرفان

للموظف. محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض

على جهوده المباركة في توعية المرضى والعاملين في قطاعاتنا الصحية بالمسائل الطبية الشرعية

من خلال تاليفه للإصدار الموسوم بـ (نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية) عام ١٤٤٠هـ

سائلين المولى له دوام التوفيق والسداد.

مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة الرياض

د.محمد بن عبد العزيز التويجري


وزارة الصحة
Ministry of Health

شكر وتقدير

تتقدم المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية بجزيل الشكر والتقدير لـ:

فضيلة الشيخ/ محمد بن زيد الكثيري

على ما تفضل به من إلقاء دورة تدريبية في الرقية الشرعية على المرضى وذلك لمنسوبي أقسام التوعية الدينية بالمستشفيات التابعة لمديرية الشؤون الصحية بمنطقة الرياض.

والتي عقدت بمقر إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض يوم الخميس الموافق 19 جمادى الثاني 1441هـ 13 فبراير 2020م

سائلين المولى لكم التوفيق والسداد.

مدير إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض

أ. يحيى بن عبدالرحمن الشهري


وزارة الصحة
Ministry of Health
شكر وتقدير
تتقدم المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض
ممثلة بإدارة التوعية الدينية
بجزيل الشكر والعرفان والثناء الحسن :
لفضيلة الشيخ
محمد بن زيد الكثيري
على مشاركته الفاعلة في إثراء ملتقى الدعم الديني
للمرضى والاستشفاء بالقرآن من خلال إلقاء المحور الخاص بعنوان
[الخلط في التشخيص بين الأعراض الروحية والنفسية
+ الرقية الشرعية في مجمع إرادة للصحة النفسية جهود وثمرات]
والذي عقد بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض
بتاريخ ٢٨ - ٣٠ / ٣ / ١٤٤١هـ الموافق ٢٥ - ٢٧ / ١١ / ٢٠١٩م
سائلين المولى لكم التوفيق والسداد
مساعد المدير العام للخدمات العلاجية
د. علي بن سليمان الجمعة



وأختم كلام كتابي هذا بهذا الدعاء المبارك، يقول الله عز وجل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ (٢).

وأخيراً: أسأل الله عز وجل أن يُعزّ الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ بلادنا وولاة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه، وأن يكفينا شر الأشرار وطوارق الليل و النهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، إن ربي قريب سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥، ١٦.

الفهرس

❁ ❁ ❁

لو افترضنا جدلاً

بأن هذا الحجر حينما اصطدم بالماء كأثر المصيبة على أنفسنا، لأدركنا بأن أثرها يتفاوت من شخص لآخر على قدر صبره عليها، بحسب مكانها من تلك الدوائر، فعلى كل حال علينا أن لا نلتفت إلى بدايتها،فسيضمحل أثرها على أنفسنا يوماً بعد يوم بإذن الله إلى أن يختفي هذا الأثر كما شاهدنا في نهايتها، وربما تحكي هذه الصورة أيضاً حال القائل ما أضيق العيش ,, لولا فسحة الأمل

المؤلف

